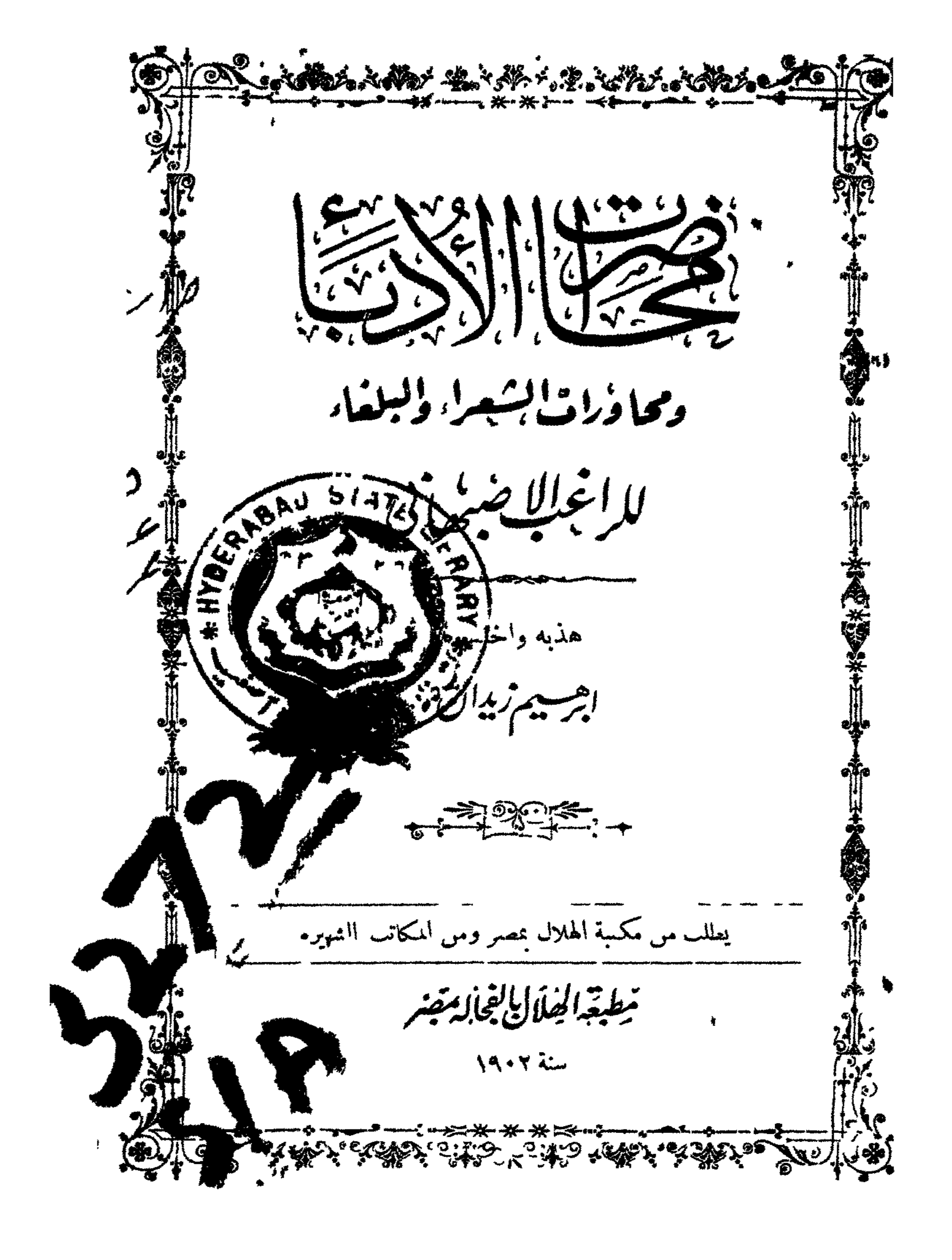


محاضرات الأدباء

ومحاورات الشعراء والبلغاء

للراغب الأصبهاني

هذبه واختصره

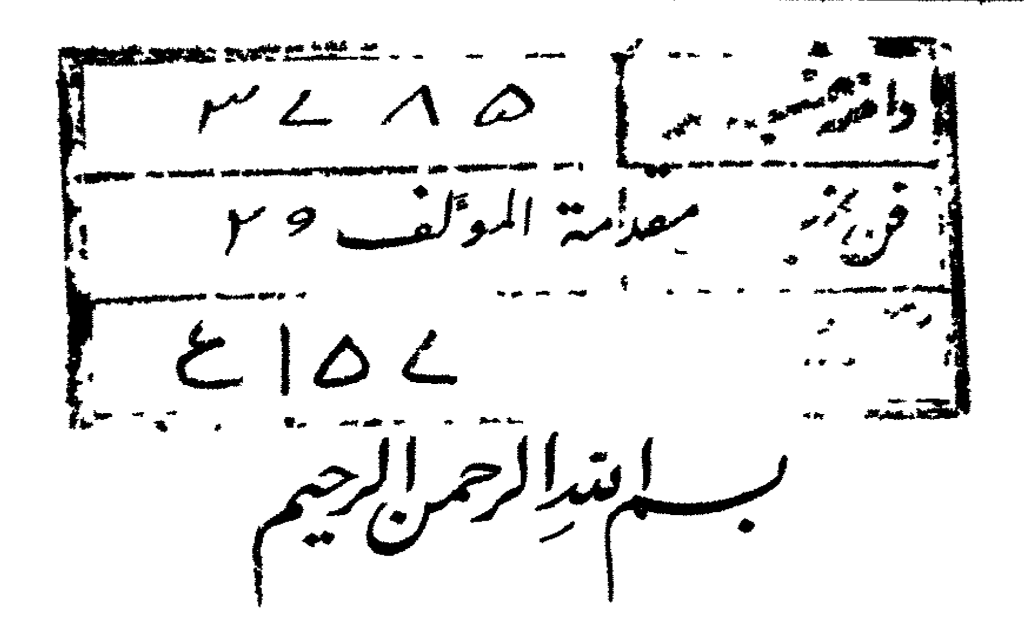
ابرهيم زيدان

يطلب من مكتبة الهلال بمصر ومن المكاتب الشهيرة

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٩٠٢





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تقصر الاقطار ان تحويه . وتعجز الاستار ان تخفيه . حمداً يقتضي تضاعف نعمائه . وترادف آلائه . وصلى الله على من اوضح به الاعلام . وشرع بلسانه الاسلام . منار الهدى . وخيار الورى

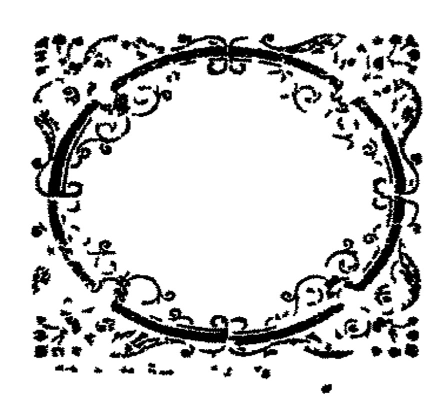
(وبعد) فان سيدنا عمر الله بمكانه مرابع الكرم . ومجامع النعم . احب ان اختار له مما صنفت من نكت الاخبار . ومن عيون الاشعار . ومن غيرهما من الكتب فصولاً في محاضرات الادباء . ومحاورات الشعراء والبلغاء . يجعله صيقل الفهم . ومادة العلم . ففعلت ذلك ايجاباً له اذ قد جعل مراعاة الادب شعاره ودثاره . ومحاماة الفضل ايثاره واختياره . وجعل زمام حسبه . بكف ادبه . وسلك في زماننا طريقاً قل سالكوه . وطرق العلاء قليلة الايناس . وقد ضمنت ذلك طرفاً من الابيات الرائقه والاخبار الشائقه . وأوردت فيه ما اذا قيس بمعناه

يكون منه مكان الروح من جسدٍ والبدر من فلك والنجم من قطبِ

فانه ظرف مليء طرفاً . من شاء وجد منه ناسكاً يعظه ويبكيه . ومن شاء صادف منه فاتكاً يضحكه ويلهيه

واعوذ بالله ان اكون ممن يمدح نفسه وزكاها . فمابها بذلك وهجاها . وممن

أزرى بعقله . لاعجابه بفعله . فقد قيل لا يزال المرء في فسحة من عقله ما لم يقل شعرًا أو يصنف كتابًا . وأولى من يصرف همته الى مراعاة مثل هذا الكتاب . من تحلى بطرف من الآداب . فيصير به طليق اللسان . ذليق البيان . فكم من أديب تتقاعد به بداهة المقال . في كثير من الاحوال . فلا يجد من فهمه مساعفه . ولا من علمه مكانفه . فيرى في العي مثل باقل وان كان في الغزارة سحبان وائل . وقد قيل خير الفقه ماحاضرت به . ومن لا يتحلى في مجلس اللهو . الا بمعرفة اللغة والنحو . كان من الحصر صورة ممثله . ومن لا يتتبع طرفًا من الفضائل . المخلدة عن السنة الاوائل . كان ناقص العقل . فالعقل نوعان مطبوع ومسموع . ولا يصلح احدهما الا بالآخر . وقد تحريت فيما أخرجته من كل باب غاية الاختصار والاقتصار . وأعفيته من الاكثار والاهذار . لئلا تعاف ممارسته ومدارسته . وقد جعلت ذلك فصولاً وأبوابًا . ليسهل طلب كل معنى في مكانه . سهل الله علينا ما يحمد عقباه . ووفقنا في جميع أمورنا لما يرضاه . وجعل خير أعمالنا ما قرب من آجالنا انه عليم قدير . نعم المولى ونعم النصير



الحد الاول

في العقل والعلم والجهل وما يتعلق بذلك



القسم الاول

« في العقل والحمق وذم اتباع الهوى »

قيل العقل الوقوف وقيل النظر في العواقب . وقيل العاقل من له رقيب على جميع شهواته ومن عقل نفسه عن المحارم. والحمق قلة الاصابة ووضع الكلام في غير موضعه . وقال النبي (صلعم) ما اكتسب ابن آدم أفضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى . وقيل الحمق يسلب السلامة ويورث الندامة والعقل وزير رشيد وظهير سعيد من أطاعه أنجاه ومن عصاه أرداه . وقيل لو صور العقل لاضاء معه الليل ولو صور الجهل لاظلم معه النهار. وقال المتنبي

لولا العقول لكان أدنى ضيغم   أدنى الى شرف من الانسان

قيل العقل بلا أدب فقر والادب بغير عقل حتف . وقيل ازدياد الادب عند الاحمق كازدياد الماء العذب في أصول الحنظل كلما ازداد رياً ازداد مرارةً وعاقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح والعقل والادب كالروح والجسد . الجسد بغير روح صورة والروح بغير جسد ريح والعقل بغير أدب كارض طيبة خربة . وقال الحسين : ثلاثة تذهب ضياعاً دين بلا عقل ومال بلا بذل وعشق بلا وصل . كل شيء اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر كان أغلى ولو بيع لما اشتراه الا

العاقل لمعرفته بفضله . قيل لبهلول عدّ لنا المجانين . فقال هذا يطول ولكني اعد العقلاء . وقيل لرجل ماجماع العقل فقال مارأيته مجتمعاً في أحد فأصفه وما لا يوجد كاملا لا يُحد وقيل العاقل بخشونة العيش مع العقلاء اسر منه بلين العيش مع السفهاء

قال لقمان : لا تعاشر الاحمق وان كان ذا جمال وانظر الى السيف ما أحسن منظره واكثر أذاه . وقال الجاحظ لا تجالس الحمقى فانه يعلق بك من مجالستهم من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهرًا من الصلاح فان الفساد أشد التحاماً بالطباع . وقال المتنبي :

ومن البلية عذل من لا يرعوي عن جهله وخطاب من لا يفهم

قيل لحكيم من أنعم الناس عيشاً فقال من كفي أمر دنياه ولم يهتم لامرآخرته . كان ابن المقفع والخليل يحبان ان يجتمعا فاتفق التقاؤهما فاجتمعا ثلاثة أيام يتحاوران فقيل لابن المقفع كيف رأيته . فقال وجدت رجلاً عقله زائد على علمه . وسئل الخليل عنه فقال : وجدت رجلاً علمه فوق عقله . قال بعض العلماء صدقا فان الخليل مات حتف أنفه في خص وهو أزهد خلق الله وتعاطى ابن المقفع ما كان مستغنياً عنه حتى قتل اسوأ قتلة . وقيل فلان مخدوع من عقله فلا تستعن به

استأذن العقل على الجد فلم يأذن له وقال انك تحتاج اليّ وأنا لا احتاج اليك وافتخر العقل فقال له الجد امسك فما لك نفاذ مالم أصحبك . من زيد في عقله نقص من حظه وما جعل الله لاحد عقلاً وافرًا الا احتسب عليه من رزقه . وفي الخبر ان الله تعالى اذا أراد ان يزيل نعمة عبد فأول ما يسلب منه عقله

(كون الهوى غالباً للهدى) قال عامر بن الظرب : الرأي نائم والهوى يقظان فاذا هوى العبد شيئاً نسي الله فكم من عقل أسير في يدي هوى أمير . وقيل الهوى شريك العمى . وقال الله تعالى « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » . وقال بعض الحكماء اذا اشتبه عليك أمران فانظر أيهما أقرب من هواك

فخالفه فالصواب في مخالفة الهوى . وقال الشاعر :

من أجاب الهوى الى كل ما يد عو اليه داعيه ضلّ وتاها

وقال النبي « صلعم » ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه . ووقع عبد الله بن طاهر الى عامل له :

نفسك قد اعطيتها مناها * فاغرة نحو مناها فاها

وقيل ان قدمتَ هواكَ على عقلك لم تصب رشدا في حياتك ولا أمنًا بعد وفاتك

قال الله تعالى « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » وكتب ملك الى عابد : مالك لا تخدمني وأنت عبدي . فقال لو اعتبرت لعلمت انك عبد عبدي . قال كيف . قال لانك تتبع الهوى فأنت عبده وأنا أملكه فهو عبدي . فقال صدقت . قيل لبزرجمهر أي العيوب أعظم قال قلة معرفة المرء بنفسه . وقال المتنبي

ومن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه ما لا يرى

وقال سقراط لاشيء أضرّ بالانسان من رضاه عن نفسه فانه اذا رضي عنها اكتفى باليسير فعابه كل خطير . قال الامام علي : لن يهلك امرؤ عرف قدره . وقيل قد يعرف نقص غيره من لا يعرف نقص نفسه ولا يعرف نقص نفسه من لا يعرف نقص غيره . وقال حكيم لا ينبغي لحكيم ان يطلب طاعة غيره وطاعة نفسه عليه ممتنعة . وقال النبي « صلعم » الا اخبركم بأشدكم من ملك نفسه عند الغضب . قال الجنيد لا تسكن الى نفسك وان دامت طاعتها فان لها خدائع وان سكنتَ اليها كنت مخدوعاً . وقيل من رضي عن نفسه سخط الناس عليه . قال الامام عمر : رحم الله امرءًا أهدى الينا عيوبنا . وقال رجل لمسعر : أتحب ان تُهدى اليك عيوبك فقال أما من ناصح فنعم وأما من شامت فلا . وقيل ينبغي للرجل ان يكون مرآة أخيه تريه خيره وشره . قال الشاعر :

أصبحت في هيئة المرآة تخبرنا * عيوبنا كل ما فينا من الكدرِ

القسم الثاني

﴿ في الحزم والعزم وما يضادهما والظن والشك والتثبت والعجلة ﴾

قال عبد الملك لعمر بن عبد العزيز : ما العزيمة في الامر . قال اصداره اذا ورد بالحزم . فقال وهل بينهما فرق . قال نعم اما سمعت قول الشاعر :

ليست تكون عزيمة مالم يكن * معها من الرأي المشيد رافعُ

فقال لله درك عشتُ دهرًا وما أرى بينهما فرقًا . وقيل لبعضهم ما الحزم قال التفكر في العواقب . قال معاوية لعمرو بن العاص (رضي الله عنهما) ما بلغ من دهائك قال مادخلت في أمر الا عرفت كيف الخروج منه فقال لكني مادخلت في أمر قط وأردت الخروج منه . قال الشاعر

واذا هممت بورد أمر فالتمس * من قبل مورده طريق المصدرِ

قيل من لم يقدمه حزمه أخرة عجزه . من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطاء . ان رمت المحاجزه . فقبل المناجزه . اتقِ العثار بحسن الاعتبار . قال ازدشير ليس للايام بصاحب من لم يتفكر في العواقب . وقيل من لم ينظر في العواقب تعرض لحادثات النوائب

وقيل الفكرة مرآة تريك الحسنات والسيئآت . قيل من استشار فيما نزل به صديقه واستخار ربه واجهد رأيه فقد قضى ما عليه وأمن رجوع الملامة اليه . وقيل من أعجب الاشياء جاهل يسلم بالتهور وعاقل يهلك بالتوقي . قال حكيم لابنه : كن بحيلتك أوثق منك بشدتك فالحرب حرب للمتهور وغنيمة للمتحذر . وقيل الاهتداء لوجه الحيلة غنيمة جليلة . وقال ابن معتوق :

ولست مقارعًا جيشًا ولكن * برأيي يستضيء ذوو القراعِ

قيل نظام الامر التدبير ورأس الامر التقدير . وقيل من فعل بغير تدبير وقال بغير تقدير لم يعدم من الناس هازئًا ولاحيًا . قيل لبعض الحكماء ما الحزم قال حفظ ما كلفت وترك ما كفيت . وقيل للاحنف بمَ سدت قومك قال بتركي من أمرك مالا يعنيني كما عناك من أمري مالا يعنيك . مر الشعبي بإبل قد فشا فيها الجرب فقال لصاحبها اما تداوي ابلك فقال ان لنا عجوزًا تتكل على دعائها فقال اجعل مع دعائها شيئًا من القطران . وقال الشاعر :

والمرء تلقاه مضياعًا لفرصته * حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

قال أبو عبيدة لعمر رضي الله عنه حين كره طواعين الشام ورجع الى المدينة : اتفر من قدر الله قال نعم الى قدر الله فقال له أينفع الحذر من القدر فقال لسنا مما هناك في شيء ان الله لا يأمر بما لا ينفع ولا ينهي عما لا يضر وقد قال تعالى : ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة . وقال تعالى : خذوا حذركم . قيل لبعض الحكماء هل شيء أضر من التواني فقال الاجتهاد في غير موضعه . وقال الشاعر :

أصبحت تنفخ في رمادك بعدما * ضيعت حظك من وقود النارِ

قيل أكبر الادواء للبدن التلهف على مالا يدرك . وقال الكسعي وخبره مشهور :

ندمت ندامة لو ان نفسي * تطاوعني اذًا لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني * لعمر أبيك حين كسرت قوسي

(النهي عن الاغترار) في المثل عش ولا تغتر وقيل لا تكن كمن أراق الماء واتبع السراب . وقيل أعظم الخطأ العجلة قبل الامكان والتأني بعد الفرصة

(مدح التجارب) قيل العقل كالسيف والتجربة كالمسن . وقيل التجارب مرائي الغيوب ونواظر العيوب . ومدح اعرابي قومًا فقال أدبتهم الحكمة واحكمتهم التجارب ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة . ووصف اعرابي واليًا مغترًا فقال . ما أطول سكر كاس شربها فلان ولم يخف من عاقبتها الخمار .

(مدح الشك وسوء الظن) قيل بوحشة الشك ينال انس اليقين . وقيل عليك بسوء الظن فان اصاب فالحزم وان أخطأ فالسلامة . وقال عبد الملك فرق ما بين عمر وعثمان ان عمر أساء ظنه فاحكم أمره وعثمان أحسن ظنه فأهمل أمره. وقيل لبعضهم أسأت الظن فقال ان الدنيا لما امتلأت مكاره وجب على العاقل ان يملأها حذرًا

قال الله تعالى : اجتنبوا كثيرًا من الظن ان بعض الظن اثم . وقال شيخ لرجل أظنك كاذبًا فقال أحمق مايكون الشيخ اذا استعمل ظنه

(مدح التغافل) لما أمضى معاوية بيعة يزيد قال يزيد يا أبتِ ما ادري أنخدع الناس أم يخدعوننا بما يأخذون منا فقال يابني من خدعك فانخدعت له فقد خدعته . وقيل اذا أردت لباس المحبة فكن عالمًا كجاهل

(من لا يُخدع لعقله) قال عمرو بن العاص مارأيت أحدًا كلم عمر الا رحمته لانه كان لايخدع أحدًا لفضله ولا يخدعه أحد لفطنته . وقيل لرجل فيك فطنة فقال ماذنبي اذ خلقني الله عاقلاً

(مدح التثبت) قال الشعبي أصاب متأمل أو كاد وأخطأ مستعجل أو كاد . وقال عمرو بن العاص لايزال المرء يجني من ثمرة العجلة الندامة . وقال النبي « صلعم » ما دخل الرفق في شيء الا زانه ولا الخرق الا شانه . قال الشاعر

لا تعجلنَّ فربما   عجل الفتى في مايضره

«مدح العجلة » وقيل المتأني في علاج الداء بعد ان عرف الدواء كالمتأني في اطفاء النار وقد اخذت بحواشي ثيابه . وسأل ابو علي البصير ابن منارة حاجة فقال رح الى وقت العصر فجاء وقت الظهر فقال ألم أعدك وقت العصر فقال نعم ولكن رأيت الافراط في الاستظهار أحمد من الاستظهار في التواني . وقيل انتهز الفرصة قبل ان تعود غصة. وقيل الفرصة ما اذا أخطأك نفعه لم يصبك ضره (طلب الامر بالمداراة) قال الاحنف عجبت لمن طلب أمرًا بالمغالبة وهو

يقدر عليه بالملاينة ولمن طلب أمرًا بخرق وهو يقدر عليه برفق · وقيل لبعضهم ما الدهاء فقال قتل العدو في لطف

القسم الثالث

«في المشاورة والاستبداد بالرأي»

(مراجعة الاوداء ومدح المشاورة) قيل من شاور أهل النصيحة سلم من الفضيحة · وقال النبي «صلعم» المشاورة حصن من الندامة وأمن من الملامة · وقيل ما هلك امرؤ عن مشورة · وقال النبي «صلعم» نعم الموازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد · الاحمق من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة · من شاور الاوداء أمن من الاعداء وقال بشار :

اذا بلغ الرأي المشورة فاستعن * بحزم نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فان الخوافي قوة للقوادم

وقال عمر «رضه» الرجال ثلاثة رجل ذو عقل ورأي فهو يعمل عليه ورجل اذا احزنه أمر أتى ذا رأي فاستشاره ورجل حائر بائر لا يأتي رشدًا ولا يطيع مرشدا · قال زياد لابي الاسود لولا انك كبرت لاستعملتك واستشرتك فقال ان كنت تريدني للصراع فليس في وان كنت تريد الرأي فهو وافي · وقيل عليك برأي الشيوخ فقد مرت على وجوههم عيون العبر وتصدعت لاسماعهم آثار الغير · قال هرم عليكم في المشاورة بالحديث السن الحديد الذهن · وقيل استشر عدوك تعرف مقدار عداوته قال قيس لابنه : لا تشاورنّ مشغولاً وان كان حازمًا ولا جائعًا وان كان فهيماً ولا مذعورًا وان كان ناصحًا ولا مهمومًا وان كان فطنًا فالهم يعقل العقل ولا يتولد منه رأي ولا تصدق منه روية · وقيل لا تشاور من ليس في بيته دقيق ·

وكان كسرى اذا اراد ان يستشير انساناً بعث اليه بنفقة سنة ثم يستشيره . وقيل لاتشيرنّ على معجب ولا متلون وخف الله من موافقة هوى المستشير. وقال النبي «صلعم» شاوروهنّ وخالفوهن. قال عمر رضي الله عنه صاحب الحاجة ابله لايرشد الى الصواب فلقنوا اخاكم وسددوا صاحبكم وقال الشاعر :

خليلي ليس الرأي في صدر واحد * اشيرا علي اليوم ما تريان

(نصيحة المستشير) قال ابن عباس الرجل لايزال يزاد في صحة رأيه ما نصح مستشيره فاذا غش مستشيره سلبه الله صحة رأيه. لما أصاب زياداً الطاعون في يده احضر له الاطباء فدعا شريحاً فقال له لاصبر لي على شدته وقد رأيت ان أقطعها فقال شريح اتستشيرني في ذلك قال نعم فقال لاتقطعها فالرزق مقسوم والاجل معلوم وانا اكره ان تقدم على ربك مقطوع اليد فاذا قال لك لمَ قطعتها قلت بغضاً للقائك وفراراً من قضائك فمات زياد من يومه فقال الناس لشريح لمَ نهيته عن قطعها فقال استشارني والمستشار مؤتمن ولولا الامانة لوددت ان أقطع يده يوماً ورجله يوماً . وقال يحيى لا تشيرنّ على عدوك وصديقك الا بالنصيحة فالصديق يقضي بذلك حقه والعدو يهابك اذا رأى صواب رأيك . وقيل من طلب الرخص من الاخوان عند المشاورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبه فقد خدع نفسه

(الرغبة في الاستبداد بالرأي) قال بعض الحكماء ما استشرت أحداً قط الا تكبر عليّ وتصاغرت له وداخلته العزة وادركتني الذلة . واياك والمشورة وان ضاقت بك المذاهب . وكانت الفرس والروم مختلفتين في الاستشارة فقالت الروم نحن لا نملك من يحتاج ان يستشير . وقالت الفرس نحن لا نملك من يستغني عن المشاورة

وقال بعض جلساء هارون انا قتلت جعفر بن يحيى وذلك اني رأيت الرشيد يوماً وقد تنفس تنفساً مفكراً فأنشدت في اثره :

واستبدت مرة واحدةً * انما العاجز من لا يستبد

فأصغى اليه واستعاده فقتل جعفر بعد ذلك . وقال المهلب لو لم يكن في الاستبداد بالرأي الا صون السر وتوفير العقل لوجب التمسك بفضله . استشار عبدالله بن علي عبدالله بن المقفع فيما كان بينه وبين المنصور فقال لست أقود جيشاً ولا اتقلد حرباً ولا أشير بسفك دم وعثرة الحرب لا تستقال وغيري أولى بالمشورة في هذا المكان . واستشار زياد رجلاً فقال حق المستشار ان يكون ذا عقل وافر واختبار ظاهر ولا أراني هناك . واجتمع رؤساء بني سعد الى اكثم بن صيفي يستشيرونه فيما دهمهم من يوم الكلاب فقال ان وهن الكبر قد فشا في بدني وليس معي من حدة الذهن ما ابتدئ به الرأي ولكن اجتمعوا وقولوا فاني اذا مر بي الصواب عرفته

القسم الرابع

« في وصف العلم والعلماء والحفظ والنسيان »

« عز العلم والعلماء » : قال الله تعالى : انما يخشى الله من عباده العلماء . وقال الامام ابو حنيفة ان لم يكن العلماء اولياء الله في الارض فليس لله فيها ولي . قال الاحنف كل عز لم يؤيد بعلم فالى ذل يصير . وقيل العلم يوطئ الفقراء بسط الملوك . قيل من نهض به ادبه لم يقعد به حسبه . وقيل شرف الحسب يحتاج الى شرف الادب وشرف الادب مستغنٍ عن شرف الحسب . وقال الاحنف من لم يكن له علم ولا أدب لم يكن له حسب ولا نسب . وقال الشاعر :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً * يغنيك محموده عن النسبِ

قيل لما وقعت الفتنة بالبصرة ورضوا بالحسن اجتمعوا عليه و بعثوا اليه فلما أقبل قاموا فقال يزيد بن المهلب كاد العلماء يكونون ارباباً اما ترون هذا

المولى كيف قام له سادات العرب . ونظر عمر رضي الله عنه الى رجل في هيئة نفيسة فقال الست ابن قيس بالبصرة قال نعم ولكني كاتب فقال لله در العلم ما زال يرفع أهله . قال الشاعر :

العلم يرفع بالخسيس الى العلا * والجهل يقعد بالفتى المنسوبِ

قال امير المؤمنين علي . قيمة كل امرىء ما يحسنه قال عبد الملك اطلبوا معيشة لايقدر سلطان جائر على غصبها قيل ماهي قال الادب . واصالح بن عبد القدوس :

قد يجمع المرء مالا ثم يسلبه * عما قليل فيلقى الذل والحربا
وجامع العلم مغبوط به أبدًا * فلا يحاذر منه الفوت والطلبا

وقيل العلم ميراث غير مسلوب وقريب غير مغلوب وقال البديهي في ذم العلم وفضل المال عليه

اكثر المقتفين للعلم والآ * داب في ذلة وفي املاقِ

(وصف العلم بأنه يورث الغنى) قيل الادب يجلب الجمال ويفيد المال . وقيل من لم يفد بالادب مالا استفاد به جمالاً . قال الاصمعي لرجل ألا أدلك على خليل ان صحبته زانك وان احتجت اليه مانك وان استعنت به أعانك قال نعم فقال عليك بالادب . (وصفه بأنه يورث الزهد) العلم يزهد في الدنيا الضارة ويرغب في الآخرة السارة . دخل حكيم دار رجل خلو من العلم فرأى اثاثا وهيئة فاخرة واراد الرجل الداخل ان يبزق بزقة فبزق في وجه الرجل فقيل له ماتفعل قال نظرت فلم أجد في هذه الدار أخس منه لخلوه من المعاني الفاضلة وانما يرمى بالبزاق الى اخس المواضع فلذلك رميت به في وجهه . (تلذذ العلماء بعلمهم) كان أبو حنيفة رحمه الله اذا اخذته هزة المسائل يقول اين الملوك من لذة مانحن فيه لو فطنوا لقاتلونا عليه . وقيل من خلا بالعلم لم توحشه الخلوة ومن تسلى بالكتب لم تفته السلوة . (التناسب في العلم) قيل للنوفلي مابلغ من شهوتك للعلم قال اذا نشطت فلذتي واذا اغتممت فسلوتي .

وقال الصولي :

ان الكتابة والآداب قد جمعت * بيني و بينك يازين الورى نسبا

وقيل لاينبغي للاديب ان يخالط من لا ادب له كما لاينبغي للصاحي ان يناظر السكران . (مدح صيانة العلم) وجه الرشيد الى مالك بن انس رحمه الله ليأتيه فيحدثه فقال مالك ان العلم يؤتى فصار الرشيد الى منزله فاستند معه الى الجدار فقال يا أمير المؤمنين من اجلال الله تعالى اجلال العلم فقام وجلس بين يديه و بعث الى سفيان بن عيينة فأتاه وقعد بين يديه وحدثه فقال الرشيد بعد ذلك يامالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به . وقال لقمان لابنه صن علمك فوق صيانة نفسك . وللقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني :

ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي * لاخدم من لاقيت لكن لأخدما

ولو ان أهل العلم صانوه صانهم * ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا * محياه بالاطماع حتى تجهما

(نهي العلماء عن التهافت على باب السلطان) قال بعض العلماء شرار الامراء ابعدهم عن العلماء وشرار العلماء أقربهم الى الامراء . ودنا سقاء من فقيه على باب السلطان فسأله عن مسئلة فقال اهذا موضع المسئلة فقال السقاء اوهذا موضع الفقيه

وقيل العلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل . « ذم من شان علمه بتقصير » قال النبي «صلعم» أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لاينتفع بعلمه . وقال اشد الناس ندامة عند الموت العلماء المفرطون . وقال اللهمّ اني أعوذ بك من علم لاينفع وقلب لايخشع وعين لاتدمع ونفس لاتشبع واعوذ بك من شر هؤلاء الاربع . كتب الشافعي رضي الله عنه الى عالم . قد أوتيتَ علماً فلا تطفئ نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل العلم بنورهم . « تفضيل العلم على العمل » وقال النبي « صلعم » عمل قليل في علم خير من كثير منه في جهل .

وقال الحسن رضي الله عنه ادركت قوماً من أصحاب رسول الله يقولون من عمل بغير علم كان ما افسد اكثر مما أصلح . « ذم شره العالم وطلب الدنيا بالعلم » قال الرسول من ازداد في العلم رشداً ولم يزدد في الدنيا زهداً لم يزدد من الله الا بعداً وقال بعض الادباء لأن تطلب الدنيا باقبح ما تطلب به أحسن من ان تطلبها باحسن ما تطلب به الآخرة

(مدح النحو) النحو نصاب العلم ونظامه وعموده وقوامه ووشي الكلام وحلته وجماله وزينته . وقيل النحو يرفع الوضيع ويخفض الرفيع . قيل من كثرت عليه العربية اظلمت عليه الرواية . كان بعض الفصحاء يدخل على بعض عمال البصرة وهو يعرب في كلامه فقال له يوماً ان لم تترك الاعراب ضربتك فقال اني اذاً اشقى الناس به ضُربت صغيراً لأتعلم وضُربت كبيراً لأترك « ذم الكثير منه » ذكر النحو عند المأمون فقال علم يغنيك ادناه عن أقصاه . وقال أبو حنيفة المكثر من النحو كالمكثر من غرس شجر لا يثمر . وقيل النحو ملح العلم ومتى استكثر من الملح في الطعام فسد . وذكر أهل النحو عند بعض البلغاء فقال اغزرهم علماً أنزرهم فهماً . « مدح العروض وذمه » قيل معرفة العروض تسهل عليك ما تعوج من الشعر فانه نصابه ونظامه وعموده وقوامه . وعاب النظام الخليل فقال تعاطى مالا يحسنه ورام ما لا يناله وفتنته دوائره التي لا يحتاج اليها غيره ودخل اعرابي مسجد البصرة فانتهى الى حلقة علم يتذاكرون الاشعار والاخبار وهو يستطيب كلامهم ثم أخذوا في العروض فلما سمع المفاعيل والفعول ورد عليه مالا يعرفه فظن انهم يأتمرون به فقام مسرعاً وخرج وقال

قد كان أخذهم في الشعر يعجبني ... حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعت كلاماً لست أعرفه ... كانه زجل الغربان والبوم
وليت منفلتا والله يعصمني ... من التقحم في تلك الجراثيم

«مدح الملح » قال الاصمعي نلت بالعلم وصلت بالملح . وقيل النوادر تفتح الآذان وتنبه الاذهان . قال أبو عبيدة الملح مروءة تنفق عند الاشراف فارتادوا

لها وانظروا عند من تضعونها

وقيل من جعل غرضاً للجدال أكثر التنقل من رأي الى رأي . وحكى بعض الصوفية قال استشرت ابا عبد الله بن حنيف في تعلم الكلام فقال لا تفعل فأقل مافيه انك تسيء عشرة الرب فقلت كيف ذلك فقال لانك ابداً تقول لو فعل الله كذا لكان جاهلاً ولو كان كذا لكان عاجزاً ونحو ذلك مما يجري في كلامهم (مدح الفقه) قال النبي «صلعم» اذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين وعرفه عيوب نفسه . الانبياء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة . «مدح الحساب» قال الله تعالى : هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . وقيل الحساب ديباج العلم . وقال علي بن زيد : لو رفع الحساب لبطلت العلوم ولو رفعت العلوم لم يبطل الحساب . «استخراج المعمى» قيل استخراج المعمى يدقق النظر ويصقل الذهن ويفطن القلب وقال ابو حاتم سالت الاصمعي عن المعمي فقال هو عمي القلب

(وصف فنون من العلم) قيل علم الملوك النسب والخبر والشعر وعلم السلطان المغازي والسير وعلم التجار الحجاب وعلم الكتابة معرفة الخط وتصريف اللغات . وقيل العلوم ثلاثة علم الدين لمعادكم وعلم الطب لابدانكم وعلم الهندسة لمعاشكم قيل تعلموا الفقه لاديانكم والطب لابدانكم والنحو لبيانكم «جودة الحفظ وذكر الحفاظ» قيل فلان احفظ بما يسمعه من الرمل للماء . وقيل كان عمرو بن هبيرة يضبط حساب العراق وهو أمي . وقال الشعبي ما كتبت سوداء في بيضاء الا حفظتها . وقال الاصمعي احفظ اثني عشر الف ارجوزة فقال رجل منها البيت والبيتان فقال ومنها المائة والمائتان . وورد ابو مسعود الرازي اصبهان ويقال انه املى عن ظهر قلبه مائة الف حديث فلما وصلت كتبه قوبلت بها فلم يعثر منها على سقطة الا في متن حديثين وادعى الخوارزمي انه حفظ كتاب الامثال لابي عبيدة في ليلة . «النسيان وذكر بنيه» قيل فلان لو غابت عنه العافية لنسيها . وحكى جراب الدولة ان رجلاً كان على عاتقه صبي عليه قميص احمر وهو ينادي من وجد

صبياً عليه قميص أحمر فقيل اليس هو على عاتقك فلمسه فقال أحسنت كنت نسيته

(تذكر الشيء) قيل في المثل ذكرتني الطعن وكنت ناسياً . وقال ابن الرومي في تذكر المتلو بالعود الى ما قبله وهو بديع في بابه

وتالٍ تلا يوماً فأنسي آية * فأعيت عليه حين رام انتهازها
فكر على ما قبلها متـدبرًا * فثاب له فكر فافضى حجازها
فشبهته بابن السبيل تعرضت * له وهدة فاستصعبت حين رازها
فقهقر عنها قيس عشرين خطوة * فجاش اليها جيشة فأجازها

(تصنيف الكتب) قال الجاحظ لا يزال المرء في فسحة من عقله ما لم يقل شعرًا او يصنف كتاباً . وقيل من الف فقد استهدف فان احسن فقد استشرف وان اساء فقد استقذف . وقيل عرض بنات الصلب على الخطاب اسهل من عرض بنات الصدر على ذوي الالباب . وقال أحدهم فيمن يوهم انه شاعر :

ويوهمنا انه شـاعر * كأناً قدمنا من الباديه

(في الجهل) قال حجازي لابن شبرمة منا خرج العلم فقال نعم ولكن لم يعد اليكم قال الشاعر

يتعاطى كل شيء * وهو لا يحسن شيئاً

قيل من لا يدري وهو لا يعلم انه لا يدري فذاك جاهـل فعلموه ومن لا يدري وهو يقدّر انه يدري فذاك أحمق فاجتنبوه . قال الشاعر :

جهلتَ ولم تعـلم بانك جاهل
ومن ذا الذى يدري بما فيه من جهل

ذكر النظام الخليل فقال توحد به العجب فأهلكه وصوب له الاستبـداد صواب رأيه فتعاطى ما لا يحسنه . وقال ابليس ثلاث من كنّ فيه أدركت حاجتي منه : من استكثر علمه ونسي ذنبه وأعجب برأيه

أشد الناس للعلم ادعاء * أقلهم بما هو فيه علما

وقال الصولي في نفطويه :

يشرع في اكثر العلوم ولا * يعرف منها أقلها خطرًا

قيل لسان الدعوى اذا نطق فضحه الامتحان . قال الشاعر :

كل من يدعي بما ليس فيه * كذبته شواهد الامتحان

ذم اعرابي رجلاً فقال خطاؤه بعد اجتهاد وصوابه من غير اعتماد

(العلماء الجهال) قال النبي (صلعم) ارحموا عزيز قوم ذلّ وغنيًا افتقر وعالمًا بين جهال . وقيل ان أردت أن تعذب عالمًا فاقرن به جاهلاً .

وقيل ان ثمامة بن أشرس لما غضب عليه الرشيد سلمه الى خادم يقال له ياسر وكان الخادم يتفقده ويحسن اليه حتى سمعه ثمامة يومًا يقرأ : ويل يومئذ للمكذَّبين بفتح الذال . فقال ثمامة ويحك المكذَّبين هم الانبياء اقرأ المكذِّبين بكسر الذال أتشتم الانبياء ثم هجره وتركه فلم يتفقده فلما رضي عنه الرشيد ورده الى مجلسه سأله يومًا أشد الاشياء فقال عالم يجري عليه حكم جاهل فظن الرشيد انه تعريض به حتى عرفه خبر الخادم

قال حكيم الناس أعداء ما جهلوا . قيل هلاك العلماء بحسدهم . قال ابن عباس لا تقبلوا قول العلماء بعضهم على بعض فانهم يتغايرون ويتحاسدون

القسم الخامس

« في التعلم والتعليم وما يتعلق بهما »

قال سقراط من لم يصبر على تعلم العلم وتعبه صبر على شقاء الجهل . وقال بعضهم تعلموا الادب وان لم ينلكم حظ من الدنيا فلان يذم فيكم الزمان أحسن من ان يذم بكم . وقيل ما يتصدق رجل بصدقة أفضل من علم ينشره . واتي

طالب علم بباب عالم فقال اعطني مما اعطاك الله فأمر له بدراهم فقال أنا طالب هدى لا طالب ندى فعلم أوضح لبساً خير من مال أغنى نفساً . وقيل الناس عالم ومتعلم وما سواهما همج

(وجوب تعظيم المعلم) قيل للاسكندر انك تعظم معلمك اكثر من تعظيمك لابيك فقال لان ابي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب الحياة الباقية وقال النبي « صلعم » لا يُقام لاحد الا لذي علم او لذي سن أو لذي سلطان

وعن بعض العلماء : لا يتحركن ثلاثة لاحد القاضي في يوم مجلسه والكاتب في وقت أمره ونهيه والمؤدب في مكتبه (وجوب تعظيم المتعلم) قال النبي . «صلعم» وقروا من تتعلمون منه ووقروا من تعلمونه . قال أبو العالية : ليكن الفقير والغني عندك سواء في تعلم العلم

(اختيار التلامذة وحث كل الى تعلم ما يليق به) سأل أفلاطون بعض تلامذته عن مسئلة لم تكن تليق بحاله . فقال لست من أهلها فلكل تربة غرس ولكل بناء أس . وكان يونس يختلف الى الخليل يتعلم منه العروض فصعب عليه تعلمه فقال له الخليل يوماً من أي بحر قول الشاعر :

اذا لم تستطع شيئاً فدعه * وجاوزه الى ما تستطيعُ

ففطن يونس لما عناه الخليل فترك العروض . وقيل اختر كل انسان للفن الذي يستطيبه فبقدر شهوته يكون نفاذه فيه .

(منع العلم عن غير أهله) قال « المسيح» عليه السلام : لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم . وكن كالطبيب الحاذق يضع دواءه حيث يعلم انه ينتفع به . وقال الامام الشافعي :

ومن منح الجهال علماً أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

(النهي عن تعليم الاوغاد) قالت الحكماء : لا تعلمن الدنيء علماً فيستفيده منك ويصير به عدواً لك . وقيل لبعضهم اي علم اضر فقال ما يفاد به الاوغاد . وقيل لابي سنان تموت وتدخل علمك معك القبر . فقال ذاك احب الي من ان اجعله

في أثناء سوء . ورأى حكيم رجلاً يعلم دنيئاً علماً فقال له اتستقي سهماً ترمى به يوماً
وقال الشاعر :

اعلمه الرماية كل يوم * فلما استدساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي * فلما قال قافيةً هجاني

(فضل تعليم الاولاد) قال النبي «صلعم» ما منح والد ولداً أفضل من ادب حسن . وقيل من أدب ولده صغيراً قرت به عينه كبيراً . وقيل من أدب ولده أرغم حاسده . حكي ان المنصور بعث الى من في الحبس من بني أمية يقول لهم ما أشد ما مرَّ بكم في هذا الحبس؟ فقالوا ما فقدنا من تأديب أولادنا . قيل بادروا بتأديب الاطفال قبل تراكم الاشغال . وسمع الحسن رجلاً يقول العلم في الصغر كالنقش في الحجر . فقال الكبير أوفر عقلاً منه لكنه أشغل قلباً . وقال الشاعر :

هلِ الحفظ الا للصبي فذو النهى * يمارس أشغالاً تشرد بالذكر

(فضل التعلم في الكبر) قيل لانو شروان ايحسن بالشيخ ان يتعلم قالَ ان كانت الجهالة تقبح منه فالتعلم يحسن به . فقيل والى متى يحسن منه فقال ما حسنت به الحياة . وقيل لحكيم ما حدّ التعلم فقال حدُّ الحياة أي يجب له ان يتعلم ما دام حياً . وقال شيخ للمأمون اقبيح بي ان استفهم فقال بل قبيح بك ان تستبهم . وقيل لا تستطيع ان تعي العلوم السنية . حتى تمحو من ذهنك الامور الدنية .
(الاوقات المرتضاة للدرس) قيل انظروا في العلم بالليل فالقلب بالنهار طائر وبالليل ساكن

(من سهل عليه التعلم) قيل اذا كانت الطبيعة نقية اكتفت بالاذكار وغنيت عن التكرار . وقيل فلان يكتفي باللحظ و يستغني عن اللفظ

(عسر التعلم) وقال الخليل لبليد ما أجد لقفل بلادتك مفتاحاً . نظر رجل الى فيلسوف يؤدب شيخاً فقال ما تصنع قال اغسل عبداً لعله يبيض
وقال الشاعر

ادب الكبير من التعب * كبر الكبير عن الادب

وأسلم بعض الولاة هرماً الى كتاب ليتعلم شيئاً من القرآن وكان اذا تعلم شيئاً نسي ما قبله فوجه اليه : ان أبعث اليّ من يتسلم مني ما أحفظه أولاً فأولاً .

(الحث على الحفظ دون الاعتماد على الكتب) قيل اذا فقد العالم الذهن قل على الاضداد احتجاجه وكثر الى الكتب احتياجه . وقيل لاخير في علم لايعبر معك الوادي ولا يعمر بك النادي . وقال محمد بن بشير :

اذا لم تكن حافظاً واعياً * فجمعك للكتب لا ينفع

(ضبط العلم بالكتابة) قيل قيدوا العلم بالكتابة . قال سقراط مابنته الاقلام لم تطمع في دروسه الايام . وقيل العلم عقود فاجعلوا الكتب لها نظاماً . وقيل اكتبوا ماتسمعونه من الحكم ولو في بياض النواظر بأطراف الخناجر . قال اعرابي في رجل يكتب كل مايسمع : أنت حتف الكلمة الشرود

(السؤال عما يجهل) قال النبي « صلعم» العلم خزانة مفتاحها السؤال . وقال أنس السؤال يعمر العلم . وقيل لدغفل : بمَ ادركت هذا العلم . فقال بلسان وسؤال وقلب عقول . وقال الشاعر :

شفاء العمي طول السؤال وانما * تمام العمى طول السكوت على الجهل

(الاخذ من الصغير والكبير) قال النبي «صلعم» الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها قيدها . وقيل خذ الحكمة ممن تسمعها منه فربّ رمية من غير رام وحكمة من غير حكيم . وقيل لايمنعنك ضعة القائل عن الاستماع اليه فربّ فم كريه مج علماً ذكياً وتبر صاف في صخر جاس . والجوهرة النفيسة لا يشينها سخافة غائصها ولادناءة بائعها (مدح من يقول لا أدري) سئل الشعبي عن مسئلة فقال لا أدري فقيل الا تستحي من قولك هذا وأنت فقيه العراقيين فقال ان الملائكة لم تستحي اذ قالت سبحانك لاعلم لنا الا ماعلمتنا . وقيل لابي عمرو مثله فقال أقبح من هذا أن اقول فاخطئ واروي فلا اروي . وقال الشاعر :

اذا ما انتهى علمي تناهيت عنده * اطال فأملي ام تناهى فقصرا

و ال الحسين (رضه) لو ان العالم كل ما قال أحسن واصاب لاوشك ان يجن

من العجب وانما العالم من يكثر صوابه . سئل رجل عن شيء فقال لا أدري (ولا أدري) نصف العلم . فقيل له لكنه النصف الاخس (صعوبة جانب العلم) قال الخليل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ثم أنت في اعطائه اياك بعضه مع اعطائك اياه لك على خطر . وقيل لايدرك العلم من لا يطيل درسه ولا يكد نفسه . وقيل لبعض العلماء ذللت طالباً فعززتَ مطلوباً فقال من ذل طلبه عزّ أدبه . وقال ارسطاطاليس : طالب العلم كالغائص في البحر لا يصل الى الجواهر الكريمة الا بالمخاطرة العظيمة

(ترفيه النفس في طلبه) قيل روحوا الاذهان كما تروحون الابدان فان العقل المكدود ليس لرؤيته لقاح ولا لرأيه نجاح . وقيل نفسك مطيتك ان رفهتها اضطلعت وان تحاملت عليها انقطعت .

(الحرص على الاستكثار منه وعزه اذا كثر) قيل الشره في المال دناءة وفي العلم نباهة . وقيل كل شيء يعز حين ينزر والعلم يعز حيث يغزر

(اتساع القلب بازدياد العلم) قال أبو نواس ما رأيت شيئاً الا قليله أخف من كثيره الا العلم فانه كلما كان أكثر كان أخف محملاً . وقيل كل اناء يفرغ فيه شيء يضيق الا القلب فانه كلما أفرغ فيه علمٌ اتسع . وقال انوشروان : قلب العالم كبيت فيه مصباح لا يضيق عن تظاهر النور فيه بل يتسع للنظر ويزيد في الضياء . قيل العلم أكثر من ان يحوى فخذوا من كل شيء أحسنه . وقيل حل طبعك بالعيون والفقر فالشجرة لا يشينها قلة الحمل اذا كانت ثمرتها نافعة . وقال ابن عباس العلم كثير فارعوا أحسنه اما سمعتم قول الله تعالى « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه »

(تناول طرف من كل نوع) قال يحيي بن خالد انتق من كل علم طرفاً فمن جهل شيئاً عاداه واكره ان تكون عدوّ الشيء من الآداب . وقيل اذا أردت ان تكون عالماً فاقصد فناً واحداً واذا اردت ان تكون أديباً فخذ طرفاً من كل فن .

(تقديم تعلم ما لا يُستغنى عنه) قال المأمون العلم لا يدرك غوره فابدأوا بالاهم ان الاهم المقدم وقيل ضيع الناس الاصول بتركهم الاصول

(الخوض في فنون من العلم) قيل ازدحام العلم في السمع مضلة للفهم وقيل اذا رأيتم رجلاً يريد تعلم أنواع العلوم فداووه

(كثرة العلم) قيل لفيلسوف الى اين بلغت في العلوم قال الى الوقوف على القصور عنها (زهد من يقرب من العلماء في العلم) قيل العالم كالجمة من البئر يأتيها البعداء ويزهد فيها القرباء . وقيل لرجل كيف غلبت البرامكة فقال بتطراف الغرباء والملالة من القرباء (حمد التأديب) وسأل الرشيد يوماً من اكرم الناس خدما قيل أمير المؤمنين فقال لا بل اكرمهم خدماً الكسائي فقد رأيته يخدمه الامين والمأمون وليا عهد المسلمين وليس لي من الخدم مثلهما . وقال خالد بن صفوان لمؤدب : انت انطقنا وصيفاً واحضرنا رغيفاً . (ذم التأديب وكونه نقصاً لذوي الفضل) كلف اسماعيل بن علي عبد الله بن المقفع ان يجلس مع ابنه في كل اسبوع يوماً فقال أتريد ان اثبت في ديوان النوكي . وقال سعيد بن سلم قصدت الكوفة فرأيت ابن المقفع فرحب بي وقال ما تصنع ههنا فقلت ركبني دين فأحوجت الى الازعاج . فقال هل رأيت أحداً . فقلت ابن شبرمة وعرفته حالي فقال أنا أكلم الامين ليضمك الى أولاده فيكون لك نفع فقال أف لذلك ايجعلك مؤدبا في آخر عمرك اين منزلك فعرفته فأتاني في اليوم الثاني وانا مشغول بقوم يقرؤن علي ومعه منديل فوضعه بين يدي فاذا فيه اسورة مكسورة ودراهم متفرقة مقدار اربعة آلاف درهم وحينئذ زمان المنصور وفي الدراهم ضيق فأخذت ذلك ورجعت به الى البصرة واستغنت به . قال الشاعر :

كفى المرء نقصاً ان يقال بانه * معلم صبيان وان كان فاضلاً

وقال عتبة بن ابي سفيان لمؤدب ولده ليكن اول اصلاحك لولدي اصلاح نفسك فان عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنته والقبيح ما استقبحته علمهم كتاب الله وروّهم من الحديث اشرفه ومن الشعر أعفه ولا

تكرههم على علم فيملوه ولا تدعهم فيهجروه ولا تخرجهم من علم الى علم حتى يحكموه فازدحام العلم في السمع مضلة للفهم وعلمهم سير الحكماء وهددهم وادبهم دوني ولا تتكل على كفاية منك واستزدني بتاثيرك ازدك ان شاء الله تعالى .
وضرب أبو مريم مؤدب الامين والمأمون الامين بعود فخدش ذراعه فدعاه الرشيد الى الطعام فتعمد ان حسر عن ذراعه فرآه الرشيد فسأله فقال ضربني أبو مريم فبعث اليه ودعاه (قال) فخفت فلما حضرت قال ياغلام اجلسه فسكنت وجلست آكل فقال ما بال محمد يشكوك فقلت قد غلبني خبثاً وعرامة قال اقتله فلأن يموت خير من ان يموق :

(نوادر المعلمين) قرأ صبي على معلم : وان عليك اللعنة ياشيخ . واخذ يكرر ويقف فقال عليك وعلى والديك فقال الصبي ليس فيه وعلى والديك لكنه عليك هل الحقه به (ذكاء الصبيان) قال مؤدب يزيد بن عبد الملك له: لَمَ لحنت فقال الجواد يعثر فقال المؤدب أي والله ويضرب حتى يستقيم فقال يزيد وربما يرمح سائسه فيكسر انفه . ويروى عن ابن السكيت قال أحضرت لاتخذ على المعتز بالله فقلت له بأي شيء نبدأ اليوم فقال بالخروج فقلت نعم فعدا من بين يديّ وعثر على المرمر : فقال

يموت الفتى من عثرة بلسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فقلت للمتوكل جئتم بي لتأديبه وهو آدب مني فأمر لي بعشرة آلاف درهم .
قال ابو محمد يحيي وكان مؤدب المأمون في صغره : صليت يوماً قاعداً فأخطأ المأمون فقمت لاضربه فقال ايها الشيخ اتطيع الله قاعداً وتعصيه قائماً فكتبت بهذا الى الرشيد فأمر لي بخمسة آلاف درهم .

وقال بزرجمهر لكسرى وعنده اولاده اي أولادك احب اليك قال ارغبهم في الادب واجزعهم من العار وانظرهم الى الطبقة التي فوقه . وروى ابن عباس عن النبي « صلعم » انه قال عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله اذا كبر . قيل أول ما عرف من سودد خالد القسري انه مر في بعض طرق دمشق راكباً وله

من العمر عشر سنين فوطئ فرسه صبياً فوقف عليه فرآه لايتحرك فانتهى الى اول مجلس مر به فقال ان حدث بهذا الغلام حدث فأنا صاحب الجناية ولم اعلم ومر عمر بصبيان يلعبون وفيهم عبدالله بن الزبير فعدا الصبيان ووقف عبد الله . فقال له عمر مالك لاتذهب مع الصبيان . فقال يا أمير المؤمنين لم اجن اليك فأخافك ولم يكن في الطريق ضيق فاوسعه لك . فقال عمر اي شيطان يكون هذا . وكان عبد الملك صغيرًا فأربى عليه صبي فضربه فقيل له لو شكوته الى عمك لانتقم منه فقال انا لااعد انتقام غيري انتقاماً . وقال السري الرفاء يصف غلاماً بعلو الهمة :

لاتعجبنْ من علو همته * وسنه في أوان منشاها
ان النجوم التي تضيء لنا * أصغرها في العيون أعلاها

(في الذكاء) دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض على ضياعهم وهو صبي امرد فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين قال من أنت . قال سليل نعمتك وابن دولتك وغصن من أغصان دوحتك اتأذن لي بالكلام . قال نعم فتكلم بكلام حسن فقضى حاجته . ونظر المأمون الى الحسن بن رجاء وهو صبي في ديوانه فقال من أنت قال الناشئ في دولتك المتقلب في نعمتك وتخريج ادبك الحسن بن رجاء فقال المأمون : بالاحسان في البديهة تفاضلت العقول وأمر برفعه عن محله . وفي بعض كتب الفرس ان كسرى أراد كاتباً لامر أعجله فلم يجد غير غلام صغير يصحب الكتاب فدعاه فقال ما اسمك . قال مهرماه . قال اكتب ما أملي عليك فكتب قائماً أحسن من غيره قاعداً ثم قال له اكتب في هذا الكتاب من تلقاء نفسك ففعل وضم الى الكتاب رقعة فيها « ان الحرمة التي أوصلتني الى سيدنا لو وكلت فيها الى نفسي لقصرت ان ابلغ اليها فان رأى ان لا يحطني الى ماهو دونها فعل » فقال كسرى أحب مهرماه ان لايدع في نفسه لهفة يتلهف عليها بعد امكان الفرصة وقد أمرنا له بما سأل وأمر آخر معلماً ان يعلمه الفرائض فامتحنه يوماً فقال له ماتقول في رجل مات وخلف ابنتين وابناً فقال: أما الابن فيسقط فقال : نعم اذا كان مثلك

القسم السادس

« في البلاغة وما يضادها »

سأل المأمون الحسن بن سهل عن البلاغة فقال مافهمته العامة ورضيته الخاصة . وسئل عنه بعض اليونانيين فقال تصحيح الاقسام واختيار الكلام . ووقع محمد بن طاهر أيام الفتنة الى الكتاب لتدقق الاقلام ويختصر الكلام فالقراطيس لا ترام وقيل الكلام اذا طال اختل واذا اختل اعتل . وقال منصور الفقيه :

ولا تكثرن فخير الكلام ال قليل الحروف الكثير المعاني

وقيل خير الكلام ماقل ودل ولم يطل فيمل . وكتب المعتصم الى ملك الروم جواباً عن كتاب تهدده فيه « الجواب ما ترى لا ماتسمع وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار » . قيل لابي عمرو بن العلاء لمَ كانت العرب تطيل قال ليسمع منها . قيل فلمَ توجز قال ليحفظ عنها

وقال ابن قدامة البلاغة ثلاثة مذاهب المساواة وهي مطابقة اللفظ والمعنى لا زائداً ولا ناقصاً والاشارة وهي ان يكون اللفظ كاللمحة الدالة والتذييل وهو اعادة الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد ليظهر لمن لم يفهمه و يتأكد عند من فهمه

وأمر يحيي بن خالد كاتبين ان يكتبا في معنى فأوجز أحدهما وأطال الآخر فقال للموجز لما نظر في كتابه لم أجد موضع مزيد وقال للمطيل لم أجد موضع نقصان . وقال جعفر بن يحيي اذا كان الايجاز كافياً كان الاكثار هذراً واذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً . قال ابن السماك لجارية له تصغي الى كلامه كيف تجدين كلامي قالت ما أحسنه الا انك تكثر ترداده . قال انما أردده ليفهمه من لم يفهمه قالت الى ان يفهمه من لم يفهمه مله من قد فهمه . وقيل لرجل يعيد كلاماً لغبي قد ثقل كلامك على الذكي قبل حصوله في قلب الغبي

(ذم اطالة الحديث) قيل من أطال حديثه فقدعرض أصحابه للسآمة وطول الاستماع . وقال سقراط لرجل : أنساني أول كلامك بعد العهد بآخره وفارق آخره فهمي لتفاوته

(الموصوف بالفصاحة) سمع اعرابي الحسن يتكلم فقال هو فصيح اذا لفظ نصيح اذا وعظ

وقيل انتهت الفصاحة الى أربع : علي وابن عباس وعائشة ومعاوية . قال الشعبي مارأيت أحدًا يتكلم فيحسن الا أحببت ان يسكت الا زيادًا فانه لم يخرج قط من حسن الا الى ماهو احسن منه . وقال يحيي بن زياد فلان أخذ بزمام الكلام فقاده احسن مقاد وساقه احسن مساق فاسترجع به القلوب النافرة واستصرف له الابصار الطامحة . وقيل كلام كنظم الجمان وروض الجنان . وقال أبو تمام :

من السحر الحلال لمجتنيه * ولم أر قبله سحرًا حلالا

(فضيلة اللسان) قال العباس للنبي «صلعم» فيمَ الجمال قال في اللسان . وقيل ما الانسان لولا اللسان الا بهيمة مهملة اوصورة ممثلة . وذكره بعضهم فقال لله دره من عضو ما أصغره وأكثر ضره ونفعه

(وصف كلام بالسلاسة) قيل لو كان الكلام طعامًا لكان هذا اداماً . كلام يقطر عسله هذا والله نثر نغم احسن من نثر نعم . كلام كالوبل في المحل . وتكلم المأمون بكلام حسن في مسئلة ثم قال لبعض ندمائه كيف كان الكلام في هذه المسئلة . قال كان والله كغيث وقع على ارض عطشة . فقال جوابك هذا احلى لدي من الامن بعد الخوف . وقال المتنبي :

اذا ماصافح الاسماع يوماً * تبسمت الضمائر والقلوبُ

قال ابن المقفع مازالت ينابيع حكمه تترقرق في معابر الآذان حتى ملأت القلوب عقولاً

(لفظ ساعد المعنى في الجودة) مدح اعرابي رجلاً فقال كأنَّ الفاظه قوالب

لمعانيه . قال الشاعر :

تزين معانيه الفاظه * والفاظه زائنات المعاني

وقيل خير الكلام ما كان لفظه بكرًا ومعناه فحلا

(مدح كلام وسط) خير الكلام مالا يكون عاميًا سوقيًا ولا عربيًا وحشيًا . قال أبو الاسود الدؤلي لابنه يابني اذا كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من لم يبلغه سنك فيستثقلوك ولا بكلام من هو دونك فيستحقروك . (مفاضلة الروية والبديهة) قال معاوية لعمرو بن العاص أنا آدب منك فقال انت للروية وأنا للبديهة وبينهما بون

وقيل لاخير في علم لايعبر معك الوادي ولا يعمر بك النادي . وقال الحطيئة :

فهذا بديه لا كتحبير قائل * اذا ما اراد القول زوره شهرًا

(النهي عن التشادق والتقعر) قال بشر بن المعتمر اياك والتقعر فانه يسلمك الى التعقيد فيستهلك معانيك ويمنعك من مراميك وما اجود ماقال ابن ابي طاهر :

ان خير الكلام ماليس فيه * عند من يفهم الكلام كلام

(ماحد به العي وذمه) قال اكثم العي ان تتكلم بفوق ما تقتضيه حاجتك . وقيل العي معنى قليل يحويه لفظ كثير . وتكلم رجل عند معاوية وكان ذا عي فقال عمر وسكوت الألكن نعمة . فقال معاوية وكلام الاحمق نقمة

(اعتذار محتبس في كلامه) قال بعضهم نحن حي فعال ولسنا بحي مقال ونحن بأدنى مقالنا عند احسن فعالهم . وقال بعض وفد خراسان انا ببلاد نأت عن العرب شغلتنا الحرب عن الخطب . واعتذر رجل لحبسة فقال يعزب البيان ويعتقم الصواب وانما اللسان مضغة من الانسان يفتر بفتوره اذا نكل ويثوب بانبساطه اذا ارتجل . وقيل لاعرابي اين فصاحتك . فقال لحقت بمواطنها بنجد

(المقام الذي لا يستنكف فيه من العي والحصر) سئل ابن داود متى يكون

البليغ عييا فقال : اذا سأل عما يتمناه وشكا حبه الى من يهواه ثم انشد

بليغ اذا يشكو الى غيره الهوى * وان هو لاقاه فغير بليغ

(المحسن في كلامه ابتداء والمسيء انتهاء) تكلم ابن ثوابة ثم غلط في آخره فقال ابو العيناء ترفعت حتى خفتك ثم تخفضت حتى عفتك . وتكلم رجل فأحسن ثم أعاد فأساء فقال له اعرابي انك تسترجع محاسنك

(ذم من يطول سكوته عيا) وصف رجل آخر فقال . يصلح لصدور المجالس ونظم المحافل ما لم يكن كلام

(كلمات لاهل العي) قال الجاحظ طلبت بعض اصدقائي في داره فلم اجده فقلت لجاريته اذا حضر صاحبك فقولي له ان الجاحظ كان بالباب قالت نعم الجاحد بالباب قلت قولي الحدقي قالت الحلقي فقلت عليك بالاول . (من سئل عن نحو فاجاب بمقتضى اللغة) قيل لرجل هل ينصرف اسماعيل قال نعم اذا صلى العشاء فما قعوده . تعرض بعضهم للطائي حين انشد «وهن عوادي يوسف وصواحبه» فقال ان يوسف لا ينصرف . فقال اصفعه حتى ينصرف . وقال نحوي لاعرابي قد قال اعجبني القصر بمَ يرفع القصر فقال : بالآجر والجص . وقيل لاعرابي اتجر فلسطين فقال اني اذًا لقوي فقال اتهمز اسرائيل فقال اني اذًا رجل سوء . وحكي ان أبا سعيد السيرافي سأل أبا الحسن الموسوي وهو صغير اذا قلت رأيت عمرًا فما علامة النصب فيه . فقال بغضه لامير المؤمنين علي (رضه) (من انكر لحنا بنادرة) مر رجل باديب فقال كيف طريق « البغداد » قال بالحذاء . ثم مر به آخر فقال له كيف طريق « كوفة » فقال من ههنا وبادر فمع ذلك المار الف ولام تحتاج اليهما وهو مستغن عنهما فخذهما منه . وقال رجل لابي العيناء اتأمر « بشيئًا » فقال نعم بتقوى الله وحذف الالف من شيئًا

(من اعتذر عن لحنه بعذر مستملح) قصد رجل الحجاج فانشده

« ابا » هشام ببابكْ * قد شم ريح كتابكْ

فقال ويحك لم نصبت « ابا » هشام فقال الكنية كنيتي ان شئت رفعتها وان

شئت نصبتها . وكتب محمد الامين في ما أظن على ظهر كتاب

عشقت ظبياً رقيقاً * في دار يحيى بن « خاقا »

وكتب تحته اردت خاقان وخاقان مولى لي ان شئت اثبت نونه وان شئت اسقطته . وقال رجل لآخر ما الذي اشتريت قال عسل فقال هل لازدت في عسلك « الف » فقال وأنت هلا زدت في الفك الفاً

(المتأذي بلحنه) قدم رجل على زياد فقال ان ابونا مات واخينا وثب على مال ابانا فضبعه فقال زياد الذي ضيعته من لسانك اضر عليك مما ضيعه اخوك من مالك . ومر عثمان برماة يسيئون الرمي فقال ما أسوأ رميكم فقال بعضهم نحن متعلمين . فقال كلامكم أسوأ من رميكم . ودخل الخليل على مريض نحوي وعنده أخ له فقال للمريض افتح عيناك وحرك شفتاك ان ابو محمد جالساً فقال الخليل أرى ان أكثر علة اخيك من كلامك . وسمع الاعمش انساناً يلحن فقال من هذا الذي يتكلم وقلبي منه يتألم . (المتفادي في كلام الكبار عن كلام فيه ايهام) دخل سعيد بن مرة على معاوية فقال له من أنت . فقال أنت سعيد وانا ابن مرة . وقال السفاح للسيد الحميري انت السيد قال انا ابن ابي وأمير المؤمنين هو السيد . وسأل رسول الله « صلعم » قيس بن سعد أنت أكبر أم أنا . فقال رسول الله أعز وأكبر وأنا أقدم منه في المولد . وفي ضد ذلك ما روي ان عمر بن الخطاب قال لرجل أتبيع هذا الثوب . فقال لا عافاك الله . فقال لقد علمتم ما لو تعلمون قل لا وعافاك الله . وتكلم بعض أهل زماننا عند الصاحب فسأله عن شيء فقال لا اطال الله بقاءك . فقال قل لا وأطال الله بقاءك . فقال بعضهم ما رأينا واواً أحسن موقعاً من واوك

القسم السابع

« في مفاضلة النطق والسكوت والمقال والسماع »

(تفضيل النطق على السكوت) قيل لزيد بن علي : الصمت خير من الكلام فقال لعن الله المساكتة فما أفسدها للسان وأجلبها للحصر . واختصم رجلان الى سعيد بن المسيب في النطق والصمت . فقال بماذا ابين لكما ذلك قولوا بالبيان فقال اذاً الفضل له . وقيل لبعضهم الصمت مفتاح السلامة فقال ولكنه قفل الفهم . قال الشاعر :

خلق اللسان لنطقه وبيانه * لا للسكوت وذاك حظ الاخرسِ
فاذا جلستَ فكن مجيباً سائلاً * ان الكلام يزين رب المجلسِ

(الاكثار من الكلام) قال حكيم لولا سوء العادة لامرت فتياني ان يماري بعضهم بعضاً . وقال العتابي اقدر الناس على الكلام من عوّد لسانه الركض في ميادين الالفاظ . طول الصمت حبسة وترك الحركة عقلة

(تفضيل الصمت) قال النبي « صلعم » رحم الله عبداً صمت فسلم او قال خيرًا فغنم فجعل الصمت أفضل لان السلامة أصل والغنيمة فرع . قال الشاعر

أقلل كلامك واستعذ من شره * ان البلاء ببعضه مقرونُ

وقال آخر

مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلامْ

(تفضيل كلّ منهما في اوانه) قيل لبعضهم السكوت أفضل أم النطق . فقال السكوت حتى يحتاج الى النطق فاذا احتيج الى النطق فالسكوت حرام . وقيل ليونس بن حبيب السكوت أفضل أم الكلام . فقال السكوت عن الخنى افضل من الكلام بالخطأ . قال الشاعر :

والصمت اجمل بالفـتى * من منطق في غير حينه

وقيل ربما كان الصمت ابلغ من الابلاغ في النطق مع عدم الاصابة

(ذم الاكثار من الكلام) من اطلق لسانه بكل ما يحب كان أكثر مقامه حيث لا يحب وقال اياس لخالد بن صفوان لا ينبغي ان نجتمع في منزلك لانك تحب ان لا تسكت وأنا أحب ان لا اسمع (الحث على فضول الكلام) قال عبد الله بن الحسين لابنه : استعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعو نفسك الى الكلام فان للقول ساعات يضر خطاؤها ولا ينفع صوابها . وقيل من حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه . وقال عبد الله بن طاهر لبعض منادميه يا هذا أما أقللت فضولك أو أقللت دخولك . وقيل فضل النظر يدعو الى فضل القول . الصمت داعية المحبة . الصمت زين العاقل وستر الجاهل . قال الشاعر :

لو كان من فضة تكلم ذي النطـ ـق لكان السكوت من ذهب

(الحث على تدبر الكلام قبل ايراده) قال الحسن : لسان العاقل من وراء قلبه فاذا أراد الكلام رجع اليه فان كان له تكلم به والا تركه ولسان الجاهل قدام قلبه يتكلم بما عرض له . وقيل من لم يخف الكلام تكلم ومن خافه تبكم

(التحذير من جناية اللسان) كان لقمان عبداً اسود لبعض أهل الايلة فقال له مولاه اذبح لنا شاة وائتنا بأطيب مضغة فأتاه باللسان فقال له اذبح لي أخرى وائتني باخبث مضغة فاتاه باللسان فقال له في ذلك . فقال ما شيء أطيب منه اذا طاب ولا أخبث منه اذا خبث . وقيل لم يستر من الجوارح شيء كما ستر اللسان فان عليه طبقتين وسترين . وقيل لحذيفة لمَ أطلتَ سجن لسانك فقال لانه غير مأمور الضرر اذا أطلق . وروي عن ابي بكر « رضه » انه كان يمسك بلسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد . قال الشاعر :

كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الاقرانُ

(متكلم بكلام أدى الى هلاكه) بينما المنذر في بعض متصيداته اذ وقف على رابية فقال بعض أصحابه : ابيت اللعن لو ان رجلاً ذبح على هذه الرابية الى أي

موضع عسى ان يسيل دمه فقال انت والله المذبوح لتنظر دلك وأمر به فذبح . ومر ببهرام طائر بالليل فصاح فرماه بسهم فأصابه فقال : لو سكت الطائر لكان خيرًا له (التثبت في الجواب والتسرع فيه) سأل رجل النبي مسئلة فمكث ساعة ثم أجابه عنها فقال اليهودي ولم توقفت في ما علمت قال توقيرًا للحكمة . وقيل من امارة الحكيم التروي في الجواب بعد استيعاب الفهم . وقيل من علامة الحمق سرعة الجواب وطول التمني والاستغراب في الضحك . وقال رجل لاياس ليس فيك عيب غير انك تعجل بالجواب . فقال كم أصبع في يدك فقال الرجل خمس فقال لقد عجلت أيضاً فقال هذا علم قد قبلته فقال اياس وأنا أعجل أيضاً في ما قد قبلته علماً (الحث على حسن الاستماع) قيل تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن المقال ولا تقطع على أحد حديثاً

وقيل للسائل على السامع ثلاث أمور: جمع البال وحسن الاستماع والكتمان لما يقتضي الكتمان . وقيل أساء سمعاً فاساء اجابةً . وقال فيلسوف لتلميذ له : أفهمت ؛ قال نعم : قال كذبت لان دليل الفهم السرور ولم أرك سررت . وقيل نشاط القائل على قدر فهم السامع . وقيل من سعادة القائل ان يكون المستمع اليه فهياً . وقيل فلان في الاستماع ذو اذنين وفي الجواب ذو لسانين . قال الشاعر :

اذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم * وان حدثوا قالوا بحسن بيانِ

(النهي عن محادثة من ساء استماعه) قيل من لم ينشط لاستماع حديثك فارفع عنه مؤنه الاستماع . وقال عبد الله بن مسعود : حدث الناس ما حدثوك بأسماعهم ولحظوك بأبصارهم فاذا رأيت منهم اعراضاً فأمسك . وقيل لا تطعم طعامك من لا يشتهيه

سمع بقراط رجلاً يكثر من الكلام فقال له : ان الله تعالى جعل للانسان لساناً واحدًا واذنين ليسمع ضعف ما يقول . (تفضيل السماع على المقال) كان اعرابي يجالس الشعبي فأطال الصمت فسأله عن ذلك فقال : اسمع فأعلم وأسكت فأسلم .

وقيل لاعرابي : لمَ لا تتكلم . فقال حظ لسان الرجل لغيره وحظ سمعه له . وقال محمد بن المنكدر : لأن أسمع أحب اليّ من ان انطق لان المستمع يتقي ويتوقى

القسم الثامن

« في المذاكرة والمجادلة »

(المذاكرة في العلوم) قال الله تعالى « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » وقال النبي « صلعم » لقحوا عقولكم بالمذاكرة واستعينوا على اموركم بالمشاورة . وقال المأمون لا تتقد مصابيح الاذهان الا بصفو مواردها . وقيل من اكثر مذاكرة العلماء لم ينسَ ما علم واستفاد مالم يعلم (المستكثر بمناظرته الفائدة) قال رجل لآخر مناظرة مثلك في الدين فرض والاستماع منك أدب . وقال عمر بن عبد العزيز : ما كلمني أسدي الاّ تمنيت ان يمدّ في حجته لتكثر منه فائدتي . (الممدوح باجادة المناظرة) قيل أورد فلان ما لا ينكره الخصم ولا يدفعه الوهم وما رأيت أسكن نورًا وأبعد غورًا وآخذ باذن حجة منه

وقال الشاعر

يتقارضون اذا التقوا في مجلس * نظرًا يزل مواقع الاقدامِ

وقال أبو مسلم :

يجوب ضباب معاني الكلام * بحذف الصواب لدى المجمعِ

وقال بشر بن المعتمر لابي الهذيل عند المأمون بعد مناظرة كانت بينهما كيف رأيت وقع سهمي فقال : حلوة كالشهد ولينة كالزبد فكيف ترى سهامنا : فقال ما أحسنت بها قال لانها لاقت جمادًا

(صعوبة الجدال) قال ابن الراوندي : ما التصدي للحراب والقضاب

ومبارزة الابطال بأصعب من التصدي للجواب لمن أمك بالسؤال

(الدافع خصمه باطل بحقه) قيل لا تدفع الباطل بالغلبة اذا أمكنك ان تدفعه بالحجة . وقال ابن عباس عجباً لمن يطلب أمرًا بالغلبة وهو يقدر عليه بالحجة فالحجة دين يعقد به الطاعة وسلطان الغلبة يزول بزوال القدر

(القائم في المناظرة مقام الغيب) قال الشاعر :

ومشهد قد كفيت الغائبين به * في مجمع من نواصي الناس مشهودِ
فرجتِه بلسانٍ غير ملتبس * عند الحفاظ وقلب غير مردودِ

وقال حسان :

كفى وشفى ما في النفوس فلم يدع * لذي حاجة في القول جدًا ولا هزلاَ

وكان أبو الشمر اذا ناظر لم يحرك يديه ولا رأسه ولا منكبيه حتى كأن كلامه يخرج من صدع صخرة . وقال الانصاري :

مجالسهم خفض الحديث وقولهم اذا ما قضوا في الامر وحي المحاجرِ

(المدفوع عن حجة قوية لا تعرف لغموضها)

قيل مادق من الكلام يعجز عنه كثير من الانام فينسب الى الاحالة وان كان في غاية الجلالة . ولذلك قال أبو تمام :

فصرت أذل من معنى دقيق * به فقر الى فهم جليلِ

(مدح الراجع الى الحق في المناظرة) قال عمر (رضه) الرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل . وقال الشعبي اني لاستحي ان اعرف الحق فلا ارجع اليه

(المستمر على خطائه وقد بان له الصواب) قال عمارة اني لامضي على الخطأ اذا أخطأت أهون عليّ من نقضٍ وابرام في مجلس واحد

(ذم من تشكك في الضروريات) قيل من شك في المشاهدات فليس بتام العقل

قال المتنبي :

وليس يصح في الافهام شيء * اذا احتاج النهار الى دليلِ

(ذم القاصر عن المناظرة) قال ابن ابي الطاهر في المبرد :

يفر من المناظر ان أتاه * ويرمي من رماه من بعيدِ

(ذم المراء في المناظرة) روي في الحديث : من تعلم العلم لاربعة دخل النار : ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او يأخذ به من الامراء او يستميل به وجوه الناس اليه . قال ابن عباس لمعاوية : أهل لك في مناظرتي في ما زعمت . قال وما تصنع بذلك فاشغب بك وتشغب بي فيبقى في قلبك مالا ينفعك ويبقى في قلبي ما يضرك . قال زيد بن جندب :

ما كان أغنى رجالاً ضلّ سعيهمُ * عن الجدال واغناهم عن الشغبِ

وقيل من ترك المراء فهم وعلم

(الحث على السؤال من غير التعنت) قيل اذا جالستَ عالماً فسل تفقهاً لا تعنتاً . وقال مسهر : سألت مالكاً عن شيء فقال لا تسألني عما لا تريد فتنسى ما تريد . وقال النبي « صلعم » ان بني اسرائيل هلكوا بكثرة سوالهم واختلافهم على انبيائهم

(النهي عن المناظرة) قال ابن المقفع لا تعرضنّ عقلك على الناس فاذا اضطرك أمر فكن كصاحب الشطرنج يبني أمره على القائمة فان وجد ضربة غريبة انتهزها واياك ان تبتدىء في مجلس لم تسبر عقول أصحابه فبين العقول بون بعيد

(ذم الجلبة والخوض في الكلام) قيل لا يميل الى الجلبة واللجاج الا من عجز عن الغلبة باللجاج . وقال المأمون لهاشمي حضر مجلسه فناظره وشغب :

لا ترفعنْ صوتك يا عبد الصمد * ان الصواب في الاسدّ لا الاشدّ

وقال عمر بن عبد العزيز لرجل كان يكثر الصياح والجلبة : اخفض الصوت فلو نيل خير برفع الصوت لادركه الحمير والكلاب

(المخالفة ودفع الصواب بالخطا) قالت اعرابية لابنها: اذا جلستَ مع القوم فان أحسنت ان تقول كما يقولون والا فخالفْ تُذكر . وقال اعرابي : اذا لم يكن لك في الخير اسماً فارفع لك في الشر علماً

(ذم مخالف كل صواب) وقال الله تعالى : « فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد »

وقال ديمقراطس : عالم معاند خير من جاهل منصف . فقال تلميذه : الجاهل لا يكون منصفاً والعالم لا يكون معانداً . وقيل كثرة الخلاف حرب وكثرة الموافقة غش

(المستأذن في سؤال مسئلة) قال ابن شبرمة لاياس بن معاوية : اتأذن لي في مسئلة القيها اليك . فقال اياس استربتُ بك حين استأذنتَ فان كنت لا تسوء جليساً ولا تشين مسؤلا فهاتها . قال أبو العيناء لعبدالله : أسأل أم اسكت . فقال ان سألت أفدت وان سكتّ كفيت

(شروط المناظرة) اجتمع متكلمان فقال احدهما : هل لك في المناظرة . فقال على شرائط ان لا تغضب ولا تعجب ولا تشغب ولا تحكم ولا تقبل على غيري وانا اكلمك ولا تجعل الدعوى دليلاً ولا تجوز لنفسك تأويل آية على مذهبك الا جوزتُ الى تأويل مثلها على مذهبي وعلى ان تؤثر التصادق وتنقاد للتعارف وعلى ان كلامنا تبنى مناظرته على ان الحق ضالته والرشد غايته . وقال ابو يعقوب الخطابي لجلسائه انما اجتمعتم للادب لا لجوار ولا نسب فوفوه حقه ولا تدابوا احداً فمن ثالب ثُلب واياكم والمراء في الاديان فانها مفسدة بين الاخوان ونقص عند أهل الزمان . وعليكم بالاصول ولا تكثروا فتملوا واستريحوا الى ما يوافق من الادب فانه غض ابداً غير مملول ولا تتجاوزوا في النحو قدر الحاجة فغاية الحاذق فيه معروفة . وقيل كان يعقوب الخطابي اذا جلس اليه أصحابه يقول اعفونا من ثلاث وخوضوا بعد فيما شئتم: من ذكر السلف وان تقولوا فلان خير من فلان ومن ذكر القدر

(مدح الجواب الحاضر) قال مسلمة بن عبد الملك : ما أولي العبد بعد الايمان بالله شيئاً أحب الي من جواب حاضر

قال عمرو بن العاص ما اتقيت جواب أحد من الناس غير جواب ابن عباس لبداهته . قال الحجاج : من لم يخف الجواب تكلم ومن خافه تبكم

(اضجاع القسي والاعتماد عليها في الخطاب) كانت العرب اذا اجتمعت للمناظرة والمفاخرة يضجعون قسيهم ويعتمدون عليها

وقال الحطيئة

اذا اقتسم الناس فضل الفخار * اطلنا على الارض ميل العصا

القسم التاسع

« في وصف الشعر والشعراء »

(جواز اجازة الشعراء) قال النبي« صلعم » اعطاء الشعراء من بر الوالدين . وقال في شاعر مدحه وعاتبه في بعض مافعله اقطعوا لسانه (يعني بالعطية). واعطى الزهري شاعرًا فقيل له في ذلك فقال : ان من ابتغاء الخير اتقاء الشر . وحرم الشعر الحجاج في أول مقدمة العراق فكتب اليه عبد الملك أجز الشعراء فانهم يجتبون مكارم الاخلاق ويحرضون على البر والسخاء . قال الشاعر :

صونوا القريض فانه * مثل المياسم في المواسمْ
الشعر جامعة المفا * خر والمحاسن والمكارمْ

(منفعة الشعر) قال الحجاج للمساور بن هند : لِمَ تقول الشعر ؟ فقال أُسقى به الماء وارعى به الكلاء وتقضى لي به الحاجة وان كفيتني تركته . وقال عمر بن الخطاب« ضه » الشعر يُسكن به الغيظ وتطفأ به النائرة ويُعطى به السائل .

وقال نعم الهدية للرجل الشريف الابيات يقدمها بين يدي الحاجة يستعطف بها الكريم ويستنزل بها اللئيم . وقال عبد الملك : تعلموا الشعر ففيه محاسن تُبتغى ومساوئ تُتقى

وقال أبو تمام الطائي :

ولولا خلال سنها الشعر مادرت * بغاة العلا من أين تؤتى المكارم

(ذم نسجه والتكسب به) قال الله تعالى « والشعراء يتبعهم الغاوون » وقال النبي «صلعم» شر الناس من اكرمه الناس اتقاء لسانه . وقيل لا تؤاخ شاعراً فانه يمدحك بثمن ويهجوك مجاناً . وُسئل بعضهم عن حوك الشعر فقال هو أسرى مروءة الدني وادنى مروءة السري . وُسئل عوف بن أمية السكوتي عن نسج الشعر فقال ان جددت كذبت وان هزلت أضحكت فأنت بين كذب واضحاك .

ولما حبس عمر بن الخطاب « رضه » الحطيئة بسبب الزبرقان ثم عفا عنه قال اياك والشعر . فأخرج لسانه وقال ما لاولادي كاسب غيره . قال عمر فلا تهجهم . فقال ان لم أهجهم لم يفرقوني فلا يعطوني . قال فاذهب فبئس الكسب كسبك

(تعظيم الشعر) مر الفرزدق بمؤدب وكان ينشد عليه صبي قول الشاعر :

وجلا السيول عن الطلول كانها * زَبر تجد متونها أقلامها

فنزل وسجد فقال المعلم ماهذا فقال هذه سجدة الاشعار نعرفها كما تعرفون سجدة الصلاة . ولما قدم أبو تمام على الحسن بن رجاء فأنشده قصيدته فيه حتى انتهى الى قوله :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالي

قام قائماً وقال : والله ماسمعتها الا وانا قائم لما تداخله من الاريحية فلما فرغ قال : ما احسن ماجلوت هذه العروس . فقال أبو تمام لو أنها من الحور العين لكان قيامك أوفى مهر لها

(ما استحبه الاكابر من فرص الشعر) قال معاوية لعبد الرحمن بن الحكم : انك قد لهجت بالشعر فإياك والتشبب بالنساء فتعر شريفة والهجاء فتهجن كريماً أو تثير لئيماً واياك والمدح فهو كسب الانذال ولكن افخر بآثر قومك وقل من الامثال ماتزين به نفسك وتؤدب به غيرك وان لم تجد من المدح بداً فكن كالملك المرادي حين مدح فجمع في المدح بين نفسه وبين الممدوح فقال :

احللت رحلي في بني ثعل * ان الكريم للكريم محلّ

وقال الشاعر :

اشغل قريضك بالنسيب وبالفكاهة والمزاحْ

يامادح القوم اللئام وطالباً نيل السماحْ

ذكر امرؤ القيس عند النبي « صلعم » فقال ذاك رجل مذكور في الدنيا منسي في الآخرة يجيء يوم القيامة وبيده لواء الشعراء يقودهم الى النار

(قال الاصمعي) مارأيت خمسة من العلماء قط الاواربعة منهم يقدمون امرأ القيس ولا أربعة الا وثلاثة منهم يقدمونه . وسئل بعضهم من أشعر العرب فقال امرؤ القيس اذا ركب . والاعشى اذا طرب وزهير اذا رغب . والنابغة اذا رهب وكان أبو عمرو يكثر وصف النابغة الذبياني وطبعه وحسن ديباجته ويقدمه بعد امرئ القيس قال ابن سلام لم يبقَ . في وصف الشعر شيئاً الا أتى به في الكلام . وكان معاوية يسمي الاعشى صناجة العرب يعني انه يطرب اطرابها . وذكر قوم جريراً والفرزدق فقال بعضهم جرير كان أنسبهما واسبهما . وسئل آخر عنهما فقال جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر فقال : الذي يغرف من بحر اشعر

(الممدوح باجادة نظم) ذُكر عند أبي بكر الشعراء فقال : أشعر الناس النابغة احسنهم شعراً وأعذبهم بحراً وأبعدهم غوراً . (وقيل) فلان اذا قال أسرع واذا مدح رفع واذا هجا وضع . (وسئل) البحتري عن ابي تمام فقال

مداحة نواحة

وقال يزيد بن الحكم متهكماً بحمزة بن بيض : انك لاستاذ الشعر فقال اني لادق الغزل وأصفق النسج وأرق الحاشية . وقال ابن مقبل اني لارسل القوافي عوجاً فتأتيني وقد ثقفتها

(الموصوف بالسلامة من الشعر) قال أبو تمام :

يود وداداً ان اعضاء جسمه * اذا أنشدت شوقا تثيه المسامعُ

وقيل لمعتوه ما أجود الشعر . فقال ما دل صدره على عجزه ولم يحجبه شيء دون بلوغه

(شاعر رديء النسج) أنشد رجل شعراً فقال لصاحبه كيف تراه . فقال سكر لا حلاوة له . وأنشد عمارة شعر ابي العتاهية فمجه سمعه وقال هو أملس المتون قليل العيون وما كان مثله من الشعر يسمى مغسولاً وأنشد رجل اعرابياً شعراً وقال هل تراني مطبوعاً . فقال نعم على قلبك

وقال ابن أبي عيينة :

أقمت حولاً على بيت نقومه * فلم تصب وسطا منه ولا طرفا

وقال الجماز :

كأن أشعاره اذا انتقدت * انصاف كتب ليست بمؤتلفه

(نهي المسيء عن نسجه) قيل لابن المقفع لمَ لا تقول الشعر . قال لان الذي ارتضيه لا يجيبني والذي يجيبني لا أرتضيه وقال الشاعر :

لا تعرضنّ الشعر ما لم يكن * علمك في ابحره بحرا

فلا يزال المرء في فسحة * من عقله ما لم يقل شعرا

(مفاضلة البديهة والروية ومدح الطبع) قال ابن الرومي في الحكم بينهما :

نار الروية نار غير منضجة * وللبديهة نار ذات تلويح

وقد يفضلها قوم لعاجلها * لكنه عاجل يمضي مع الريح

وقال معاوية لابن العاص انا آدب منك فقال انا للبديهة وأنت للروية وبينهما بون . ومما يؤكد تفضيل البديهة قول العبدي في وصف البلاغة « ان تصيب فلا تخطئ وتعجل فلا تبطئ »

(المعتذر لرفض طريقة من النسج) قيل لنصيب انك لا تحسن الهجاء فقال رأيت الناس ثلاثة رجال رجلاً لم أسأله فلا ينبغي ان أهجوه ورجلاً سألته فمنحني وهو الممدوح ورجلاً سألته فلم يعط فنفسي أحق بالهجاء اذ سولت لي ان أسأله . وقال عبد الملك للعجاج : بلغني انك لا تحسن ان تهجو فقال من يقدر على تشييد امكنة يمكنه اخرابها فقال ما يمنعك من ذلك قال ان لنا عزًا يمنع من ان نُظلم وحلمًا يمنع من ان نظلم فعلامَ الهجاء فقال كلامك أشعر من شعرك . وقيل لابي يعقوب شعرك في مراثي الحسن ليس كشعرك في مدحه فقال أين شعر الوفاء من شعر الرجاء

(المهجو بانه ينتحل الاشعار) ونظر أبو تمام الى سليمان بن وهب وقد كتب كتابًا فقال كلامك ذوب شعري . وعرض رجل على ابن الجلاب قصيدة للمتنبي وادعى انه قالها فقال ابن الجلايب هذه للمتنبي فقال الرجل هي قصيدتي ومسودتها عندي فقال ابن الجلاب فمبيضتها للمتنبي عندي . قال الصاحب لرجل عرض عليه شعرًا لو حلت عقاله لحق باربابه

دخل ابن زهير على معاوية فأنشده :

لعمرك ما أدري واني لاوجلُ * على اينا تعدو المنية أولُ

فقال معاوية عهدي بك لا تشعر فما لبث ان دخل معن فأنشده هذه الابيات فالتفت معاوية الى ابن زهير فقال كيف انتحلتها فقال ان معنًا أخي من الرضاع وأنا أحق بهذا الشعر منه

(التوارد في الشعر وادعاء ذلك) التوارد ان يتفق الشاعران في معنى من غير ان يسمع أحدهما بمقالة الآخر . وسئل أبو عمرو بن العلاء كيف يتفق الشاعران فقال عقول رجال توافت على السنتها

وقال آخر وقد أتى سلطاناً يمدحه فحرمه وزعم انه مسروق :

وهبني سرقتُ الشعر ثم مدحته * اما كان يؤتيني عليه جزائيا

وقال أبو المضاء :

لو ان جريرًا جاءه في زمانه * وأنشده شعرًا لقال تنحلا

وقال سهل البديهي :

وأرى القوافي لا تسير مطيعةً * الا الى المثرين من أدواتها

والطبع ليس بمقنع الا اذا * حصلت اضافته الى آلاتها

وقيل أصح الشعر وأسهله ما يقوله من بعثه انف او دخله كلف (من تداخله لسماعه الانفة والحمية) كان بالمدينة فتى يتعشق امرأة فودعته يوماً فلما اجتمعا غنت مغنية بهذا الصوت

من الخفرات لم تفضح أخاها * ولم ترفع لوالدها شنارا

فأبت الا الخروج فرجعت الى منزلها و بعثت الى الرجل الف دينار وقالت : ان رغبتَ فيَّ فاجعل هذا مهري واخطبني من ابي . ودخل رجل على ابي دلف فاستماحه فقال له أتسأل وجدك يقول

ومن يفتقرْ منا يعشْ بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسألِ

فقال نعم وتضجر فلقي وكيلاً لابي دلف يأتي بماله فسلبه واتصل الخبر بابي دلف فقال : أنا الذي علمته هذا فدعوه (شعر سائر) قال الكندي :

يقصر عن مداها الريح جريًا * وتعجز عن مواقعها السهامُ

تناهب حسنها حادٍ وشادٍ * فحث بها المطايا والمدامُ

وقال المسيب :

ترد المياه فلا تزال غريبةً * في القوم بين تمثل وسماعِ

(مفاضلة قصار الشعر وطواله) قيل لعقيل : لمَ لا تطيل الشعر فقال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق . وقالت مليكة بنت الحطيئة : يا أبتِ كنت ترغب

عن القصار فصرت ترغب فيها . فقال لانها في الآذان أولج وعلى الفكر اروج والناس اليها احوج . وقيل لآخر مثل ذلك فقال حسبك غرة لائحة وسمة واضحة . وقال آخر اذا مدحتم فاقصروا واذا هجوتم فأطيلوا فالشر لا يُمل

(اعتذار من اكدى في شعره أونادرته) قال عبد الملك لعدي بن ارطاة : لِمَ لا تقول الشعر فقال كيف أقوله وأنا لاأشرب ولا أطرب ولا أغضب . وقال الفرزدق ربما أتت علي ساعة وقلع ضرس اهون علي من قول بيت . واستأذن الغالبي على عباد فأذن له فأنشده :

لما انخنا بالوزير ركابنا * مستعصمين بجوده اعطانا

من لم يزل للناس غيثاً ممرعاً * متخرقاً في جوده . . . وأُنسي القافية

فجعل يردد فقال عباد قل (كشحانًا او قرنانًا) وخلصني فتذكر وقال: في جوده معوانًا . وتبع رجل جماعة من الشعراء دخلوا على سلطان فلما انشدوه قال للرجل ماعندك قال انا من الغاوين فقال مامعنى ذلك قال: قال الله تعالى « والشعراء يتبعهم الغاوون » فأنا غاوٍ تبعتهم فضحك منه واعطاه

(ضن الشاعر برديء شعره) قال عبد الله بن طاهر آفة الشاعر البخل لانه يقول خمسين بيتاً وفيها بيت رديء فلا يحتمل قلبه ان يسقطه

(قائل شعر استعاره من المقول فيه) قال أحمد بن أبي الخصيب :

واني وان احسنتُ في القول مرةً * فمنك ومن احسانك امتار هاجسي

تعلمت مما قلته وفعلته * فأهديت حلوًا من جنايَ لغارسِ

وقال ابن طباطبا :

لاتنكرنْ اهداءنا لك منطقاً * منك استفدنا حسنه ونظامه

فالله عزّوجل يشكر فعل من * يتلو عليه وحيه وكلامه

وحكي ان الصاحب دخل على عضد الدولة بهمدان وعضد الدولة مكب على دفتر يقرأه فقال ياأبا القاسم هذه رسالة لك في بعض فتوحنا نحن نأخذها بأسيافنا وأنت تحملها بأقلامك . فقال المعنى مستفاد من مولانا وان كانت الالفاظ

لخادمه ثم أنشده :

وأنت أكتب مني في الفتوح وما * تجري مجيباً الى شأوي ولا أمدي

فقال لمن البيت فقال لعبدك أبي اسحاق الصابئ وكان الصابئ محبوساً ببغداد فأمر بالافراج عنه والخلعة عليه فكان ذلك سبب خلاصه وتقدمه

(كلام نثر صار شعرًا من غير قصد) قال رجل لمنادٍ :

ياصاحب المسح تبيع المسحا * فقال صاحبه * تعال ان كنت تريد الربحا

فسمع أبو العتاهية ذلك فقال قد قالا شعرًا وهما لا يدريان

(ماجاء من الخبر موزوناً) كان النبي «صلعم» يحرض أصحابه على حفر الخندق ويقول:والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا وكان أصحابه يجيبونه : انك لولا أنت ما اهتدينا

(معرفة نقد الشعر) قال ابو عمرو انتقاد الشعر اشد من نظمه واختيار الرجل الشعر قطعة من عقله . وقيل انما يعرف الشعر من دفع الى مضايقه . وقيل كن على معرفة الشعر أحرص منك على حوكه . وقال الفرزدق لا يكون الشاعر متقدماً حتى يكون باختيار الشعر احذق منه بعمله . قال أبو أحمد ابن المنجم :

رب شعر نقدته مثل ما ينـ　　قد رأس الصيارف الدينارا

وقال آخر :

قد عرفناك باختيارك اذ كا　　ن دليلاً على اللبيب اختياره

(عذر من يعرف الشعر ولا يصوغه) قيل لابن المقفع لمَ لاتقول الشعر فقال انا المسن اسن الحديد ولا اقطع . وقيل لاديب : أشاعر انت فقال لا ولكني بهم خابر

(مذاهب الناس في نقده) مذاهب الناس في ذلك مختلفة فمنهم من يميل الى ما سهل فيقول خير الشعر مالا يحجبه شيء عن الفهم . وقال آخر خير الشعر مامعناه الى قلبك اسرع من لفظه الى سمعك . ومنهم من يقول ما كان مطابقاً

للصدق وموافقاً للوصف كما قيل

وان احسن بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

ومنهم من يميل الى ما انغلق معناه وصعب استخراجه كشعر ابن مقبل والفرزدق . وكثير من النحويين لايميلون من الشعر الى مافيه اعراب مستغرب ومعنى مستصعب . وقال يزدان المتطبب ان أبا العتاهية اشعر الناس لقوله :

فتنفست ثم قلت نعم حبًا م جرى في العروق عرقاً فعرقا

فقال له بعض الادباء انما صار اشعر الناس عندك من طريق المجسة والعروق

(مراتب الشعراء والشعر) قال الجاحظ يقال للمجيد فحل ولمن دونه مفلق ثم شاعر ثم شويعر ثم شعرور . وقيل اقسام الشعر أربعة ضرب حسن لفظه ومعناه واذا نُثر لم يفقد حسنه وذلك نحو :

في كفه خيزران ريحه عبق * من كف اروع في عرنينه شممُ
يغضي حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسمُ

وضرب حسن لفظه وحلا معناه نحو :

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسحُ
اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطي الاباطحُ

وضرب جاد معناه وقصر لفظه نحو :

خطاطيف حجن في حبال متينة * تمد بها ايدٍ اليك نوازعُ

وضرب قصر منعاه ولفظه نحو :

ان محلاً وان مرتحلاً * وان للسفر مامضى مهلاَ

وقيل الشعر ثلاثة اصناف شعر يُكتب ويروى وشعر يُسمع ويُكتب وشعر لايُكتب ولا يوعى

(كثرة الشعر في الناس) قيل الشعر أكثر من الكلام البليغ فقد تجد عشرة آلاف شاعر ولا تجد خطيباً

(المستحسن الانشاد) دخل ابو تمام على اسحاق المصعبي فقال له رأيت

المخزومي آنفًا وهو ينشد شعرًا فقال ايها الامير نشيد المخزومي يطرق بين يدي شعره وشعري يطرق بين يدي نشيدي . ومدح رجل آخر بحسن الانشاد فقال هو صناجة الشعر . وقال الفرزدق لعباء العنبري : حسن انشادك يزين الشعر في فهمي . وقيل اذا أنشدت المديح ففخم اوالمراثي فحزن او من النسيب فاخضع او الهجاء فسدد وبالغ

(المستقبح الانشاد) قال عبد الله بن معاوية

يزين الشعر افواه اذا نطقت * بالشعر يوماً وقد يزري بأفواهِ

القسم العاشر

« في الكتاب والكتابة »

(فضل الخط المستحسن) نظر الحسن بن رجاء الى خط حسن فقال خطك منتزه الالحاظ ومجتنى الالفاظ . ونظر اعرابي الى اسماعيل وهو يكتب بين يدي المأمون فقال ما رأيت أطيش من قلمه واثبت من حكمه

وقيل لبعضهم كيف ترى ابراهيم الصولي فقال

يولد اللؤلؤ المنثور منطقه * وينظم الدرّ بالاقلام في الكتب

وتحاكم الى الحسن بن سهل صبيان في خطيهما فقال لاحدهما خطك تبر مسبوك وقال للآخر خطك وشي محوك وقد تسابقتما الى غاية فوافيتما في نهاية

(من حسن خطه وخده) وصف أحمد بن ابي خالد جاريةً كاتبةً فقال كأنَّ خطها أشكال صورتها ومدادها سواد شعرها وقرطاسها أديم وجهها وقلمها بعض اناملها وبيانها سحر مقلتها

وقال الصاحب :

غزال يفتن الناسَ * مليح الخد والخطّ
فهذا النمل في العاج * وهذا الدر في السمط

قال الناشيء

كتبت اليكم اشتكي حرقة الهوى * بخط ضعيف والخطوط فنونُ
فقال خليلي ما لخطك هكذا * دقيقاً ضئيلاً ما يكاد يبينُ
فقلت حكاني في نحول ودقة * كذاك خطوط العاشقين تكونُ

ورأى محمد بن سعيد كتاباً بخط دقيق فقال هذا كتاب من يئس من طول حياته

(التثبت في الكتابة والاسراع فيها) قيل التثبت في الابتداء بلاغة وبعده عي وبلادة . وكان ابن المقفع كثيرًا ما يقف اذا كتب فقيل له في ذلك فقال ان الكلام يزدحم في صدري فاقف لتخيره . وقيل سرعة اليد محمودة ما أمنت نقصاً أو سقطاً

(النظر في كتاب الغير) قال الفضل بن الربيع كنت أقرأ في كتاب والى جانبي رجل من أهل المدينة فجعل ينظر فيه فلمحته وقلت ماتصنع ويحك قال بلغني ان النبي «صلعم» قال « من نظر في كتاب أخيه بغير اذنه فانما يتطلع في النار » ولنا أشياخ قد تقدموا فقلت لعلي أرى أعظمهم . وكتب بعض الكتاب كتاباً والى جنبه رجل يتطلع فكتب فيه « ولولا ان الطفيلي ملاناً يتطلع عليّ فيما أكتبه لشرحت كثيرًا مما في قلبي » فقال الرجل ياسيدي ما كنت أتطلع عليك فقال يابغيض فاذًا من اين علمت ما كتبت فيه

(ترشش المداد على الثوب) قال الحسن بن وهب :

وما شيء بأحسن من ثياب * على حافاتها سمة المداد

وقال آخر في نقيض هذا :

يدل على انه كاتبُ * سواد بأظفاره راسبُ

فان كان هذا دليلاً لنا * فاسكافنا كاتب حاسبُ

القسم الحادي عشر

« في آلات الكتابة »

(فضل القلم ووصفه) قال الله تعالى « والقلم وما يسطرون » وقيل كم من مآثر بنتها الاقلام فلم تطمع في دروسها الايام . ونظر المأمون الى مؤامرة بخط حسن فقال : لله در القلم كيف يزين وشي المملكة

(وصف قلم ممدوح بأنه يجدي ويردي قال ابن طباطبا :)

واذا انتضى قلما ليخ * طب خلت في يمناه نصلا

كم رد عادية الخطو * ب وكم أعز وكم أذلا

يجري فيؤمن خائفاً * ويصب في الاعداء نبيلا

ولابن ثوابة في وصفه :

كالنار يعطيك من نور ومن حرق * والدهر يعطيك من هم ومن جزلِ

(تفضيل القلم على السيف) قال محمد بن علي في ذلك :

في كفه صارم لانت مضار به * يسوسنا رغباً ان شاء أو رهبا

السيف والرمح خدام له أبداً * لا يبلغان به جداً ولا لعبا

فما رأينا مداداً قبل ذاك دما * ولا رأينا حساماً قبل ذا قصبا

(تفضيله على القلم) فاخر السيف القلم فقال القلم انا اقتل بلا غرر وانت تقتل على خطر فقال السيف : القلم خادم السيف ان نيل مراده والا فالى السيف معاده

(وصفه بأنه يكشف عن الضمائر) قال بعضهم القلم يزف بنات القلوب الى خدور الكتب

وقال ابن المعتز القلم يخدم الارادة ولا يمل الاستزادة يسكت واقفاً و ينطق سائراً . قال الشاعر :

نواطق الا انهن سواكت * يترجمن عما في الضمير مكتما

وقال ابن أبي داود : القلم سفير العقل ورسول الفكر وترجمان الذهن

(وصفه بأنه أخرس ناطق) قال محمد العلوي :

أخرس ينبيك بأطرافه * عن كل ماشئت من الامرِ

يذري على قرطاسه دمعة * يبدي بها السر وما يدري

كعاشق يخفي هواه وقد * نمت عليه عبرة تجري

(وصف دواة وقلم) قال الشاعر :

وزنجية لم تلدها الاناث * وفي جوفها من سواها ولدْ

(الحبر) قال بعض الادباء بالحبر تنصاغ حكم الاخبار و بسواده تتضح شبه الآثار . وقيل لوراق أخف رداءة خطك بجودة حبرك . وقيل عطروا كتب علومكم بالحبر فالحبر غالية والكتاب غانية

وقال كشاجم في من أعطاه محبرة :

محبرة جاد لي بها قمر * مستحسن الخلق مرتضى الخلقِ

كأنما حبرها اذا نثرت * اقلامنا طله على الورقِ

كحل مرته الجفون من مقل * نجل فأوفت به على يققِ

خرساء لكنها تكون لنا * عوناً على علم أفصح النطقِ

(لوح الحساب) قال كشاجم :

نعم المعين على الآداب والحكمِ * صحائف حلك الالوان كالظلمِ

جفت وخفت فلم يدنس لحاملها * ثوب ولم يخشَ فيها نبوة القلمِ

لو كنّ الواح موسى يوم أغضبه * هارون لم يلقها خوفاً من الندمِ

(نفع الكتب وكونها ذات انس) ذكر الجاحظ الكتب فقال : نعم الذخر والعدة والمستغل والحرفة ونعم القرين والدخيل والوزير والنزيل والكتاب هو الجليس الذي لايطريك والصديق الذي لا يغريك يطيل امتاعك ويشحذ طباعك . وقال ابن المقفع كل مصحوب ذو هفوات والكتاب مأمون العثرات . وقال الرفاء :

اجعل جليسك دفترًا في نشره * للميت من حكم العلوم نشورُ
ومفيد آداب ومؤنس وحشة * واذا انفردت فصاحب وسميرُ

وأنشد أبو محمد الخازن لنفسه :

فدفتري روضتي ومحبرتي * غدير علمي وصارمي قلمي
وراحتي في قرار صومعتي * تعلمني موقع القسمِ

(التمدح بالانفاق على الكتب والحث عليه) قيل لابن دراج وقد كتب شعر أبي الشمقمق في جلود كوفية : لقد ضيع دراهمه من يجود لشعر أبي الشمقمق : فقال لاجرم ان العلم يعطيكم على قدر ماتعطونه ولو استطعت ان أكتبه في سواد عيني أو سويداء قلبي لفعلت . وقيل اذا حويت الكتب فقد أحرزت الادب

(ذم من يجمع الكتب ولا يحفظها) قال محمد بن بشر :

أما لو أعي كل ما أسمعُ * وأحفظ من ذاك ما اجمعُ
ولم أستفد غير ماقد جمعت م لقيل هو العالم المصقعُ
ولكن نفسي الى كل شيء * من العلم تسمعه تنزعُ
فلا أنا أحفظ ما قد جمعت * ولا أنا من جمعه أشبعُ
ومن يك في دهره هكذا * يكن دهره القهقرى يرجعُ

(مدح ملازمة الكتب) قال أبو عمرو ما رأيت أحدًا في يده دفتر وصاحبه فارغ اليد الا اعتقدت انه أعقل وافضل من صاحبه . وكان عبد الله ابن عبد العزيز يلزم أبدًا المقابر ومعه شيء من الدفاتر فقيل له في ذلك فقال : لم

أرَ اوعظ من كتاب واسلم من الانفراد . ونظر المأمون الى بعض اولاده وفي يده كتاب فقال ماهذا قال بعض مايشحذ الفطنة ويؤنس الوحشة فقال الحمد لله الذي جعل في أولادي من يُنظر اليه بأدبه اكثر مما ينظر اليه بحسبه

(عدم اعارة الكتب واستمارتها) قال بعضهم مستعذرًا عن امتناع اعارته :

لصيق فؤادي منذ عشرين حجة * وصيقل ذهني والمفرج من همي
يعز على مثلي اعارة مثله * وآليته ان لا يفارقه كمي

وقال الشيخ ابو القاسم كتبت الى ابي القاسم بن أبي العلاء ابياتًا استعير منه شعر عمران ابن حطان وضمنتها ابياتًا لبعض من امتنع من اعارة الكتب الا بالرهن وابياتًا عارضها بها أبو علي ابن ابي العلاء في مناقضته فقلت :

ياذا الذي بفضله * اضحى الورى مفتخره
أصبحت يدعوني الى * شعر ابن حطان شره
فليعطنيه منعماً * عارية لاشكره
حلفت بالله الذي * أطلب منه المغفره
أن لا أعير أحدًا * الا بأخذ التذكره
بنكتة لطيفة * أبلغ منها لم أره
فامنن به مصطفيًا * سلوك طرق البرره

فأجابني بأبيات منها

اليك ابدي عادة * عودتها مشتهره
أن لا أعير أحدًا * لا رجلاً ولا مره
لا اقبل الرهن ولا * تذكر عندي تذكره
ولو حوت كفي بها * فضل الرضا والمغفره
ولو أتاني والدي * من بيته في المقبره
يروم سطرًا لم يجد * ما رامه وسطره

(معاتبة حابس دفتر) كتب بعض الادباء الى صديق له يطالبه برد دفتره :

ما بال كتبي في يديك رهينة * حبست على مر الزمان الاطولِ
ائذن لها في الانصراف فانها * كنز عليه اذا افتقرت معولي
ولقد تمنت حين طال ثواؤها * طال الوقوف على رسوم المنزلِ

وقال بعضهم في وصف كتاب كليلة ودمنة :

اذا افتخر الرجال بفضل علم * ومدَّت فيه السُنة طويله
ففاخر ما استطعت بما حوته * بطون كتاب دمنة مع كليله
كتاب يغرق البلغاء فيه * والباب الورى منه كليله
وكم فيه عجائب كامنات * على دنيا وآخرة دليله
وكم حكم على أفواه طير * وآداب وأمثال مقوله
يراها الجاهل المأفون هزلا * وحسبكها لعالمها فضيله

القسم الثاني عشر

« في الصدق والكذب »

(الممدوح بالصدق) قال النبي « صلعم » ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر . قال الجاحظ : اخبرني فلان وهو والكذب لا يجتمعان في طريق . وقال التنوخي :

والسنهم وقف على الصدق والوفا * وايمانهم وقف على القصد والعمى

(معيب بالكذب) ذم رجل آخر فقال : الكذب أحسن ما فيه (وهذا غاية الذم) . وقال رجل لابي حنيفة (رضه) ما كذبت قط . فقال أما أنا فقد شهدت

عليك بهذه . وقال رجل اما لا اكذب كذبة بألف . فقال صاحبه أماهذه فواحدة بدرهم . وقال بعضهم أسأت نظرًا فأطرقت خبرًا

وقال الرشيد للفضل بن الربيع كذبت فقال : يا أمير المؤمنين وجه الكذاب لايقابلك ولسانه لا يخاطبك « يعرض به لان الانسان لا يقابل نفسه ولايخاطبها » فاستحسن تعريضه فأولاه وما جفاه

(النهي عن الكذب وذمه) قال الله تعالى « انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله » وقيل الكذب عار لازم وذل دائم

وقيل ما عز ذو كذب ولو أخذ القمر بيديه ولا ذل ذو صدق ولو اتفق العالم عليه . وقال سليمان بن سعد لو صحبني رجل وقال لا تشترط عليّ الا شرطًا واحدًا لقلت لا تكذبني

(النهي عن رواية الكذب) قيل من حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين . وقال النبي « صلعم » من قال علي ما لم أقله أو رد شيئًا مما قلته فليتبوأ متعمده من النار . وقيل اياك ان تكون للكذب راويًا او واعيًا

(ترك الكذب صعب) قيل من استحلى الكذب عسر عليه فطام نفسه عنه . وقيل لرجل اترك الكذب فقال والله لو تغرغرت به وتطعمت حلاوته لما صبرت عنه . وقال يحيى ابن خالد قد رأينا شارب خمر قلع ولصاً نزع ولم نر كذابًا رجع . وقيل كل ذنب يرجى تركه اما بتوبة او انابة ما خلا الكذب فان صاحبه يزداد به ولوعًا على الكبر

(مضرة الكذب) قيل دع الكذب فانه يضرك حيث ترى انه ينفعك وعليك بالصدق فانه ينفعك حيث ترى انه يضرك . وقال اذا كذب السفير بطل التدبير واذا كذب الرائد هلك الوارد . الصدق عز والباطل ذل . وقيل من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه

النهي عن سماع الكذب) قيل اجعل قول الكذاب ريحًا لتستريح

وقال أبو تمام :

ومن يأذن الى الواشين تسلق * مسامعه بالسنة حداد

وقالوا نزه سمعك عن سماع الكذب كما تنزه لسانك عن التفوه به

(ما أجيز فيه الكذب) وقيل لفيلسوف متى يحمد الكذب قال : اذا قرب بين المتقاطعين : قيل فمتى يذم الصدق قال : اذا كان غيبة . أتى معاوية (رضه) بلص فقال زياد اصدق فقال الاحنف الصدق أحياناً معجزة

القسم الثالث عشر

« في السر »

(كتمان السر) قيل استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود . ومن حصن سره امن ضره

(الحث على حفظ السر) قيل من لم يكتم السر فقد استكمل الجهل وقيل سرك من دمك فانظر اين تريقه . ومن افشى سره كثر المتآمرون عليه

(المستوخم عاقبة افشاء السر) لما ولي عمر بن الخطاب (رضه) قدامة بن مظعون بدلاً من المغيرة أمره ان لا يخبر احداً فلم يكن له زاد فتوجهت امرأته الى دار المغيرة فقالت أقرضونا زاد الراكب فان أمير المؤمنين ولى زوجي الكوفة . فأخبرت امرأة المغيرة زوجها فجاء الى عمر واستأذن عليه وقال يا أمير المؤمنين وليت قدامة الكوفة وهو رجل قوي أمين . فقال ومن أخبرك قال نساء المدينة يتحدثن به فقال اذهب وخذ منه العهد

(من يكره اطلاعه على السر) قيل لا تطلعوا النساء على سركم تصلح اموركم . وقيل ما كتمته عن عدوك فلا تطلع عليه صديقك

(المتبجح بحفظ السر)　قيل لرجل كيف كتمانك السر قال قلبي قبره وصدري حبسه . وقال المتنبي :

وللسر مني موضع لا يناله　*　نديم ولا يفضي اليه شرابُ

(الممدوح بحفظه)　قال كشاجم :

ويكاتم الاسرار حتى انه　*　ليصونها عن ان تمر بخاطره

(مدح كتمان السر)　قال قتادة اذا تكلمت بالنهار فانظر من عندك وبالليل فاخفض صوتك . وقد نظمه الشاعر بقوله :

اخفض الصوت ان نطقت بليل　*　والتفت بالنهار قبل الكلامِ

ودنا رجل من آخر فكلمه فقال ليس هاهنا احد فقال من حق السر التداني

(صعوبة حفظ السر)　قيل أصبر الناس من صبر على كتمان سره فلم يبده لصديقه . والصبر على التهاب النار أهون من الصبر على كتمان السر

(عيب من لا يحفظ سره ويستحفظه غيره) قال الشاعر :

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه　*　فصدر الذي يستودع السر اضيقُ

وقال بشار :

تبوح بسرك ضيقاً به　*　وتبغي لسرك من يكتمْ

(ذم مفشٍ سره)　قيل فلان أنم من النسيم على الرياض . وقيل هو اضيع للاسرار من الغربال للماء . وقال ابن الرومي

(المسارة في المحافل)　قال النبي « صلعم » اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث . وكان مالك بن مسمع اذا سارّه انسان يقول اظهره فلو كان خيرًا لم يكن مكتوماً . قال الخيزارزي

اذا انت ساررت في مجلس　*　فانك في أهله متهمْ

فهـذا يقول قد اغتابني　*　وذا يستريب وذا يتهمْ

(الرخصة في افشاء السر الى الصديق) ليمَ بعضهم في افشاء السر فقال المصدور اذا لم ينفث جوى والمهجور اذا لم يشكُ الورى . قال محمود الوراق :

اذا كتم الصديق أخاه سرًّا * فما فضل الصديق على العدوّ

وقيل لايزال المرء في كربة ووحشة مالم يجد من يشكو اليه . وقال الشاعر :

لاتكتمن داءك الطبيبا * ولا الصديق سرك المحجوبا

(المتبجح باظهار اسرار أصدقائه) قال الشاعر :

ولا اكتم الاسرار لكن أنمها * ولا اترك الاسرار تغلي على قلبي

وان قليل العقل من بات ليلةً * تقلبه الاسرار جنباً الى جنبِ

وقال رجل لصديق له : اكتم سري الذي افشيته فقال : كلا لست اشغل قلبي بنجواك ولا اجعل صدري خزانة شكواك فيقلقني ماأقلقك ويؤرقني ماأرقك فتبيت بافشائه مستريحاً ويبيت بجره قلبي جريحاً

القسم الرابع عشر

« في النصح »

(فضل النصح) قال النبي « صلعم » الدين النصيحة وقال من غشنا فليس منا . وقال اوس :

وان قال لي ماذا ترى يستشيرني * فلم يك عندي غير نصح وارشادِ

(الحث على قبول النصح وان كان مرًّا) قيل من أحبك نهاك ومن أبغضك اغراك . وقيل النصيحة أمن الفضيحة

(معاتبة من لم يقبله) من لم يقبل رأي أصحابه وان احزنوه عاد ضرره عليه

كالمريض الذي يترك مايصف له الطبيب و يعمد لما يشتهيه فيهلك . وقال العرجي :

عرضت نصيحة مني ليحيى * فقال غششتني والنصح مرٌّ

(ضياع النصح لمن لايقبله) قال الخيزارزي :

ان كان حمدي ضاع في نصحكم * فان أجري ليس بالضائع

(معاتبة من يستنصح الناس و يستغش الناصح) قال عبد الله بن همام :

وقد يستغش المرء من لايغشه * ويأمن بالغيب امرأ غير ناصح

وقال آخر :

الا رب نصح يغلق الباب دونه * وغش الى جنب السرير مقرب

(الحث على الغش لمن لايقبل النصح) قال عثمان البتي اذا نصحت الرجل فلم يقبل منك فتقرب الى الله بغشه . وأنشد الثوري فيمن لم يقبل نصيحته :

فلما أبى نصحي سلكت طريقه * واوسعته من قول زور ومن غش

(كون الناصح متهماً) شاور المأمون يحيى بن أكثم فكان الرأي مخالفاً لهوى المأمون فقال يحيى ما أحد بالغ في نصيحة الملوك الا استغشوه قال ولم يايحيي قال لصرفه لهم عما يحبون الى مالعلهم يكرهون في الوقت والهوى اله معبود

(وصف غاش في نصحه) قال معاوية لعمرو بن العاص هل غششتني منذ استنصحتك قال لا فقال ولا يوم اشرت علي بمبارزة علي وأنت تعلم من هو فقال كيف وقد دعاك رجل عظيم الخطر كنت من مبارزته الى احدى الحسنيين ان قتلته فزت بالملك وازددت شرفاً الى شرف وان قتلك تعجلت من الله تعالى ملاقاة الشهداء والصديقين . فقال وهذا أشد من الاول فقال او كنت من جهادك في شك فقال دعني من هذا . وقال حارثة بن بدر لمن يرد نصيحته :

اعاذل ان نصحك لي عناء * فحسبك قد سمعت وقد عصيتُ

القسم الخامس عشر

« في الوعظ والمتعظين والآمرين بالمعروف »

(نهي من لا يتعظ عن الوعظ) قال رجل لامير المؤمنين عظني وأوجز فقال توقَّ ماتعيب . وقال أيضاً لا تأتِ ماتعيب ولا تعب ماتأتي . وجاء رجل الى ابن عباس فقال اني اريد ان اعظ فقال : او بلغت ذلك ان لم تخش ان تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله تعالى فافعل قال ماهي قال قول الله تعالى « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لمَ تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » وقول العبد الصالح شعيب « ما اريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه » أأحكمت هذه الآيات قال لا قال فابدأ اذا بنفسك

(الحث على الوعظ بالفعال دون المقال) قال بقراط لا تحث غيرك على فعل الفضائل ما لم تُستكمل فيك فافعالك تحث على المحاسن أكثر من مقالك . وقال ابو جعفر النيسابوري : ليس الحكيم الذي يلقنك الحكمة تلقيناً انما الحكيم الذي يعمل العمل فتقتدي به . وقال أبو هاشم أخذ المرء نفسه بحسن الادب تأديب أهله . ومن هذا قول محمود الوراق :

رأيت صلاح المرء يصلح اهله * ويعديهم داء الفساد اذا فسد

(التلطف والملاينة في الوعظ) تصدى رجل للرشيد فقال اني أريد ان اغلظ عليك في المقال فهل أنت محتمل . قال لا لان الله تعالى ارسل من هو خير منك الى من كان شرًّا مني فقال « فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر اويخشى » . وقيل الواجب لمن يعظ ان لا يعنف ولمن يوعظ ان لا يأنف

(الحث على الاتعاظ) من قل اعتباره قل استظهاره . من لم يتعظ بغيره وعظ الله به غيره . وقال حكيم السعيد من وُعظ بغيره والشقي من وُعظ به غيره . وقيل

يالها من موعظة لو وافقت في القلوب حياة

(النهي عن وعظ من لا يتعظ) وعظ من لا يرعيك سمعه ولا يشحذ وعظك طبعه كمن وضع مائدة لاهل القبور ورام بخرقة تليين الصخور . وقيل لا ينجع الوعظ في القلوب القاسية كما لا يزكو البذر في الارض الجاسية . وقيل من استثقل سماع الحق فهو للعمل به اكثر استثقالاً

(الحث على قبول وعظ من ليس بمتعظ) قال بعضهم لا يمنعكم سوء ماتعلمون منا ان تعملوا بأحسن ما تسمعون منا ووقف رجل على ابن عيينة وهو يعظ الناس فأنشده :

وغير تقي يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوي والطبيب مريض

فأنشده ابن عيينة :

اعمل بعلمي وان قصرت في عملي * ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري

وقال يوسف بن الحسين الرازي في دعائه : اللهم انك تعلم اني نصحت للناس قولاً وخنت نفسي فهب خيانتي لنفسي لنصيحتي للناس

(الحث على الامر بالمعروف) قال الله تعالى « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » وقال ابو بكر سمعت النبي « صلعم » قال ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده عمهم الله بعقابه

(الموضع الذي يجوز فيه ترك الامر بالمعروف) قال الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » قال رسول الله « صلعم » ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر واذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً واعجاب كل امرئ برأيه فعليك بنفسك ودع امر العوام

(من استفتي فيما لا يعرفه فانفصل عنه بحيلة) قالت امراة لرجل اذا كان مكوك دقيق بدرهم ودانق كم يكون بأربعة دراهم . فلم يعرف جوابها فقال ممن اشتريت قلت من فلان قال اقنعي بما يعطيك فانه ثقة

القسم السادس عشر

« في الخطبة »

(ما يحتاج اليه في الخطبة) قيل يجب ان يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ جهير الصوت وان يضع في صدر كل خطبة ما يدل على عجزها وان يكون فيها آيات والا كانت شوهاء ولذلك قال عمران بن حطان : اول خطبة خطبتها عند زياد فقال هذا الفتى اخطب الناس لو كان في خطبته شيء من القرآن وليس من السنة التمثل فيها بالشعر

(صعوبة توليها) قيل لعبد الملك أسرع اليك الشيب فقال كيف لا وأنا اعرض عقلي في كل جمعة على الناس . وقيل نعم الشيء الامارة لولا قعقعة البريد وصعوبة المنبر . وقيل اياك والخطبة فانها مشوار كثير العشار . وقيل لا يقدم على الخطبة الا فائق او مائق . وقال عبد الله القسري . هو مقام لا يقومه الا أهوج او قليل الحياء . وقال عمر «رضه» لا يتصعدني شيء كما تتصعدني خطبة عقد الزواج . وقيل انما صعب عليه لقرب الوجوه من الوجوه ومن صعد المنبر رأى نفسه ارفع فيكون أجسر

(من ارتج عليه فيها فاعتذر بعذر حسن) صعد خالد بن عبدالله القسري المنبر فارتج عليه فقال : ان هذا الكلام يجيء أحياناً ويعسر أحياناً وربما طُلب فأبى وكوبر فعتا والتأني لمجيئه أيسر من التعاطي لابيه . وقد يختلط من الجريء جنانه وينقطع من الذرب لسانه وسأعود فأقول . وارتج على ابي العباس السفاح لما صعد المنبر فنزل ثم صعد وقال : ايها الناس ان اللسان بضعة من الانسان يكل بكلاله اذا كل ويرتجل لارتجاله اذا ارتجل ونحن امراء الكلام بنا تفرعت فروعه وعلينا تهدّلت غصونه الا وانا لا نتكلم هذرا بل نسكت معتبرين وننطق مرشدين

(الامر بالاغضاء عنه لئلاّ يدهش) صعد اعرابي المنبر فلما رأى الناس يرمقونه صعب عليه الكلام فقال : رحم الله عبدًا قصر من لفظه ورشق الارض بلحظه ووعى القول بحفظه . وصعد روح بن حاتم المنبر فلما رفع الناس أبصارهم قال لهم : نكسوا رؤوسكم وغضوا أبصاركم فان أول مركب صعب

(وصف خطيب مصقع) قال الشاعر :

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحي الملاحظ خيفة الرقباء

(جماعة من مشاهير الخطباء) منهم قس بن ساعدة ولقيط بن معبد وزيد بن جندب وصعصعة ابن صوحان وقطرى بن الفجأة وعمران بن حطان . ومن الخطباء القدماء كعب بن لؤي وكان يخطب على العرب كافة فلما مات اكبروا موته . ومن خطباء اليمن حمير بن الصباح وكان المفضل بن عيسى الرقاشي من أخطب الناس . ومن السنة ان يتناول الخطيب سيفاً أو قوساً يمسك به نفسه

(ذم خطيب) قال واثلة الدوسي :

لقد صبرتْ للذل أعواد منبر * يقوم عليها في يديك خطيبُ

بكى المنبر الشرقي لما علوته * وكادت مساميرالحديد تذوبُ

وقال منصور بن ماذان :

أقول غداة العيد والقوم شهدٌ * ومنبرنا عالي البناء رفيعُ

لعمري لان اضحى رفيعاً فانه * لمن يرتقي اعواده لوضيعُ



الحد الثاني

﴿ في السيادة والولاية ﴾

القسم الاول

« في حد السيادة »

قيل لحكيم ما السؤدد . قال حمل المكاره وابتناء المكارم . وقيل بذل الندى وكف الاذى ونصرة المولى وتعجيل القرى . وقيل للاحنف ما السيد قال من حمق في ماله وذل في نفسه وعني بأمر عشيرته . وقيل من اذا حضر هابوه واذا غاب ما اغتابوه . وقيل من أورى ناره وحمى ذماره ومنع جاره وأدرك ثاره

(الاحوال الشاقة التي تبلغ بها الرئاسة) قال بعضهم لرجل من بني شيبان بلغني ان السؤدد فيكم رخيص فقال اما نحن فلا نسود الا من أرطأنا رحله وأفرشنا عرضه وأخدمنا نفسه وبذل لنا ماله فقال وأبيك اذا فهو فيكم غالٍ . وقال أمير المؤمنين علي انما يستحق السيادة من لا يصانع ولا يخادع ولا تغره المطامع . وقال معاوية لعرابة الأوسي : بمَ سدتَ قومك فقال لست بسيدهم ولكني رجل أعطيت في نائبتهم وحلمت عن سفيههم وشددت على يد حليمهم وعطفت على ذي الخلة منهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن قصر عني فأنا أفضل منه ومن تجاوزني فهو أفضل مني . وقال الاحنف من كان فيه أربع خصال ساد قومه غير مدافع : من كان له دين يحجزه وحسب يصونه وعقل يرشده وحياء يمنعه . وقيل من احب الرآسة صبر على مضض السياسة . وقال الخبزارزي :

فقل لمرجي معالي الامور * بغير اجتهاد طلبت المحالا

(أحوال يجب للرؤساء تجنبها) قال معاوية « رضه » لا ينبغي للملك ان يكون كذابًا لانه ان وعد خيرًا لم يرج وان اوعد شرًا لم يخف ولا غاشًا لانه لم ينصح ولا تصح الولاية الا بالمناصحة ولا حديدًا لانه اذا احتد هلكت رعيته ولا حسودًا لانه لا يشرف أحد فيه حسد ولا يصلح الناس الا بأشرافهم ولا جبانًا لانه يجترىء عليه عدوه وتضيع ثغوره . وقال بعضهم اكره المكاره في السيد وأحب ان يكون عاقلاً متغافلاً كما قال ابو تمام الطائي

ليس الغبي بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابي

وقال ذو القرنين لارسطوطاليس لما أراد الخروج : عظني بما استعين به في سفري فقال : اجعل تأنيك امام عجلتك وحيلتك رسول شدتك وعفوك ملك قدرتك وأنا ضامن لك قلوب الرعية ان لم تحرجهم بالشدة عليهم ولم تبطرهم بفضل الاحسان اليهم

(الحث على تسويد الكبار) قال قيس بن عاصم لبنيه : اذا مت فسودوا كبارکم ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم فتهانوا . وقيل من لم يسد قبل الاربعين لم يسد بعدها

(وصف صغار سادوا باستحقاق) لما ولى المأمون يحيى بن اكثم قضاء البصرة وكان من ابناء نيف وعشرين سنة أراد بعض أهل البصرة ان يعيره بذلك ويضع منه فقال : كم سن القاضي فقال سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله « صلعم » مكة . قال بن الجهم :

اغير كتاب الله تبغون شاهدًا * لكم يا بني العباس بالمجد والفخر

كفاكم بأن الله فوض أمره * اليكم واوصى ان اطيعوا أولي الامر

وقال أبو العتاهية :

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر اذيالها

فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

(كون الانسان رئيساً حيثما كان) قال المتنبي :

ان حل في فرس ففيها ربها * كسرى تذل له الرقاب وتخضعُ
او حل في روم ففيها قيصر * او حل في عرب ففيها تبعُ

(رئيس يتلوه رؤساء) قال علي ابن الجهم :

كانه وولاة العهد تتبعه * بدر السماء تلته الانجم الزهرُ

وقال أحمد بن أبي طاهر :

كأن علياً وابناءه * هلال تحف به الانجمُ

(أمير الامراء) قال الشاعر :

ولو جمع الائمة في مقام * تكون به لكنت لهم اماما

(من هو رأس القوم وروحهم) قيل الملك كالرأس واعوانه كالجوارح صلاحها بصلاحه . وقال منصور النمري :

الناس جسم وامام الهدى * رأس وأنت العين في الرأسِ

وقال الماني :

لو يكتب الناس أسماء الملوك اذاً * اعطوك موضع بسم الله في الحسبِ

وسئل بعضهم عن رئيسهم كيف هو فقال هو فينا مكان الروح في الجسد

(وصف قوم كلهم رؤساء) قال احمد بن طاهر :

كلهم سيد فمن تلقَ منهم * قلتَ هذا أولى بحل وعقدِ

وقال العرندس :

من تلقَ منهم تقلْ لاقيت سيدهم * مثل النجوم التي يسري به الساري

(قوم توورثت فيهم السيادة) قال طريح :

مثل نجوم السماء ان افلتْ * منها نجوم بدت نظائرها

وقال وهب الهمذاني :

صدر المجالس حيث كا   ن لانه صدر المجالس

وقال عمرو بن هداب : كنا نعرف سوءدد سلم بن قتيبة بانه يركب وحده ويرجع في عدة وكان ملك بن مسمع صاح يوماً فوافى بابه عشرون الف مدجج وسأل عبد الملك عنه فقيل لو غضب لغضب لغضبه مائة الف يبذلون له أنفسهم وأموالهم ولا يسألونه فيم غضب فقال هذا وأبيك السوءدد

(الموصوف بأنه ناصر الدولة) قال روءبة في أبي مسلم :

مازال يأتي الامر من أقطارهِ * على اليمين وعلى يسارهِ
مشمرًا ما يصطلى بنـارهِ * حتى استقر الملك في قرارهِ

قال المنصور يوماً للمهدي ما أُيدت بما أُيد به من كان قبلي أيد معاوية بزياد وأيد عبدالملك بالحجاج « قال » فقلت قد أيدت بمن فوقهما فقال تعني أبا مسلم. قلت نعم قال قد كان كذلك لكن خيرنا بين ان يقتلنا او نقتله فاخترنا قتله

(من انقادت الايام لطاعته) قال ابو الشيص :

ملك كأن الموت يتبع قوله * حتى يقال تطيعه الاقـدارُ

(من كان القضاء يجري بأمره) قال التنوخي :

يكون كما شاء القضاء كانه * بأمرهم في الخلق سارٍ وواقعُ

(فقير متولٍ للرئاسة) قال الشاعر :

يسود ذا المال القليل نوالهُ * مروءتهُ فينا وان كان مصرما

(من نال السيادة بنفسه) قال المأمون خمسة ملكوا الاقاليم برأيهم وشجاعتهم الاسكندر نهض من الروم فملك الاقاليم السبعة وازد شير رد ما انتشر من ملك اقليم بابل على حداثة سنه وبهرام جور نهض في ثلاثمائة فارس فقتل خاكان وانو شروان اتى دار مملكة ابيه فملكها وابو مسلم نهض لدعوتنا وهو ابن ثماني عشرة سنة

(والٍ مراعٍ لرعيته) وصف اعرابي والياً فقال كان اذا ولى طابق بين جفونه

وارسل العيون على عيونه فهو شاهد معهم غائب عنهم فالمحسن آمن والمسيء خائف . وقيل من دبر حاشيته ضبط قاصيته

(صلاح الرعية لصلاح الرعاة) قال رسول الله « صلعم » لن تهلك الرعية وان كانت ظالمة مسيئة اذا كانت الولاة هادية مهدية . وقيل زمانكم سلطانكم فاذا صلح سلطانكم صلح زمانكم . وقال بزرجمهر اذا همّ الامام بظلم ارتفعت البركة

(صلاح الولاة بصلاح الرعية) قال عبد الملك انكم لتسومون منا فعل أبي بكر وعمر ولستم تعملون بعمل رعيتهما فأعان الله كلا على كلٍ . وكتب المهدي في جواب كتاب جاءه بشكوى عامل « ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم » وقيل شيئآن صلاح احدهما بصلاح الآخر الرعية والسلطان

(خصب الزمان بعدل الولاة وجدبه بجورهم) قال ابن عباس ان الارض لتزين في عين الخليقة اذا كان عليها امام عادل وتقبح في أعينها اذا كان عليها امام جائر . وروي ان أبرويز نزل بامرأة متنكرًا فحلبت بقرة لها فرأى لبنًا كثيرًا فقال للمرأة كم يلزمك في السنة لهذه البقرة للسلطان . قالت درهم واحد قال واين ترتع وبكم ينتفع منها قالت ترتع في ارض السلطان ولي منها قوتي وقوت عيالي فتفكر في نفسه وقال ان الواجب ان تُجعل اتاوة على الابقار فلاصحابها نفع عظيم فما لبث ان قالت المرأة اواه ان سلطاننا همّ بجور فقال لها ابرويز ولِمَ قالت ان در البقرة انقطع وان جور السلطان مقتضٍ لجدب الزمان كما ان عدله مقتض لخصب الزمان فاقلع ابرويز عما همّ به وتاب مما خطر بقلبه وكان بعد ذلك يقول : اذا هم الامام بجور ارتفعت البركة . وقال سقراط : ينبوع فرح العالم الملك العادل وينبوع حزنهم الملك الجائر . وقال الفضيل بن عياض : لو كان لي دعوة مستجابة لم اجعلها الا في الامام لانه اذا صلح اخصبت البلاد وامن العباد فقبل ابن المبارك راسه وقال من يحسن هذا غيرك . وقيل عدل السلطان خير من خصب الزمان وسلطان عادل خير من مطر وابل

(تفويض كل امر الى المستصلح له) قال الاسكندر لارسطوطاليس : اوصني في عمالي قال انظر الى من كان له عبيد فأحسن سياستهم فوله الجند ومن كانت له ضيعة فأحسن تدبيرها فوله الخراج . قدم جماعة من فارس الى المهدي يشكون عاملهم فقالوا للوزير وليت علينا رجلاً ان كنت قد عرفته و وليته علينا فما خلق الله رعية اهون عليك منا وان كنت لم تعرفه فما هذا جزاء الملك وقد سلطك الله على سلطانه. فدخل الوزير على المهدي فأخبره وخرج فقال ان هذا رجل كان له علينا حق فكافأناه فقالوا كان مكتوباً على باب كسرى العمل للكفاءة من العمال وقضاء الحقوق على بيت المال فأمر بعزل ذلك العامل عنهم

(تفضيل الفاجر الكافي على الضعيف التقي) قال عمر : اعضل بي اهل الكوفة : اذا وليت عليهم الفاجر القوي فجروه واذا وليت المؤمن الضعيف هجنوه فقال المغيرة . المؤمن الضعيف له ايمانه وعليك ضعفه والفاجر القوي لك قوته وعليه فجوره. قال صدقت وولاه الكوفة

(تفويض الامر الى الكافي وان كان خائناً) قيل فوض الامر الى الكافي وان كان خائناً فالمضيع شر من الخائن لان التضييع من طبع الجهل ولا حيلة في الجهل والخيانة معصية وذنب ويمكن التوبة منه . وقيل لاحاجة في الاحمق وان كان أميناً

(الاستعانة بالموثوق به وان لم يكن كافياً) قيل لا تستنصحن غاشاً وان كان كافياً فمن استعان بأمين ربح عدم التهمة . واراد المأمون ان يشخص عبد الله ابن طاهر الى ناحية وقال له استخلف فأطرق فقال له المأمون مالك تتفكر فقال ان استخلفت من يستقل بخدمتك خفته وان استخلفت من أثق به لم آمن تقصيره فقال استعمل من تثق به وانا اقومه

(الصبر على خيانة الولاة) قيل : لا مال لمن لم يصبر على خيانة الوكلاء وتضييع الولاة . وكان مروان بن الحكم له غلام وكله بأمواله فقال له يوماً أظنك تخونني فقال قد يخطئ الظن اتخذتني في مدرعة صوف ولم أملك قيراطاً وأنا اليوم

أتصرف في الوف واتبختر في خزوز اني أخونك وأنت تخون معاوية ومعاوية يخون الله

(تفويض الامر الى من يتفرس فيه الخير) قال أبو بكر في عمر لما عهد له اني استعملت عليكم عمر فان برّ وعدل فذاك علمي به ورأيي فيه وان جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . واستشار عمر بن عبد العزيز في قوم يوليهم فقيل عليك بأهل القدر الذين ان عدلوا فذلك ما رجوت فيهم وان قصروا قال الناس قد اجتهد عمر

(نهي الوالي عن تفويض الامر الى ذريته) قال بعضهم اياك والاستعانة بالاقارب فتبلى

(حث السلطان على كفاية من يوليه) قال بعض الاكاسرة اذا استكفيت رجلاً فأسن رزقه وقوِّ عضده واطلق بالتدبير يده ففي اسنان رزقه حسم طمعه وفي تقوية يده ثقل وطأته على أهل العدوان وفي اطلاق التدبير له اخافته عواقب اموره . وقال المنصور يوماً لجنده صدق القائل اجع كلبك يتبعك فقال بعضهم كلا فربما يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك ففد قيل منع خيرك يدعو الى صحبة غيرك فقال صدقت

(السياسة بالرغبة والهيبة) كان انو شروان يوقع في عهود الولاة « سسْ خيار الناس بالمحبة وامزج للعامة الرهبة بالرغبة وسسْ السفلة بمجرد الهيبة » ولما وفد سعد العشيرة في مائة من أولاده على ملك حمير سأله عن صلاح الملك فقال معدلة شائعة وهيبة وازعة ورعية طائعة ففي المعدلة حياة الانام وفي الهيبة نفي الظلام وفي طاعة الرعية حسن الاسلام . قال انو شروان ان هذا الامر لا يصلح له الا لين في غير ضعف وشدة في غير عنف . ودخل أبو معاذ على المتوكل حين استخلف فأنشدهُ :

اذا كنتمُ للناس أهل سياسةٍ * فسوسوا أكرام الناس بالرفق والبذلِ

وسوسو الئام الناس بالذل يصلحوا * على الذل ان الذل يصلح للنذل

(السياسة بالملاينة) أوصى عمر بن عبد العزيز واليًا فقال : عليك بتقوى الله فانها جامع الدنيا والآخرة واجعل رعيتك الكبير منهم كالوالد والوسط كالاخ والصغير كالولد فبرّ والدك وصل أخاك وتلطف بولدك

(الحث على ترك التتبع والرسوم الجائرة) كتب بعض الوزراء الى عامل « سوق السعاة عندنا كاسدة والسنتهم لدينا معقولة ولم نرد هذه الناحية لاحياء العظام الناخرة ولا لتتبع الرسوم العافية عامل الناس بما في ديواننا فانها أيام قلائل فاما ذكر الابد اوخزي الابد وتجنب ان تكون كما قال جرير :

وكنت متى حللت بدار قوم * حللت بخزية وتركت عارا

وقيل لا ينبغي للوالي ان ينقض سنة اجتمعت عليها الالفة وصلحت عليها العامة . وكتب الى انوشروان عامل له بناحية يعلمه جودة الريع بها و يستأذنه في الزيادة على الرسم فامسك عن اجابته فعاوده العامل في ذلك فكتب اليه « قد كان في تركي اجابتك عن كلامك ماحسبتك تنزجر به عن تكلف مالم تؤمر به فاذ قد أبيت الا تماديًا في سوء الادب فاقطع احدى اذنيك واكفف عما ليس من شأنك فقطع العامل احدى اذنيه ائتمارًا له

(حث الولاة على مراعاة الديانة) قال اردشير الدين والملك اخوان لاغنى بأحدهما عن الآخر فالدين أس والملك حارس والبناء مالم يكن له أس فمهدوم والملك مالم يكن له حارس فضائع

(حث السلطان على اعتبار ظاهر الرعية دون بواطنهم) قال بعض الملوك أنا املك الاجساد لا النيات واحكم بالعدل لا بالرضا وافحص عن الاعمال لا عن السرائر . وقال معاوية الناس اعطونا سلطانًا واعطيناهم امانًا واظهروا لنا طاعة تحت حقد واظهرنا لهم حلمًا تحت غضب . وقال شاعر :

لقد أحلك من يعصيك ظاهره * وقد أطاعك من يعصيك مستترا

(حث الوالي على اكتساب مودة الرعية) كتب ارسطوطاليس الى

الاسكندر : املك الرعية بالاحسان اليها تظفر بالمحبة منها فان طلبك ذلك باحسانك أدوم بقاء منه باعتسافك واعلم انك انما تملك الابدان فتخطها الى القلوب بالاحسان واعلم ان الرعية اذا قدرت ان تقول قدرت ان تفعل فأحسن قولها تأمن فعلها . وقال علي بن عبدالله بن عباس : تطلب محبة الرعية فطاعة المحبة افضل من طاعة الهيبة

(نفع الانصاف وكونه سبب العمارة) قيل لايكون العمران حيث يجوز السلطان . وقال عمرو بن العاص : سلطان عادل خير من مطر وابل وعدل قائم اجدى من عطاء دائم وسبع حطوم خير من والٍ غشوم عدل السلطان خير من خصب الزمان . وكتب عامل الى عمر بن عبد العزيز ان مدينتنا قد خربت فقال اعمرها بالعدل وانظف طرقها من الظلم والسلام . وقال انو شروان: حصن المملكة بالعدل فهو سور لايغرقه ماء ولاتحرقه نار ولا يهدمه منجنيق . ورفع الى كسرى ان مع فلان مالاً عظيماً يرجح على ما في بيت المال فوقع « ماله مالنا وخصب الزمان خصبنا »

(وصية الكبار بتحري الانصاف) كان كسرى يقيم رجلين عن يمينه وشماله اذا قعد للنظر في أمور الناس فكان اذا زاغ حركاه بقضيب كان معهما وقالا له والرعية يسمعون « أيها الملك انتبه أنت مخلوق لاخالق وعبد لامولى ليس بينك وبين الله قرابة انصف الناس وانظر لنفسك» . ودخل اسقف نجران على مصعب فكلمه بشيء أغضبه فرماه بمحجن فقال الاسقف ان لم يغضب الامير حدثته بحديث فقال حدث فقال في الانجيل الشريف « لايجب للامام ان يظلم وبه يُلتمس العدل ولا ان يسفه ومنه يُطلب الحلم » فاعتذر منه وندم

(مدح العفة والامانة) قال الله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان ا‍ ... الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها » وقال « ان الله لايحب كل خوان أث‍ ... وقال النبي « صلعم » لا ايمان لمن لا أمان له . وقال بعضهم اذا لم تكن ... فبت آمنا . وقال الجاحظ سقى الله قبر الاحنف حيث يقول : الزم الصحة يلز ...

العمل . وقيل من أحرز العفاف لم يعدم الكفاف . وقال معاوية « رضه » من وليناه أمرًا فليلزم الرفيعين الامانة والعدل

(منع الوالي عن قبول الهدية) قال النبي « صلعم » الهدية تذهب السمع والبصر . وقال اذا دخلت الهدية من الباب خرجت الامانة من الكوة . وبلغ انو شروان ان بعض عماله قبل هدية فاحضره فلما دخل عليه قال هل قبلت الهدية فقال نعم فقال ان قبلتها لتستكفيه شيئاً لم تكن تستكفيه لولاها انك لخائن وان قبلتها ولم تكافئه انك للئيم وائن كافأته بسطت لسان رعيتك عليك ذمّاً فمن أتى صنيعاً لا يخلو من هذه الثلاثة رغبنا عنه ـ وعزله . وقال الحجاج لوال لا تقبل الهدية فصاحب الهدية لا يرضى بعشر امثالها

(مدح من لا يتكسب في ولايته ولا ينفق) اجتمع عند المنصور يزيد بن اسيد ومعن بن زائدة وعدة من الاماثل فقال معن : ولاني أمير المؤمنين موضع كذا فحملت اليه كذا وكذا وانت ولاك ارمينية فبعثت اليه بشربة طبيخ . فقال يزيد يا أمير المؤمنين ايما احب اليك الضنين بامانته او الجواد بخيانته فقال المنصور بل الضنين بامانته . وولى مصعب جد الاصمعي الاهواز فعاد ولم يكن له الا درهمان فقيل له في ذلك فقال ما وجدت الا رجلاً لهُ مالي وعليه ما عليَّ او ذميًا له ذمة واجبة عليَّ فلم أدرِ اين اضع يدي . ودخل عمير بن سعد على عمر لما رجع اليه من ولاية حمص وليس معه الا جراب واداوة وقصعة وعصا فقال عمر ما الذي أرى بك من سوء الحال فقال أولست تراني صحيح البدن معي الدنيا بأسرها فقال وما معك قال جرابي احمل فيه زادي وقصعتي اغسل فيها ثوبي ورأسي واداوتي فيها ماء سقيتي ومعي عصاي ان لقيت عدوا دافعته بها وما بقي فتبع لما معي . قال صدقت

(من أريد عزله فاحتال ان يقر على ولايته) ولما استخلف سليمان بن عبد الملك تهدد الحجاج بالعزل فكتب اليه الحجاج « ياسليمان انما انت نقطة من مداد فان رأيت في مارأى أبوك واخوك كنت لك كما كنت لهما والا فانا الحجاج

وانت نقطة ان شئت اثبتك والامحوتك فأقره على عمله . وكان معاوية عزل عمرًا عن مصر بأبي الاعور السلمي وكتب اليه على يده وقال « ائته وادفع اليه الكتاب واخرجه » فلما انتهى الى مصر علم عمرو سبب مورده فسال لوردان غلامه احتل عليه فقال نعم فلما دخل وأراد ان يناوله الكتاب حلف ان لا يأخذ الكتاب او يأكل . فقعد للاكل مع عمرو فاحتال وردان وسرق كتبه فلما فرغ وطلب الكتاب لم يجده فقال ان أمير المؤمنين عزلك بي فقال هات الكتب فلم يجدها فاضطرب فكتب عمرو في الوقت الى معاوية وارضاه فلما سمع بخبره ضحك وأمر برد أبي الاعور اليه . وقدم عمر الشام فتلقاه معاوية في موكب عظيم وكان عمر على حمار هزيل فلم يعرفه معاوية وجازه حتى نبه فنزل له فأعرض عنه عمر وقال قد صرت صاحب الموكب وذوو الحاجات تقف على بابك قال نعم فقال ونعم أيضاً فقال انني ببلد يكثر فيه جواسيس العدو ولا بد مما يرهبهم من آلة السلطان فان أمرتني فعلت وان نهيتني انتهيت فقال عمر لا آمرك ولا انهاك والله لئن صدقت لقد فعلت فعل اريب ولئن كذبت فقد اعتذرت عذر أديب فقال ابو عبيدة ما أحسن ماصدر عما أوردته فقال عمر لحسن مصادره وموارده جشمناه ماجشمناه

(مدح الاشتغال وذم الفراغ) قيل العطلة موت الحال . وطالت عطلة دينار ثم عرض عليه شغل فشاور الموبذ في ذلك فقال اعلم ان العطلة سكون والحياة حركة فان استطعت ان تخرج من حيز الاموات الى حيز الاحياء فافعل . وقيل اذا كان الشغل مجهدة فالفراغ مفسدة . وقال أكتم مايسرني اني مكفي كل اودي فقيل له ولمَ قال اكره طاعة العجز وذلك ان مع الكفاية العجز والبلادة ومع الحاجة الفطنة والشهامة

(ذم الولاية والتزهيد فيها) روي ان النبي « صلعم » قال لعمه العباس ياعم نفس تحييها خير من امارة تحصيها . وقال « صلعم » ستحرصون على الامارة ثم تكون حسرة وندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة . ولما ولي

أبو بكر خطب الناس فقال ان اشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك فرفع الناس رؤسهم فقال مالكم ان الرجل اذا صار ملكاً زهده الله فيما في يده ورغبه فيما في يد غيره وانتقصه شطر أجله واشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير فهو كالدرهم والسراب الخادع جذل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره حاسبه الله فأشد حسابه واقل عفوه . وقال مطرف لا تنظروا الى خفض عيش السلطان ولين لباسه ولكن انظروا الى سرعة ظعنه وسوء منقلبه . وقال ابن عباس مامللك أحد قط الا شوطر عقله وضوعف بلاؤه وحزنه . ولما ولي محارب القضاء قيل للحكم بن عتيبة الا تأتيه قال ما اصابته عند نفسه مصيبة فاعزيه ولا نالته نعمة فاهنئه وما كنت زوارًا له من قبل فآتيه . وقال بعض الولاة لبهلول كيف تجدك قال بخير مالم أتول شيئاً من امور الناس قال أتحب ان تكون صحيحاً قال لو كنت صحيحاً لنزعت نفسي الى طلب الدنيا فهذا اصلح لي ارجو ان اكسب الاجر وان يحط الله عني الوزر

(النهي عن طلب الرآسة) قال رجل لبشر الحافي أوصني قال الزم بيتك فترك طلب الرآسة . وقال ابن مسهر مابينك وبين ان تكون من الهالكين الا ان تكون من المعروفين . وكان سفيان يتمثل بقول الشاعر

حب الرئاسة داء لادواء له ☆ وقل ما تجد الراضين بالقسم

(من اظهر الندامة عند الموت) رأى عبد الملك غسالاً فقال وددت اني كنت غسالاً لا أعيش الا بما كسبت يوماً فيوماً . فذكر ذلك لابي حازم فقال الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ولا نتمنى عنده ماهم فيه . وكان يقول بعنا الدنيا والآخرة بغفوة

(ممتنع من الولاية) قيل لبعضهم مايمنعك من الامارة قال حلاوة رضاعها ومرارة فطامها . وبعث هشام الى ابراهيم بن جبلة فقال انا قد عرفناك صغيرًا وخبرناك كبيرًا ورضينا سيرتك وقد رأيت اني أشركك في عملي وقد وليتك خراج مصر فقال اما الذي عليه رأيك فالله يجزيك واما أنا فمالي بالخراج بصر

فضحك وقال ائتين طائعاً او كارهاً فتركه حتى سكنت سورة غضبه ثم قال ان الله تعالى يقول « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها» واشفقن منها فما غضب حيث أبين ولا أكرههن اذ كرهن فأنت حقيق ان لا تغضب ولا تكره فغضب وتركه . ولما أراد عمرو بن هبيرة تولية اياس القضاء قال له اني لا اصلح لاني عني دميم حديد فقال اما الحدة فالسوط يقومك وأما الدمامة فاني لا احاسن بك واما العي فانك تعبر عما تريده فولاه

(حث الوالي على ادخار الاحسان) قال جعفر بن محمد كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان . وقيل احسن والدولة تحسن اليك . وقال الشاعر

اذا هبت رياحك فاغتنمها ☆ فان لكل خافقة سكونُ
ولا تزهد عن الاحسان فيها ☆ فما تدري السكون متى يكونُ

وقيل اجعل زمان رخائك عدة لزمان بلائك . وقيل تودد الرجل في علو مرتبته ذود للشماتة ايام سقطته

(ذم مغتر بولايته) دخل الانباري الشاعر على الصاحب بالاهواز وكان نازلاً في دار ابن بقية فلم يعرفه الصاحب ولم يلتفت اليه فانشأ يقول :

اسمع مقالي ولا تغضب عليّ فما ☆ ابغي بذلك لا بذلاً ولا عوضا
في هذه الدار في هذا الرواق على ☆ هذا السرير رأيت الملك فانقرضا

فقال له من أنت فانتسب له فاقبل عليه واكرمه وخوله وقال البسامي :

فلا يغرركم نعمٌ توالت ☆ فان الدهر حال بعد حالِ

(تهديد والٍ بعزله) نظر الفضل بن مروان في رقاع الناس فاذا رقعة فيها :

تعززت يافضل بن مروان فاعتبر ☆ فقبلك كان الفضل والفضل والفضلُ
ثلاثة املاك مضوا لسبيلهم ☆ ابادهم الاقياد والحبس والقتلُ
وانك قد أصبحت في الناس ظالماً ☆ ستودى كما أودي الثلاثة من قبلُ

يعني الفضل بن يحيى والفضل بن الربيع والفضل بن سهل . وقال رجل لبعض الولاة ما أنت الا ان يزيلك القدر عن القدرة فتحمل على المذلة والحسرة

(من رغب في العزل عن ولايته) كتب بعض العمال الى واليه وقد ولاه موضعاً يقال له شير :

ولاية الشير عزلٌ * والعزل عنه ولايه
فولني العزل عنه * ان كنت بي ذا عنايه
اصير بالعزل عنه * الى غنى وكفايه

(من هدده واليه بالعزل) وقع يحيى بن خالد الى عامل « كثر شاكوك وقل شاكروك فاما اعتدلت واما اعتزلت » . ووقع الى آخر « انصف من وليت أمره والا انصفه منك من ولي أمرك » ووقع المأمور الى أحمد ابن هشام في رقعة متظلم « اكفني أمر هذا والا كفيته أمرك والسلام »

(تمني زوال مملكة خسيس) قال جحظة :

سألت الله تسيرًا طويلاً * ليبهجني بخطب يعتريكمْ
أخاف بأن أموت وما ارتني * صروف الدهر ما أهواه فيكمْ

(من شمت الناس بعزله) قال أبو العيناء لموسى بن فرخشاه : الحمد لله الذي أذل عزتك واذهب سطوتك وأزال مقدرتك فلئن اخطأت فيك النعمة لقد أصابت فيك النقمة . وقال البحتري :

ففرحة الناس بادباره * كغيظهم كان باقباله

ودخل أبو العيناء على أحمد بن أبي داود فقال « ماجئتك مسلياً ولا معزياً ولكن أحمد الله فيك اذ حبسك في جلدك وأبقى لك عيناً تنظر بها الى زوال النعمة عنك

(من تحامل الناس عليه لنكبته وعزله) لما عُزل المنصور بن عمران عن القضاء جعل الناس يسبونه وكان فيهم رجل يلج في أذاه فقال له يا هذا هل أسأت اليك قط قال لا قال فما حملك على هذا الذي تأتيه قال سمعت الناس يشتمونك فساعدتهم فأنشد المنصور

غير ما طالبين وترًا ولكن * مال دهر على اناس فمالوا

ولما نكب علي بن عيسى جفي جفاء عظيماً وهجره الناس قاطبة ثم لما رشح للولاية تزاحم الناس عليه فأنشأ يقول

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فحيثما انقلبت يوماً به انقلبوا

(صعوبة العزل) سئل بعض الحكماء ما أشد ما يمر على الانسان فقال بعضهم فقر في سفر وقال بعضهم مرض في غربة فقال اشد من ذلك عزل مع نكبة . وكان ليوسف ابن عمر جارية حظية وكانت على رأسه فأتاه كتاب فلما قرأه تغير لونه فقالت أيها الامير هذا كتاب عزل قال كيف دريتِ قالت لتغير في وجهك قلما عهدته

(من لم يبالِ بالعزل) قال زياد ان الاحنف قد بلغ من الشرف مالاتنفع معه الولاية ولا يضره العزل

(تسلية معزول) اراد الرشيد ان يعزل الفضل بن يحيي عن خاتمه ويصيره الى أخيه جعفر فكتب اليه قد رأى أمير المؤمنين ان ينقل خاتمه من يمينك الى شمالك فأجابه الفضل ما انتقلت عني نعمة صارت اليك ولا خصصت بها دوني

وقال ابن المفجع :

لم يعزلوا الاعمال عنه وانما * عزلوا العفاف به عن الاعمالِ

ونحوه ما كتب به بعضهم « ما عُزلت عن الديوان ولكن عزل عنك فانت المهنأ وهو المعزى وقد كنت محتاجاً الى العزل ليعرف الجور من العدل »

(رفيع معزول بدنيءٍ) ولما عزل وكيع عن رآسة بني تميم قال بعضهم عُزلت

السباع ووليت الضباع فصار الامر الى الضياع . ولبعضهم في مثله : اي حق رفع وأي باطل وضع . وقال ابن ابي الرعد :

فان تك قد عزلت فلا عجيب * ضياء الشمس يعزله الظلام

(من يقرب عزله من ولايته) قال الشاعر :

فانك في زمن دهره * كيوم ودولته ساعتان

(وصف عاجز في ولايته) ورد كتاب صاحب أرمينية على السفاح بان الجند قد شغبوا ونهبوا فكتب اليه اعتزل أمرنا فلو عدلت لم يشغبوا ولو قويت لم ينهبوا . ووقع جعفر الى عامل له « انك كثير الشكاية قليل النكاية جريء في ميدان العال بطيء في ميدان العمل »

(من لا يستضر بعزله ولا ينتفع بولايته) قال ابو العيناء لصاعد نحن في دولتك محرومون وفي عطلتك مرحومون

وأنشد بعضهم لابي الفتح بن أبي جعفر بيتين قالها في الاستاذ الرئيس لما قبض علي بن احمد بن العباس فأغير على داره :

أيوجب عدل أهل العدل أني * اعد مع الجناة بلا جنايه

أشارك معشرًا في صرف دهر * هم ما شاركوني في الولايه

(ذاهب عن أمره) قيل لرجل زال ملكه : ما كان سبب زوال ملكك فقال تدبير الامر بالهوى وتأخير عمل اليوم الى غد . وقيل ذلك لآخر فقال قلة التيقظ وأشتغالنا باللذات عن التفرغ وثقتنا بعمالنا حتى ظلموا رعيتنا فقل دخلنا و بطل عطاء جندنا فقلت طاعتهم لنا فقصدنا الاعداء فعجزنا عن مدافعتهم

(متولي رآسة بغير استحقاق) قال رجل لسعد ان سودك القوم لجهلهم بك فسيد الجاهلين غير شريف وان سودوك للفقر اليك فانت كما قال الشاعر

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردي بالسودد

وشتم مجنون رجلاً فقال له اتشتمني وأنا سيد قومي فقال المجنون :

وان بقوم سودوك لفاقة * الى سيد لو يظفرون بسيد

(وصف عسوف في ولايته) تظلم اهل الكوفة الى المأمون في والٍ كان عليهم فقال المأمون لا أعلم في عمالي اعدل وأقوم منه فقام رجل فقال ان كان عاملنا بهذا الوصف فحق ان تعدل بولايته فتجعل لكل بلد منه نصيباً اتسوي بالعدل بينهم فاذا فعل أمير المؤمنين ذلك لا يصيبنا منه اكثر من ثلاث سنين فضحك وعزله . وقال المنصور يوماً من بركتنا على المسلمين ان الطاعون رُفع عنهم في ايامنا فقال بعض الحاضرين ما كان الله ليجمع علينا ولايتكم والطاعون

(مدح الوزارة وذمها) قال النبي « صلعم » ما من أحد من المسلمين ولي أمرًا فأراد الله به خيرًا الا جعل معه وزيرًا صالحًا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه . وقيل ثبات المملكة بقدر هيبة وزرائها . وقال بعض الملوك لحكيم اي الاعوان أحق بقرب الوسيلة فقال الوزير الصالح الناصح اللبيب الذي ارتفاعه بارتفاع ملكه وهلاكه بهلاكه . وقيل لا تغتر بناصحة الامير اذا غشك الوزير واذا صادقك الوزير فلا يهولنك الامير

(انقياد الامير للوزير وذمه بذلك) قال نصر ابن سيار اذا لم يشرف الامير على أموره فليعلم ان أغش الناس له وزيره

(مدح وزير صالح) قال بشار :

وقل للخليفة ان جئته * نصيحاً ولا خير في المتهم

اذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عمرًا ثم نم

وقال ابو نواس :

قولا لهارون امام الورى * عند احتفال المجلس الحاشدِ

انت على ما بك من قدرة * فلست مثل الفضل بالواجدِ

القسم الثاني

« في احوال اتباع السلاطين »

(وجوب اتباع السلاطين) لا تقترب الرعية الى الائمة بمثل الطاعة ولا العبد الى المولى بمثل الخدمة ولا البطانة بمثل حسن الاستماع . وقيل سعادة الرعية في طاعتهم لملكهم

(الحث على مصابرة السلطان) قال ابن مسعود اذا كان الامام عادلاً فله الاجر واذا كان جائرًا فله الوزر وعليك الصبر

(وجوب تعظيمه ومدح فاعل ذلك) قال ابن عباس « رضه » السلطان عزّ الله في الارض فمن استخف به نابته نائبة فلا يلومن الا نفسه . وقيل اذا جعلك السلطان ابًا فاجعله ربًا . وقال حكيم لابنه اياك ان تصحب السلطان بالجراءة عليه والتصغير لقدره والتهاون بأمره ولتكن صحبتك له كصحبتك للاسد الضاري والافاعي القاتلة . وقالت الحكماء من حق من هازله السلطان وضاحكه ثم دخل عليه ان يدخل عليه دخول من لم يجرِ بينهما انس قط وان لا يترك لاجلال له فان اخلاق الملوك ليست على نظام

(ترك تعظيم غير السلطان في مجلسه) دخل أبو مسلم على السفاح وسلم عليه فطرح له متكأً وأبو جعفر قريب منه فقال السفاح يا أبا مسلم هذا المنصور فقال يا أمير المؤمنين هذا موضع لا يقضي فيه غير سيفك

(وجوب الاغضاء في مجلس السلطان) قيل اهدي الى ملك الهند ثياب وحلى فدعا بامرأتين وخير احظاهما عنده بين اللباس والحلى وكان وزيره حاضرًا فنظرت المرأة اليه كالمستشيرة فأشار بعينه الى اللباس ولحظه السلطان فاختارت الحلى لئلا يفطن الملك للاشارة ومكث الوزير أربعين سنة كاسرًا عينه ليظن

الملك ان ذلك عادته . وقيل من داخل السلطان فيحتاج ان يدخل اعمى ويخرج اخرس

(المنكر عليه لفظه مع سلطان) دخل أبو الحسن المدائني على المأمون فلما خرج قال له رجل عرفني ماجرى بينك وبين أمير المؤمنين فقال لست بموضع ذلك لانك لم تميز بين ان تقدم ذكر أمير المؤمنين وبين ان تقدم ذكري . وكان الحسن اللؤلؤي يحضر مجلس المأمون ويجاريه الفقه فنعس المأمون فقال اللؤلؤي انعست يا أمير المؤمنين فقال المأمون سوقي والله ياغلام خذ بيده فجاء الغلام فأقامه

(النهي عن الوقيعة في السلطان) سمع اعرابي انساناً يقع في السلطان فقال يا فلان انك غفل وكأني بالضاحك لك باك عليك . وقيل ثلاثة ليس من حقها أن يحتملها السلطان الطعن في الملك وافشاء السر والخيانة في الحرم

(التحذير من مقاربة السلطان) قيل للعتابي لمَ لاتقصد السلطان فتخدمه فقال لاني أراه يعطي واحداً لغير حسنة ولا يد . ويقتل الآخر بلا سيئة ولاذنب ولست أدري أي الرجلين انا ولست أرجو منه مقدار ما أخاطر به وهو الذي قال لامرأته :

اسرك اني نلت مانال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالدِ

قالت بلى فقال :

وان أمير المؤمنين أغصني * مغصهما بالمرهفات البواردِ

قالت لا فقال :

ذريني تجئني منيتي مطمئنة * ولم أتجشم حول تلك المواردِ

فان جسيمات الامور مشوبة * بمستودعات في بطون الاساودِ

وقيل احذر السلطان فانه يغضب غضب الصبي و يأخذ أخذ الاسد واتصل رجل بالمنذر بن ماء السماء ونادمه فنهاه صديق له عن ذلك وخوفه منه فلم يلتفت الى قوله ولم يسمع قوله فغضب المنذر عليه يوماً فقتله فقال فيه ذلك الصديق :

انی نهيت بن عمار وقلت له * لاتأمنن أحمر العينين والشعرِ
ان الملوك متى تنزل بساحتهم * تطرْ بثوبك نيران من الشررِ

(التحذير من الدخول في أمر السلطان) العاقل من طلب السلامة من عمل السلطان فانه ان عف جنى عليه العفاف عداوة الخاصة وان بسط يده جنى عليه البسط السنة العامة · قال محمد بن السماك لصديق استشاره وقد دعي الى الدخول في عمل السلطان يا أخي ان استطعت ان لاتكون لغير الله عبدًا ماوجدت من العبودية بدًّا فافعل · وقال عيسى بن موسى لعبد الرحمن ابن زياد مايمنعك من زيارتي قال ان أتيتك فأكرمتني فتنتني وان جفوتني خزنتني وليس عندك ماأرجوه ولا عندي ماأخافك عليه · وقيل اذا لم تكن من قرباء الامير فكن من أعدائه

(حمد الانقباض عن السلطان) قال الاحنف لاتنقبضوا عن السلطان ولا تتهالكوا عليه فان من اشرف له أذراه ومن تضرع له تخطاه وكان النعمان دعا بحلة وعنده وفود العرب · وقال احضروا في غد فاني ملبس هذه الحلة أكرمكم فحضر القوم الا اوسا فقيل له لم تأخرت فقال ان كنت المراد فاني أدعي وان كان المراد غيري فاجمل الاشياء ان لا أكون انا حاضرًا فلما جلس النعمان ولم ير أوسا بعث اليه فقال احضر وانت آمن فأحضره والبسه الحلة

(النهي عن الادلال على السلطان) قيل الدالة تفسد الحرمة وتهدم المنزلة

(مخالطة السلطان) قال عبد الله من نزع عنا لم ينتفع بنا · وقيل لبعضهم لاتصحب السلطان فمثل السلطان مثل القدر من مسه سوده فقال ان كان خارج القدر اسود فداخلها لحم كثير وطعام لذيذ

(المتبجح بمعاضدة السلطان) قال الرشيد ليزيد بن مزيد في لعب الصوالج كن مع عيسى بن جعفر فأبى فغضب الرشيد وقال اتأنف ان تكون معه فقال حلفت على ان لا أكون على أمير المؤمنين في جدّ ولا هزل فسكن · قال بعض الخلفاء لجرير اني اعددتك لامر فقال ان الله تعالى قد اعدّ لك مني قلبًا معقودًا

بنصيحتك ويدا مبسوطة بطاعتك وسيفاً مشحوذاً على عدوك. خطب عبد الملك يوماً وحث الناس على قتال ابن الزبير فقام عدي بن ارطاة فقال انا لا نقول ماقال قوم موسى لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معكم مقاتلون

(الانخراط في سلك السلطان في جده وهزله) دخل الشعبي على بشر بن مروان وفي حجره عود فقال الشعبي اصلح المثى . قال بشر اتعرف قال نعم ولك عندي ثلاث : الستر لما أرى والشكر لما يكون منك والدخول في مالم يجمع على تحريمه

(المتهدد بالخروج عن الطاعة والمتبجح بذلك) قال عبد الملك عجباً لخالد ابن عبد الله وليته البصرة وأمرته ان يجرد السيف ويمنع المال فبذل المال وأغمد السيف فقال عبد الرحمن بن حسان لوجرد السيف لوجد سيوفاً مجردة ولو منع المال لوجد أيدياً منازعة . وقال الفرزدق :

ولا نلين لسلطان يكايدنا * حتى يلين لضرس الماضغ الحجرُ

(الحث على مصابرة السلطان) قيل من لزم باب السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ واطرح الانفة وصل الى حاجته . حكي انه وُجد مكتوباً على باب «انما يرتفع الامر على باب الملوك بالبذل والعقل والتثبت» فكتب بعضهم تحته من كان معه هذه الثلاثة فهو مستغنٍ عن السلطان. روي ان أبا العيناء عتب على بغا فتقضاه فقال بغا أما علمت ان من طالب السلطان احتاج الى عقل وصبر ومال فقال لو كان لي عقل عقلت عن الله أمره ونهيه او صبر صبرت عن السلطان حتى يأتيني رزقي او مال لاستغنيت به عن بابك والوقوف بجنابك . وقيل من صحب السلطان احتاج الى الصبر على قسوته صبر الغواص على ملوحة ماء بحره

(امارات السلاطين لندمائهم اذا ارادوا نهوضهم) كان لكل ملك أمارة يستدل بها اصحابه اذا أرادوا ان يقوموا عنه فكان ازدشير اذا تمطى قام سماره . وكان كيشاسف يدلك عينيه . وسابور يقول حسبك يا انسان . وابرويز يمد رجليه .

وقباذ يرفع رأسه الى السماء . وانوشروان يقول قرت اعينكم . وكان عمر يقول قامت الصلاة . وعثمان يقول العزة لله . ومعاوية يقول ذهب الليل . وعبد الملك يقول اذا شئتم . والوليد يلقي المخصرة . والرشيد يقول سبحان الله . والواثق يمس عارضيه . وحكي عن بعض البخلاء انه سئل ما امارتك لقيامنا قال قولي ياغلام هات الطعام

القسم الثالث

« في القضاء والشهادة »

قال النبي « صلعم » القضاء ثلاثة : اثنان في النار وواحد في الجنة فاللذان في النار أحدهما من يقضي ولم يعلم والآخر من يعلم فيقضي بغير الحق وأما الذي في الجنة فهو الذي يعلم ويقضي بالحق . وقال من جعل قاضياً فقد ذُبح بغير سكين . وكان ابن شبرمة يقول ياجارية هاتي غذائي لاخرج الى بلائي

(الممتنع من تولي القضاء) أمر المنصور أبا حنيفة ان يتولى القضاء فقال لااصلح لذلك فقال انك تصلح فقال ان كنت صادقاً فلا يجوز لك ان توليني وان كنت كاذباً فقد فسقت فقال والله لتلين فقال والله لاوليت فقال حاجبه : أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف فقال : أمير المؤمنين اقدر على الكفارة مني . قيل لما مات عبد الرحمن بن أذينة ذكر أبو قلابة للقضاء فهرب حتى أتى الشأم فوافق ذلك عزل قاضيها فهرب حتى اتى اليمامة فقيل له في ذلك فقال ماوجدت مثلاً للقاضي الامثل رجل سابح وقع في بحر فكم عسى يسبح حتى يغرق

(حث الحاكم على تقليل الكلام) عزل عمر بن عبد العزيز قاضياً وقال بلغني ان كلامك اكثر من كلام الخصمين . وكان أبان يقلل من الكلام فقيل له في ذلك فقال ان من كان كلامه حكماً فحق عليه ان لا يتكلم الا فيما يعنيه

(من لا يغضي في الحكم على حق) أتي المأمون برجل وجب عليه حد فأمر بضربه فقال قتلتني قال الحق قتلك قال ارحمني قال لست بارحم ممن اوجب الحد عليك

وقال بعضهم غصبني بعض قواد الاتراك ضيعة أيام المعتز فتظلمت فلم ينصفني فلما ولي المهتدي جلس يوماً للمظالم فتظلمت اليه فاحضر خصمي فقضى لي عليه فقلت جزاك الله خيراً فانت كما قال الاعشى :

حكمتموه فقضى بينكم * أبلج مثل القمر الزاهرِ
لا يأخذ الرشوة في حكمه * ولا يبالي غبن الخاسرِ

فقال أما شعر الاعشى فلا أدري ولكن قرأت قوله تعالى « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » فبكى أهل المجلس كلهم

(حث الحاكم على الاجتهاد) أراد معاوية ان يستعمل عبد الرحمن بن خالد فقال كيف تعمل قال اعمل برأيك مالم يجاوز الحزم فان جاوزه عملت برأيي فولاه

(حث الحاكم على الصلح فيما يشتبه) كتب الى أبي موسى الاشعري « الصلح جائز بين الناس الا صلحاً أحل حراماً او حرّم حلالاً . وصالح ابن الزيات عاملاً على مال فطالبه به فقال أظلمٌ وتعجيل فقال ابن الزيات أصلحٌ وتأجيل

(من عارض الحاكم في حق ادعاه عليه) قال ابن الزيات لرجل ادعى عليه في مجلس الحكم وقال غصبني وكيلك ضيعة لي وحازها الى أرضك — فقال ابن الزيات تحتاج فيما تقوله الى شهود وبينة وأشياء كثيرة فقال الرجل الشهود هي البينة وأشياء كثيرة عي منك فأمر برد ضيعته . وناظره رجل في شيء فقال له اخرج

من داري فقال ما هي بدارك انما هي دار أمير المؤمنين وأنت عبده فقال نعم هي لامير المؤمنين فاخرج منها صاغراً فقال الرجل قد بذلها أمير المؤمنين للعامة وجعلها مجمع الخصوم ومنصف المظلوم فلا أبرح الا بنصفة فقال صدقت وأنصفه · وتظلم رجل من وكيل كسرى بانه أخذ ضيعة له فقال له كسرى قد أكلت ارتفاعها أربعين سنة فدعه يأكله سنتين فقال الرجل فسلم ملكك الى بهرام جور يأكله سنة فقد أكلته سنين كثيرة فأمر بضرب رقبته فقال ايها الملك دخلت بظلمة وأخرج بظلمتين فأمر برد ضيعته وأرضاه · وادعى رجل على آخر بحضرة قاض فطالبه بالشاهدين وقال ما لك سبيل الى ما تدعيه الا بشاهدين فقال الرجل متمثلاً بهذا البيت

وبايعت ليلى في خلاء ولم يكن * شهودي على ليلى عدول مقانعُ

فتلطف القاضي في أخذ اقرار المدعى عليه والزمه الحق

(نهي الحاكم عن قبول الهدية) قال النبي «صلعم» لعن الله الراشي والمرتشي · وقال بعضهم كنت في طريق مكة فاذا اعرابي يختصم اليه الناس فيقضي بينهم بالحق فلما تفرقوا قلت هل أخذت العلم عن أحد قال لا قلت فما هذا الفهم قال يوفق الله قلت أرأيت لو تحاكم اليك اثنان فأهدى اليك احدهما كنت تقضي له فقال اذاً لا ينزل التوفيق

(من مال الى أحد الخصمين لاجل هدية) تحاكم رجلان الى المغيرة الثقفي قاضي الحجاج فأهدى أحدهما منارة والآخر بغلة فرأى صاحب المنارة ضلع القاضي مع صاحبه فأراد ان يذكر القاضي فقال أمري اضوأ عند القاضي من سراج على منارة عظيمة ففطن القاضي لقواه فقال اسكت فان البغلة رمحت المنارة فأطفأت نورها

(من يحكم وهو الظالم) حكي ان ملكاً خرج له خراج عجز الاطباء عن معالجته فقال يوماً انكم تغشونني فان داويتموني والا قتلتكم فاجمعوا على ان يقولوا ان دواءك ان تأخذ صبياً من ابناء العشر فيأخذ أحد أبويه رأسه والآخر رجليه

وتذبحه على جرحك فتشرب دمه بطيب نفس منهما وقالوا قد تحققنا انه لا يوجد فقال اطلبوا من يأتيني بابن هكذا فأمر فنادوا في البلدان فاتفق ان رجلاً كان اذا ولد له ولد وبلغ عشر سنين يموت لا محالة وكان فقيرًا وكان له ابن شارف العشر فقال لامرأته تعالي نحمل هذا الابن الى الملك ونأخذ المال فان هذا يموت لا محالة فرضيا بذلك وحملاه اليه وأخذ أحدهما برأسه والآخر برجليه وأخذ الملك السكين فلما هم بذبحه ضحك الصبي فقال الملك مم تضحك وأنت مقتول فقال رأيت الصبي أحق الخلق عليه أمه ترضعه وتقيه بنفسها ثم أبوه يحميه واذا كبر فالملك يتولى أمره وقد رأيتكم ثلاثتكم أجتمعتم على قتلي فالى من المشتكى فتوجع الملك لقوله ورمى بالسكين فانفجر جرحه لما دهمه وبرأ فخلي سبيل الصبي وتبناه

(المتفتن بامرأة تحاكمت اليه) خاصمت امرأة صبيحة زوجها الى الشعبي فمرت بالمتوكل الليثي في منصرفها وقد قضى لها على زوجها فقال :

فُتن الشعبي لما * رفع الطرف اليها

فتنته ببنان * وبخطي حاجبيها

فقضى جورًا على الخصم ولم يقضِ عليها

كيف لو أبصر منها * نحرها أو ساعديها

لصبا حتى تراه * ساجدًا بين يديها

فولع الناس بهذه الابيات وتناشدوها حتى اضطر الشعبي الى الاستعفاء من القضاء



القسم الرابع

« في الحجاب والغلمان »

(الحث على تسهيل الاذن) قال ميمون بن مهران كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لآذنه من بالباب قال رجل أناخ الآن زعم انه ابن بلال مؤذن رسول الله فأذن له فلما دخل قال حدثني فقال حدثني ابي انه سمع رسول الله « صلعم » يقول من ولي شيئاً من أمور الناس ثم حجب عليه حجب الله عنه يوم القيامة فقال عمر « رضه » لحاجبه الزم بيتك فما رُئي بعدها على بابه حاجب

وقال لا شيء أضيع للملكة واهلك للرعية من شدة الحجاب للوالي ولا أهيب للرعية والعمال من سهولة الحجاب لان الرعية اذا وثقوا بسهولة الحجاب احجموا عن الظلم واذا وثقوا بصعوبته هجموا على الظلم . وقيل يحجب الوال لسوء فيه او لبخل منه

(وصايا الحجاب) قال زياد لحاجبه اني وليتك هذا الباب وعزلتك عن أربع : هذا المنادي اذا دعاني الى الصلاة فلا سبيل لك عليه وعن طارق ليل فشر ما جاء به ولو جاء بخير ما كنت من حاجته في ذلك الوقت وعن الطباخ اذا فرغ من طعامه فان الطعام اذا اعيد عليه الطعام فسد وعن رسول صاحب الثغر فانه ان أبطأ ساعة ربما يفسد أمر سنة . ولما استخلف المنصور ولى الحصيب على حجابته فقال له انك بولايتي عظيم القدر وبحجابتي رفيع الجاه فابسط وجهك للمستأذنين وصن عرضك عن تناول المحجوبين فما شيء أوقع في قلوبهم من سهولة الحجاب والاذن وطلاقة الوجه . وقال الرشيد لحاجبه : احجب عني من اذا قعد أطال واذا سأل أحال ولا تستخفن بذي الحرمة وقدم أبناء الدعوة

(الحث على تشديد الاذن) قال ازدشير لابنه لا تمكن الناس من نفسك فأجرأ الناس على السباع اكثرهم معاينة لها . وقيل لبعض السلاطين لم لا تغلق

الباب وتقعد عليه الحجاب فقال انما ينبغي ان احفظ أنا رعيتي لا ان يحفظوني

(الحث على اصلاح الحاجب والبواب) قال يزيد بن المهلب لابنه استظرف الكاتب واستعقل الحاجب . وقال عبد الملك لاخيه تعقد كاتبك وحاجبك وجليسك فالغائب يخبره عنك كاتبك والوافد عليك يعرفك بحاجبك والخارج من عندك يعرفك بجليسك

(الممدوح بسهولة الحجاب) قال الشاعر :

فبابك الين أبوابهم * ودارك مأهولة عامره

وكلبك آنس المعتفين * من الام بابنتها الزاهره

(طلب تسهيل الاذن) قدم أديب على أمير فكتب رقعة ودفعها الى حاجبه ليوصلها وفيها :

اذا شئت سلمنا فكنا كريشة * متى تلقها الارواح في الجو تذهب

فقال للحاجب قل له قد خففت جداً فكتب رقعةً أخرى وفيها :

وان شئت سلمنا وكنا كصخرة * متى تلقها في حومة الماء ترسب

فقال للحاجب قل له قد ثقلت جدا فكتب أخرى وفيها :

وان شئتَ سلمنا فكنا كراكب * متى يقضِ حقاً من لقائك يذهب

فقال اما هذا فنعم واذن له

قال جعفر المصري :

فتفضل عليَّ بالاذن ان جئ ت فاني مخفف في اللقاء

ليس لي حاجة سوى الحمد والشكر رفدعني اقرئك حسن الثناء

(ترك الزيارة لصعوبة الحجاب) أتى أبو الدرداء باب معاوية فاستأذن عليه فلم يؤذن له فقال من يغش سدة السلطان يقم ويقعد ومن وجد باباً غلقاً وجد الى أخيه باباً فتحاً فعاد عنه ولم يدخل بعد ذلك الى السلطان

قال محمد بن عمران :

سأترك هذا الباب ما دام اذنه * على ما أرى حتى يخف قليلاً
اذ لم نجد يوماً الى الاذن سلما * وجدنا الى ترك المجيء سبيلاً

وحجب بعض الهاشميين فرجع مغضباً فرُد فلم يرجع وقال ليس بعد الحجاب الا العذاب

(هجاء من حُجب تعريضاً) قال الشاعر :

ولمْ جئت مشتاقاً على بعد شقة * الى غير مشتاق ولمْ رُدني بشرُ
وما باله يأبى دخولي وقد رأى * خروجيَ من أبوابه ويدي صفرُ

وقال الخوارزمي :

أبا عمرو رويدك من حجاب * فلست بذلك الرجل الجليلِ
ولا تبخل بهـذا الوجه عنا * فليس بذلك الوجه الجميل

(من حجب فشتم وهجي بالبخل) قال مالك بن طوق دخل عليّ يوماً مجنون ونحن نأكل فأكل معنا ثم جاء يوماً آخر فحجب فرآني يوماً مع أماثل البصرة فقال :

عليك أذنا فانا قد تغدينا * انسنا نعود وان عدنا تعدينا
يا أكلة سلفت أبقت حرارتها * داء بقلبك ما صمنا وصلينا

فما أتى عليّ يوم أشد منه حزناً . وقال آخر :

كلما جئتك قالوا * نائم غـير مفيقِ
لا أنام الله عينيـ * ـك وان كنت صديقي

(تخويف من يشدد الحجاب) مرّ زاهد ببعض القصور ورأى حجاباً على بابه فسأل عنه فقيل هو لسالم بن فلان رجل كثير المال عريض الجاه وقد مرض فاحتجب عن الناس فقال :

وما سالم من وافد الموت سالمًا * وان كثرت حجابه وكتائبهُ
ومن كان ذا باب منيع وحاجب * فما قليل يهجر الباب حاجبهُ

(من اعتذر من السلاطين عن الحجاب) قيل الركوب الى باب السلطان بعد الظهر ثقل وسوء أدب . وكتب بعض السلاطين الى صاحب له يزوره بالعشيات :

أعيذك من زورة بالعشى * تحط وتذهب قدر النبيلْ
فاما رجعت بذل الحجاب * وأما حللت محل الثقيل

(النهي عن دخول الدور بغير اذن) قال الله تعالى « لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها » وقال النبي « صلعم » اذا استأذن احدكم فلم يؤذن له فلينصرف

(الحث على تأديب الغلمان) قيل لا يتأدب العبد بالكلام اذا وثق بانه لا يضرب . وقال الحكم بن عبد الله :

العبد لا يطلب العلاء ولا * يعطيك شيئًا الا اذا رهبا
مثل الحمار الموقع الظهر لا * يحسن مشيًا الا اذا ضربا

(الحث على الاحسان الى الخدم) روي في الحديث : اتقوا الله في خدمكم فانهم اشقاؤكم لم ينحتوا من جبل ولم ينشروا من خشب اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون واستعينوا بهم في أعمالكم فان عجزوا فأعينوهم فان كرهتموهم فبيعوهم ولا تعذبوا خلق الله . وقال ابو بكر « رضه » لا يدخل الجنة سيء الخلق

(الحث على مداراتهم والتغافل عنهم) سمع الموبذ في مجلس أنو شروان ضحك الغلمان فقال أما تهاب هؤلاء الخدم . فقال انو شروان انما يهابنا أعداؤنا . وقال بزرجمهر انما نداري خدمنا ونحن ملوك على رعيتنا وخدمنا ملوك على ارواحنا ولا حيلة لنا في التحرز عنهم . وقيل مما يدل على كرم الرجل سوء أدب غلمانه .

وقيل من حسن خلقه ساء أدب غلمانه

(ذم موءتمر لغلامه)قال الشاعر :

ولست أحب الاديب الظريف * يكون غلاماً لغلمانه

(ذكر الاكياس من الخدم) وصف البوشنجي غلاماً فقال يعرف المراد باللحظ ويفهمه باللفظ ويعاين في الناظر ما يجري في الخاطر يرى النصح فرضاً يجب اداؤه والاحسان حتماً يلزم قضاؤه ان استفرغ في الخدمة جهده خيل اليه انه بذل عفوه اثبت من الجدار اذا استمهل واسرع من البرق اذا استعجل. قال الرشيد لاسحق الهاشمي أُخبرت ان لك غلاماً فصيحاً فقال ها هو بالباب ثم دعاه فقال ان مولاك قد وهبك لنا قال فما زلت وما تحولت فقلنا ما معنى قولك فقال ما زلت لك منذ كنت غلامه وما تحولت عنه اذ صرت لك فأمر له بصلة وأحسن اليه

الحد الثالث

﴿ في الانصاف والظلم ﴾

القسم الاول

« في الانصاف والمظالم »

(عز الحق وذل الباطل) قال ابن المعتز ان للحق ان يتضح وللباطل ان يفتضح . وقيل الحق حقيق ان يُنهج سبيله ويتضح دليله . وقال المنتصر يوماً والله ما عز ذو باطل ولو طلع القمر من بين عينيه ولا ذل ذو حق ولو اتفق العالم

عليه . وقيل للباطل جولة ثم يضمحل وللحق دولة لاتنخفض ولا تذل . وقيل الحق من تعداه ظلم ومن قصر عنه ندم

(مدح العدل) قيل عدل قائم خير من عطاء دائم . وقيل لايكون العمران حيث لايعدل السلطان . وقيل لحكيم ما قيمة العدل قال ملك الابد . وقيل قيمة الجور ذل الحياة . والعدل يسع الخلق والجور يقصر عن واحد

(ذم الظلم والنهي عنه) قال الله تعالى « والظالمون مالهم من وليّ ولا نصير » وقال تعالى « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » وفي الخبر : بئس الزاد الى المعاد ظلم العباد . وقال النبي « صلعم » الظلم ظلمات يوم القيامة . ويقال ليس شيء أقرب من تغيير نعمة وتعجيل نقمة من الاقامة على الظلم . وقيل على الظالم ان يكون وجلاً وعلى المظلوم ان يكون جذلاً . كتب عمر بن عبدالعزيز الى عامل له « اذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك » وكان حفص بن عتاب لقيه الرشيد فأقبل عليه يسائله فقال في اثناء ذلك :

نامت عيونك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال عبد الله بن أبي لبابة : من طلب عزًا بباطل أورثه الله ذلاً بانصاف

(التحذير من دعوة المظلوم) قال النبي « صلعم » اتقوا دعوة المظلوم فانها مجابة . وقال بعضهم دعوتان ارجو احداهما وأخاف الاخرى : دعوة مظلوم اعنته وضعيف خذلته . وقيل احذروا دعوة المظلوم فانها لينة الحجاب

(سرعة معاقبة الظالم) قال الله تعالى « من يعمل سوءًا يجزَ به . وقال أمير المؤمنين ما أحسنت الى أحد قط ولا اسأت اليه . فرفع الناس رؤسهم تعجبًا فقرأ : ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها . وقيل الظلم أدعى شيء الى تغيير نعمة وتعجيل نقمة

(المتفادي من ظلم الضعاف) قال معاوية اني لاستحي ان اظلم من لا أجد له ناصرًا عليّ الا الله . وقال أبو الدرداء ان ابغض الناس اليّ ان اظلمه من لم يستعن عليّ الا بالله وقيل من عمل بالعدل في من دونه رُزق العدل ممن فوقه

(نهي الوالي والقادر عن الظلم) قيل لا ينبغي للامام ان يكون جائرًا ومن عنده يلتمس العدل ولا للعالم ان يكون سفيهاً ومن عنده يلتمس العلم والحلم . واذا ظلمت من دونك عاقبك من فوقك . وقال ابن الرومي :

وان الظلم من كلّ قبيحُ * واقبح ما يكون من النبيه

(التسكين من المظلوم بما له من العقبى) قيل في قوله تعالى « ولا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون » اعظم تعزية للمظلوم وابلغ تحذير للظالم . وقيل انما تندمل من المظلوم جراحه اذا انكسر من الظالم جناحه

(التحذير من معاونة الظالم) قال النبي « صلعم » من أعان ظالماً سلطه الله عليه . قال ابن عباس ليس للظالم عهد فان عاهدته فانقضه فان الله تعالى يقول « لا ينال عهد الظالمين » ويحكى ان عاملاً عزل عن عمله بغيره فقال المولى لمن ولي مكانه : اعرني دواتك لاكتب منها حرفاً فقال لا فاني لا استحل معاونة الظلمة ولا أحب ان يكتب من دواتي ظالم فقال الم تك تكتب منها آنفاً فقال اني احرق بالنار نفسي ولا احرقها لغيري . وقيل لابي مسلم صاحب الدولة قد قمتَ مقاماً لا يقصر بك عن الجنة في ازالة دولة بني أمية واقامة شعار بني العباس فقال لخوفي من النار أولى من طمعي في الجنة فاني اطفأت من بني أمية جمرة الهبتُ بها نيراناً لبني العباس وسأحرق بها نفسي

(الممدوح بكونه مظلوماً لمن هو دونه) قال محمود الوراق :

مازال يظلمني وارحمه * حتى رثيت له من الظلم

وقال ابن الزهير تحمل بعض الظلم أبقى للاهل والمال . وقال الاحنف كم جرعة من الظلم تجرعتها مخافة ماهو أعظم منها

(ظالم متظلم) قال الخبزارزي :

ظلمتَ سرًا وتستدعى علانية * الهبتَ نارًا وتستعفي من اللهبِ

وقال الشعبي حضرت مجلس شريح فجاءته امرأة تخاصم زوجها باكية فقلت

ما أظنها الا مظلومة فقال ان اخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون وهم ظالمون

(ذم ممتنع من قبول الانصاف) قيل ما أعطي احد قط النصف فأبى الا أخذ شرًّا منه . وقال الاحنف ماعرضت النصفة على أحد فقبلها الا تداخلني منه هيبة ولا ردها احد الاطمعت فيه

القسم الثاني

« في ذم الحلم ومدح العقاب »

(النهي عن الملاينة حيث لا تنفع) قال شاعر :

بالرفق مارس ولاين من تخالطه * وغالظنّ اذا لم ينفع اللينُ

وقيل الكريم يلين عند استعطافه واللئيم يقسو عند استلطافه

(النهي عن الحلم اذا كان فيه مذلة) قال سالم بن وابصة

ان من الحلم ذلاً أنت عارفه * والحلم عن قدرة فضل من الكرم

وقال آخر :

وفي الحلم ضعف والعقوبة هيبة * اذا كنت تخشى كيد من عنه تصفحُ

وقال المتنبي : وحلم الفتى في غير موضعه جهلُ »

(دفع الجهل بالجهل) قال الشاعر :

ولي فرس للحلم بالحلم ملجمٌ * ولي فرس للجهل بالجهل مسرجُ

وما كنت أرضى الجهل خدنا ولا أخا * ولكنني ارضى به حين أحوج

وقيل الشر لايدفعه الا الشر

(من حلم وقتاً) قال بعضهم :

فلا يغررك طول الحلم مني * فما ابدًا تصادفني حليماً

(كون الحلم مغريًا) قال الاحنف لرجل : ليتَ طول حلمنا عليك لا يدعو جهل غيرنا اليك

(النهي عن اكرام اللئام) قال يزيد بن معاوية لابيه هل ذممت عاقبة حلم. قال ماحلمت عن لئيم وان كان وليًا الا اعقبني ندماً ولا أقدمت على كريم وان كان عدوًا الا اعقبني اسفاً . وقال شاعر :

متى تضع الكرامة في لئيمٍ * فانك قد أسأت الى الكرامه

وقد ذهبت صنيعته ضياعاً * وكان جزاء فاعلها الندامه

وقيل الكريم يُستصلح بالكرامة واللئيم بالمهانة . وقال المتنبي :

اذا انت اكرمت الكريم ملكته
وان انت اكرمت اللئيم تمردا

فوضع الندى في موضع السيف بالعلى
مضر كوضع السيف في موضع الندى

وقيل استعمال الحلم مع اللئيم اضر من استعمال الجهل مع الكريم

(الاستخفاف بمن لا يصلحه الاكرام) اذا لم تنفع الكرامة فالاهانة احزم. جنب كرامتك اللئام فانك ان احسنت اليهم لم يشكروا وان نزلت بهم شدة لم يصبروا . وقال شاعر :

ساحرمكم حتى تُذل صعابكم * فانجع شيء في صلاحكم الفقر

(الاستعانة بالجهل عند الحاجة اليه) بينا ابن عمر جالس اذ اقبل اعرابي فلطمه فقام اليه رجل فجلد به الارض فقال ابن عمر ليس بعزيز من ليس في قومه سفيه . وقيل اجعل لكل كلب كلباً يهردونك فالعرض لا يصان بمثل سفيه يصول وحاد يقول :

لا بد للسؤدد من رماحِ * ومن سفيه دائم النباحِ

وقال الاحنف :

ومن يحلم وليس له سفيه * يلاقي المضلات من الرجالِ

(الرخصة في عقاب المجرم) قال الله تعالى « ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب » وقال الشعبي : يعجبني الرجل يكافئ بالسيئة السيئة فاذا سيم هواناً آبت له الانفة الا المكافأة . فبلغ قوله الحجاج فقال لله دره أي نفس بين جنبيه . وقال الجاحظ من قابل الاساءة بالاحسان فقد خالف الرب في تدبيره وظن ان رحمته فوق رحمة الله تعالى والناس لا يصلحون الا على الثواب والعقاب . وضرب الحجاج رجلاً فقال اعتديت أيها الامير فقال لا عدوان الا على الظالمين . ووقع ابراهيم بن العباس « اذا كان للمحسن من الحق مايقنعه وللمسيء من النكال مايقمعه بذل المحسن الحق له رغبةً وانقاد المسيء له رهبةً »

(حث القادر على العقاب قبل فوته) قال بعض الغسانيين يحرض الاسود بن المنذر على قتل اعدائه :

ما كل يوم ينال المرء فرصته * ولا يسوغه المقدار ما وهبا

فاحزم الناس من ان نال فرصته * لم يجعل السبب الموصول مقتضبا

لا تقطعنْ ذنب الافعى وترسلها * ان كنت شهماً فاتبع رأسها الذنبا

دخل الابرش على هشام لما غضب على خالد القسري فقال يا أمير المؤمنين أقل خالداً عثرته وتدارك بحلمك هفوته فقال :

مضى السهم حتى لا يريد سوى الحشا * فصادف ظبياً في الحديقة راتعا

وقال عبد الصمد للمنصور لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو فقال لان بني مروان لم تبلَ رممهم وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم ونحن بين اقوام قد رأونا بالامس سوقة واليوم خلفاء فليس تتمهد الهيبة في صدورهم الا باطراح العفو واستعمال العقوبة

(عذر من عاتب على صغير) قال رجل من بني يشكر :

تعفو الملوك عن العظيم م من الذنوب لفضلها
ولقد تعاقب في اليسير م وليس ذاك لجهلها
لكن ليعرف فضلها * ويُخاف شدة نكالها

القسم الثالث

« في المداوات »

(الاحتراس من غرس العداوة) قيل لا تشتر عداوة رجل واحد بمودة الف رجل . وفي كتاب كليلة « لاينبغي للعاقل ان تحمله ثقته بقوته على ان يجتر العداوة كما لا يجب لصاحب الترياق ان يشرب السم اتكالاً على أدويته . وقيل توسد النار وافتراش الافاعي أقل غائلة ممن أوجس عداوتك فيروح بها

وقال عبد الله بن الحسن لابنه اتق معاداة الرجال فانك لا تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم . وقال بعضهم في التحذير من العداوة :

سيعلم اسماعيل ان عداوتي * له سم افعى لا يصاب دواؤها

(النهي عن الاعتذار بالعداوة) قال سديف بن ميمون يحرض بني العباس على بني أمية :

لا يغرنك ماترى من رجال * ان تحت الضلوع داء دوياً
فخذالسيف واطرح السوط حتى * لاترى فوق ظهرها أموياً

وقال المتنبي :

فلا يغررك السنة موال * تقلبهن افئدة اعادي
وكن كالموت لايرثي لباكٍ * بكى منه ويروي وهو صادِ

وفي كتاب كليلة : لا يغر العاقل سكون الحقد في القلب مالم يجد محركاً كالجمر المكنون مالم يجد حطباً والعداوة اذا وجدت فرصة اشتعلت فلا يطفئها شيء دون النفس

(النهي عن السكون الى من يخافك) من خاف شرك أفسد أمرك ومن خاف صولتك ناصب دولتك . وقال معاوية من خاف اساءتك اعتقد مساءتك

(النهي عن السكون الى من تقدم منك له اساءة) قيل اذا أوحشت الحر فلا ترتبطه فاذا ارتبطته فلا توحشه

(التحذير من عدو قاهر) قيل احذر الناس ان يحذر عدو قاهر وسلطان جائر . وقبل اياك ومعاداة من ان ارادك بسوء ارداك وان أردته بسوء لم توجع الا حشاك

(النهي عن الاستعانة بمن ظلمته) قيل العدوّ عدوان عدوّ ظلمته وعدوّ ظلمك فان اضطرك الدهر الى ان تستعين بأحدهما فاستعن بالذي ظلمك فانه احرى ان يعينك ان الذي ظلمته موتور

(النهي عن استصغار العدو) قيل لا تستصغرن أمر عدوك اذا جاريته لانك ان ظفرت به لم تُحمد وان ظفر بك لم تُعذر . الضعيف المحترس من العدو القوي اقرب الى السلامة من القوي المغتر بالعدو الضعيف . وقيل العدو المحتقر ربما اشتد كالغصن النضر ربما صار شوكاً . وقيل لا تأمنن العدو الضعيف ان تورطك فالرمح قد يقتل به وان عدم السنان

وفي المثل اذا عز أخوك فهن . لا يتقى العدو القوي بمثل الخضوع واللين فمثل ذلك كمثل الريح العاصف تقلع الاشجار العظام لتأبيها عليها ويسلم منها النبات اللين لتمايله معها . وقال سليمان بن وهب :

غرك الدهر بما تهوى فهنْ ☆ واذا ما أخشن الدهر فلنْ
لا تماسره وخذ ميسوره ☆ وتفنن معه في كل فنْ

وقال ابن نباتة :

واذا عجزت عن العدو فداره * وامزج له ان المزاج رفاقُ

فالنار بالماء الذي هو ضدها * تعطي النضاج وطبعها الاحراقُ

(حمد المداجاة طلباً للفرصة) قيل لابن القرية ما الدهاء فقال تجرع الغصة وتوقع الفرصة . وقيل من تمام الادب ان تستر العداوة الى وقت الفرصة لئلا يُستسلح لذلك . قال أمير المؤمنين علي : انكى الاشياء لعدوك ان لا تعلمه انك اتخذته عدوًا . وقيل لا يكونن سلاحك على عدوك ان تكثر ثلبه فانك تخبر عن حزمه وعجزك . وقال التنوخي :

القَ العدو بوجه لا قطوب به * يكاد يمطر من ماء البشاشاتِ

فاحزم الناس من يلقى أعاديه * في جسم حقد وثوب من موداتِ

(المتبجح باظهار الليان وكتمان العداوة) وقال حميد الاكاف :

واني ليلقاني العدو مواصلاً * فيحسبني منه أبرّ وأوصلا

أجر له ذيلي لادرك فرصتي * ويحسبني في جر ذيلي مغفلا

(من نظره ينبئ عن عداوته) قال زهير :

الود لا يخفى وان اخفيته * والبغض تبديه لك العينانِ

وقال آخر :

ستور الضمائر مهتوكة * اذا ما تلاحظت الاعينُ

وقال غيرهُ :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقيل لا تأمنن عدوك على مكنون سرك فكمون عداوته ككمون الجمر في الرماد اذا وجد فرصة اشتعل

(ثبات العداوة الجوهرية) قيل لكل حريق مطفيء فللنار الماء واللئيم

العداوة وللحزين الصبر وليس للحقد العزيزي دواء

(المسرة بوقوع المعاداة بين اعدائك) من حق العاقل ان يرى معاداة بعض عدوه لبعض ظفرًا حسنًا في اشتغال بعضهم ببعض خلاصه منهم . وفي الادعية : اللهم اخذل الكافرين وأوقع بينهم العداوة والبغضاء

(دنيء يعاديك بلا سبب) قال عبد الصمد :

رب من يشجيه أمري * وهو لم يخطر ببالي

قلبه ملآن من ذكري م وقلبي منه خالِ

وقال المتنبي :

وأتعب من ناداك من لا تجيبه * وأغيظ من عاداك من لا تشاقهُ

(تأسف من يعاديه لئيم أو دنيء) قال علي بن الجهم :

بلاء ليس يشبهه بلاء * عداوة غير ذي حسب ودينِ

يبيحك منه عرضًا لم يصنه * و يرتع منك في عرض مصون

ولما حاصر المنصور هبيرة بعث اليه ابن هبيرة ان بارزني فقال لا افعل فقال ابن هبيرة لاشهرن امتناعك ولاعيرنك به فقال المنصور مثلنا ما قيل ان خنزيرًا بعث الى الاسد وقال قاتلني فقال الاسد لست بكفوئي ومتى قتلتك لم يكن لي فخرًا وان قتلتني لحقني وصم عظيم فقال لاخبرن السباع بنكولك فقال الاسد احتمال العار في ذلك أيسر من التلطخ بدمك . وفي عذر من يخاصم دنيئًا و يدافعه قول المتنبي

اذا أتت الاساءة من وضيع * ولم ألم المسيء فمن ألومُ

(الحث على العداوة بالفعل لا القول) قيل غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله . وولى أبو مسلم رجلاً ناحيةً فقال له اياك وغضبة السفلة فانها في السنتها وعليك بغضبة الاشراف فانها تظهر في افعالها

(الحث على اماتة الحقد) قال ارسطوطاليس استعد لاخماد لهب العداوة بالاناءة قبل تلهب ناره فان اطفاءه قبل انتشاره سهل يسير . وقيل ما احسن بالرجل ان يحسن مداراة عدوه حتى يطفيء سورة ناره . وقال بعض أصحاب المأمون يوماً ان عجيف بن عنبسة خبيث النية رديء السريرة وأراك قد قربت مجلسه فقال والله لأحسننّ اليه ولاتفضلن عليه حتى أكون أحب الناس فلم يزل يخلصه حتى صار يبذل دونه مهجته

(مدح الحقد وذويه) وصف أعرابي حقوداً فقال : يحقد حقد من لا ينحل عقده ولا يلين كبده . وقال ابن الرومي :

وما الحقد الا توأم الشكر في الفتى   وبعض السجايا ينتسبن الى بعض
اذا الارض أدت ربع ما أنت زارع   من البذر فيها فهي ناهيك من أرض

(اسباب العداوات) شكا رجل الى سهل بن هارون عداوة رجل فقال العداوة تكون من المناكحة والمناسبة والمجاورة واتفاق الصنائع فمن أيها معاداته لك . وقال رجل لآخر اني أخلص لك المودة فقال قد علمت قال كيف علمت وما معي من الشاهد الا قولي قال انك لست بجار قريب ولا بابن عم نسيب ولا بمشاكل في صناعة . وقيل لشبيب بن شبة ما بال فلان يعاديك فقال لانه شقيقي في النسب وجاري في البلد ورفيقي في الصناعة . وقيل كل عداوة لعلة فانها تزول بزوال العلة وكل عداوة لغير علة فانها لا تزول

(عداوة الاقارب) قيل عداوة الاقارب كالنار في الغابة . وقيل عداوة الاقارب كلسع العقارب

ان الاقارب كالعقارب   بل أضر من العقارب

وسئل بعضهم عن بني العم فقال هم اعداؤك واعداء اعدائك

القسم الرابع

« في الحسد »

(حد الحسد) قيل الحسد ان تتمنى زوال نعمة غيرك والغبطة ان تتمني مثل حال صاحبك وقال النبي « صلعم » المؤمن يغبط والمنافق يحسد . وقيل الحسد خلق دنيء داعية النكد

(استعظام الحسد من بين الذنوب) قال ابن المقفع الحسد والحرص دعامنا الذنوب فالحرص اخرج آدم عليه السلام من الجنة والحسد نقل ابليس من جوار الله تعالى . وقال انس بن مالك « رضه » رفع الله البركة عن خمسة : عن الناكث والباغي والحسود والحقود والخائن . وقال الحسد يأكل الحسنات كما تاكل النار الحطب

(النهي عن الحسد) روي ان سليمان الحكيم سأل الله تعالى ان يعلمه كلمات ينتفع بها فأوحى اليه اني معلمك ست كلمات لا تغتابنّ عبادي واذا رأيت نعمتي على عبد فلا تحسده فقال يا رب حسبي ان لا أقوم بهاتين . من حسد من دونه قل عدوه ومن حسد من فوقه أتعب نفسه

(كون الحسد ضارًّا لصاحبه) قال علي كرم الله وجهه ما رأيت ظالمًا اشبه بمظلوم من الحاسد : نفس دائم وعقل هائم وحزن لازم . وقال أيضاً لله در الحسد ما أعدله يقتل الحاسد قبل ان يصل الى المحسود . وقيل الحسود لا يسود . وقال الجاحظ من العدل المحض والانصاف الصريح ان تحط عن الحاسد نصف عقابه لان ألم جسمه قد كفاك مؤونة شطر غيظك . وقيل لا راحة لحسود ولا وفاء لملول . الحسود غضبان على القدر والقدر لا يعتبه . ولمنصور الفقيه :

الاقل لمن بات لي حاسدًا * اتدري على من أسأتَ الادبْ
أسأت على الله في حكمه * اذا أنت لم ترض لي ما وهبْ

وجد على بساط لملك الروم « البخيل مذموم والحسود مغموم والحريص محروم » . وسئل ابن عباس عن الحسد والنكد ايهما شر فقال الحسد داعية النكد ابليس حسد آدم فصار حسده سبب نكده فاصبح لعيناً بعد ان كان مكيناً

(صعوبة ارضاء الحاسد) قال معاوية كل الناس يمكنني ان أرضيه الا الحاسد فانه لا يرضيه الا زوال نعمتي . وقيل لاحدهم أي عدو لا تحب ان يعود صديقاً قال الحاسد الذي لا يرده الى مودتي الا زوال نعمتي . وقال بيغا :

ومن البلية ان تداوي حقد من * نعم الاله عليك من احقاده

(وصف الحسد بانه أعظم عداوة) قال أبو العيناء اذا أراد الله أن يسلط على عبد عدوًّا لا يرحمه سلط عليه حاسدًا وقال بعضهم ما ظنك بعداوة الحاسد وهو يرى زوال نعمتك نعمةً عليه

(صعوبة شماتة الحساد) سأل بعض الملوك جماعة من الحكماء عن أشد ما يمر على الانسان فقال بعضهم الفقر وقال آخرون الفقر في الغربة وقال غيرهم الغربة مع المرض ثم أجمعوا على ان أشد من ذلك كله شماتة العدو ثم أجمعوا على ان أشد منه رحمة العدو للمرء من نكبةٍ تناولته وقال الشاعر

وحسبك من حادث بامرىء * ترى حاسديه له راحمينا

وقال ابن أبي عيينة

كل المصائب قد تمر على الفتى * وتزول غير شماتة الحسادِ

(الحسد يظهر فضل المحسود) قال أبو تمام :

واذا اراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسودِ

لولا اشتعال النار في ما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وقال الشاعر :

فضل الفتى يغري الحسود بسبه * والعود لولا طيبه ما أحرقا

(الفضائل مقتضية للحسد) قيل لا يفقد الحسد الا من فقد الخير أجمع فمنبع الحسد مقر النعمة . قال شاعر :

وحذاء كل مروءة حسادها * وقال البحتري : وليس يفترق النعماء والحسدُ

ومر قيس بن زهير ببلاد بني غطفان فرأى ثروة فكره ذلك فقال له الربيع الا يسرك ما يسر الناس فقال ان مع الثروة التحاسد والتخاذل ومن القلة التحاشد والتناصر . وقال الموسوي :

عادات هذا الدهر ذم مفضل * وملام مقدام وعذل جوادِ

(المحسود لفضله) قال شاعر :

حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه * فالقوم أعداء له وخصومُ

كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسداً و بغضاً انه لذميمُ

وقال ابن المعتز :

ومن عجب الايام بغي معاشر * غضاب على سبقي اذا أنا جاريتُ

يغيظهم فضلي عليهم ونقصهم * كأنيَ قسمت الحظوظ فحابيتُ

(الدعاء للانسان بان يكون محسوداً) قال شاعر :

لا ينزع الله عنهم ما له حسدوا * وقال آخر : ولا برحت نعماك داء حسودها *

(ذم من لا يحسد) قال الشاعر : ولن ترى للئام الناس حسادا *

(دنيء يحسد سريا) قال مروان بن أبي حفصة :

ما ضرني حسد اللئام ولم يزل * ذو الفضل يحسده ذوو التقصيرِ

(من يحسد الذين تصل اليهم نعمه) قيل لرجل أتحسد فلاناً وهو يواليك ويكرمك فقال نعم حتى أصير مثله أو يصير مثلي . وقال المتنبي

وأظلم أهل الارض من بات حاسداً * لمن بات في نعمائه يتقلبُ

(تبكيت الحاسد) قال البحتري :

لا تحسدوه فضل رتبته التي * اعيت عليه وافعلوا كفعاله

وقال السري الرفاء

نالت يداه اقاصيَ المجد الذي * بسط الحسود اليه باعاً ضيقا

أعدوّه هل للسماك جريرة * في ان دنوتَ من الحضيض وحلقا

أم هل لمن ملأ اليدين من العلا * ذنب اذا ما كنت منه مملقا

(استراحة من لا يحسد وطيب عيشه) الفضل لمن نبذ الحسد واراح الجسد ولزم الجدد . وقال البحتري :

مستريح الاحشاء من كل ضغن * بارد الصدر من غليل الحسود

قال الاصمعي رأيت اعرابياً أتى عليه عمر كثير فقلت أراك حسن الحال في جسدك قال نعم تركت الحسد فبقيت نفسي . وهذا من قول سقراط : الحسد يأكل الجسد . قال الفضيل لا يستريح قلبك حتى يترك كل الدنيا . وقيل من دعته نفسه الى ترك الدنيا فلينظر هل يحسد أحداً فان حسد كان تركه عجزاً لانه لو زهد فيها ما حسد عليها

(الممدوح بانه لا يحسد) وقف الاحنف على قبر الحارث بن معاوية فقال : رحمك الله كنت لا تحقر ضعيفاً ولا تحسد شريفاً . قال ابو تمام في مدح كريم :

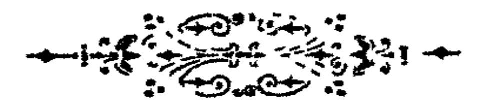
وسمحت في الدنيا فما لك حاسدٌ *

(الحث على التحرز من حسد السلطان) لما فرغ جعفر بن يحيى من بناء قصره صار اليه وجوه أصحابه وفيهم مؤنس بن عمران وكان رجلاً كاملاً فاستحسنوه ومؤنس ساكت فقال جعفر لمَ لا تتكلم فقال فيما قالوه كفاية فالح عليه ان يقول شيئاً فقال مؤنس اتصبر على الحق والصدق قال نعم فقال ان خرجت ومررت بدار لبعض أصحابك تشبهها او تفوقها ما أنت قائل . قال قد فهمت فما الرأي فقال

له تأتي أمير المؤمنين وتقول اني قد بنيت هذا القصر للمأمون واتبعه من الكلام ما أنت اعلم به فسأله الرشيد عن خبره فقال له ذلك وقال له اني استعملت لكل بيت من الفرش ما يليق به فزال عن قلب الرشيد ما خامره . وقال الشعبي وجهني عبدالملك الى ملك الروم فلما انصرفت دفع اليّ كتاباً مختوماً فلما قرأه عبد الملك رأيته تغير وقال يا شعبي اعلمت ما كتب هذا الكلب قلت لا قال انه كتب « لم يكن للعرب ان تملك الا من أرسلت به اليّ » فقلت يا أمير المؤمنين انه لم يرك ولو رآك لكان يعرف فضلك وانه حسدك على استخدامك مثلي فسري عنه . وقيل اذا أردت ان تسلم من حسد سلطانك فعم عليه مجامع شأنك

(مالا يستقبح فيه الحسد) قال النبي « صلعم » لا حسد الا في اثنين رجل أتاه الله مالاً ثم أنفقه في حق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها . وقال ارسطوطاليس الحسد حسدان محمود ومذموم فالمحمود ان ترى عالماً فتشتهي ان تكون مثله أو زاهداً فتشتهي مثل فعله والمذموم ان ترى عالماً او فاضلاً فتشتهي ان يموت

(المتبجح بكونه حسوداً) اجتمع ثلاثة رجال فقال أحدهم لصاحبه ما بلغ من حسدك قال ما اشتهيت ان افعل بأحد خيراً قط فقال الثاني انك رجل صالح انا ما اشتهيت ان يفعل أحد بأحد خيراً قط . فقال الثالث ما في الارض أفضل منكما انا ما اشتهيت ان يفعل بي أحد خيراً قط



القسم الخامس

« في التواضع والكبر »

(ما حد به التواضع والكبر) قيل لبعضهم ما التواضع قال اخلاق المجد واكتساب الود فقيل ما الكبر قال اكتساب البغض . وقيل لازدشير ما الكبر فقال اجتماع الرذائل لم يدر صاحبها اين يضعها فيصرفها الى الذم

(فضل التواضع والحث عليه) قال النبي « صلعم » طوبى لمن تواضع . وقيل التواضع أحدى مصائد الشرف . من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره . وقيل من وضع نفسه دون قدره رفعه الناس فوق قدره ومن رفعها عن حدها وضعه الناس دون قدره . وقيل لبزرجمهر هل تعرف نعمة لا يحسد عليها قال نعم التواضع فقيل هل تعرف بلاء لا يرحم صاحبه قال نعم الكبر

(فضل كبير متواضع) قال ابن عباس كان رسول الله « صلعم » يجلس على الارض ويأكل على الارض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك ويقول لو دعيت الى كراع لاجبت . وكان يحيي ابن سعيد خفيف المال فاستقضاه أبو جعفر فلم يتغير فقيل له في ذلك فقال من كانت نفسه واحدة لم يغيره المال . ولما ورد المرزبان على عمر (رضه) فأورد باب داره وقرع بابه فقيل انه قد خرج آنفًا فكانوا يسألون عنه فيقولون مر من ههنا آنفًا فاستحقر المرزبان أمره الى ان انتهى اليه وهو نائم في ناحية المسجد فلما رفع رأسه امتلأت نفس المرزبان منه رعبًا فقال هذا والله الملك المهنيء لا يحتاج الى حراس ولا الى عدد . وقال عمر حين نظر الى صفوان مبتذلا لاصحابه هذا رجل يفر من الشرف والشرف يتبعه . وقال عمر أريد رجلاً اذا كان في القوم وهو أميرهم كان كبعضهم فاذا لم يكن أميرًا فكأنه أميرهم . وقال الشاعر :

متواضع والنبل يحرس قدره * وأخو التواضع بالنباهة ينبلُ

(ذم التكبر والنهي عنه) قال الله تعالى « اليس في جهنم مثوى للمتكبرين» وقال « انه لايحب المستكبرين » . وقال النبي « صلعم » ان الله يقول الكبر ازاري والعظمة ردائي من نازعني واحداً منهما القيته في النار

وقال بزرجمهر وجدنا التواضع مع الجهل والبخل أحمد عند العقلاء من الكبر مع الادب والسخاء فانبلْ بحسنة غطت سيئتين واقبحْ بسيئة غطت على حسنتين

(السبب الداعي الى التكبر) قال المأمون ماتكبر أحد الا لنقص وجده في نفسه ولا تطاول الا لوهن أحس من نفسه

(ذم متكبر لولاية نالها) من نال منزلة فابطرته دل على رداءة أصله وعنصره . وقال سفيان السفل اذا تمولوا استطالوا واذا افتقروا تواضعوا والكرام اذا تمولوا تواضعوا واذا افتقروا استطالوا . وقال صالح بن عبد القدوس

تاه على اخوانه كلهم * فصار لايطرف من كبره

أعاده الله الى حاله * فانه يحسن في فقره

(المبغي عليه منصور) قال الله تعالى « انما بغيكم على أنفسكم » وقال النبي « صلعم » ما رأيت اسرع هلاكاً من البغي . وقال يزيد بن الحكم :

البغي يصرع أهله * والظلم مرتعه وخيمْ

(ذم متكبر بخيل أودنيء) قال النبي « صلعم » البخل والكبر لايجتمعان في مؤمن . وقيل من استطال بغير تطول وامتن بغير منة فقد استعجل المقت . وقال علي بن الجهم :

جمعت أمرين ضاع الحزم بينهما * تيه الملوك وافعال المماليك

(ذم فقير متكبر) قيل أبغض الناس ذو عسر يخطر في رداء كبر

(ذم الفخر وذويه) قال الله تعالى « ان الله لايحب كل مختال فخور » ونظر النبي « صلعم » الى رجل يجر ازاره فقال ارفع ازارك فانه ابقى وانقى واتقى . فقال

يارسول الله انها مروءة فقال اليس لك بي اسوة . وكان ازاره الى انصاف ساقيه . نظر مطرف الى المهلب وعليه حلة يسحبها فقال ماهذه المشية التي يبغضها الله فقال اوما تعرفني قال بلى اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة . فلم يعد الى تلك المشية . ونظر الحسن (رضه) الى رجل يخطر في ناحية المسجد فقال انظروا الى هذا ليس فيه عضو الا ولله عليه نعمة وللشيطان فيه لعنة

(التواضع بسرعة المشي والتجوز في الاكل) كان عمر بن الخطاب يسرع المشي فقيل له في ذلك فقال هو انجح للحاجة وأبعد من الكبر اما سمعت قول الله تعالى « واقصد في مشيك واغضض من صوتك » . وكان النبي « صلعم » يأكل على الارض فقيل له في ذلك فقال انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد

(التواضع بالقيام بحوائج الناس وتحمل أثقالهم) كان النبي « صلعم » يمشي مع الارملة يقضي حاجتها ولا يستنكف . واشترى رجل شيئاً فمر بسلمان وهو أمير المدائن فلم يعرفه فقال احمل هذا معي يا علج فحمله . وكان من يتلقاه يقول ادفعه الي ايها الامير فيقول : لا والله لايحمله الا العلج . والرجل يعتذر اليه ويسأله ان يرده عليه وهو يأبى حتى حمله الى مقره

(التواضع في قيامه بأمر عياله) اشترى أمير المؤمنين تمرًا بدرهم فحمله في ملحفته فقال له بعض أصحابه دعني احمله فقال ابو العيال أحق ان يحمله . وروئي بعض الكبار و بيده بطن شاة . فقال له رجل ادفعه اليّ فانه يزري بك فقال :

مانقص الكامل من كماله * ما جر من نفع الى عياله

وكان أبو هريرة يحمل الحزمة من الحطب وهو خليفة مروان ويقول وسعوا للامير

(حمد تعظيم الكبار) قدم قيس بن عاصم على النبي « صلعم » وكان سيد أهل الوبر فبسط له رداءه ثم قال اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه . وروي ان مجوسياً دخل على رسول الله « صلعم » فأخرج من تحته وسادة حشوها ليف

وطرحها له واقبل عليه يحدثه فلما نهض قال عمر انه مجوسي فقال قد علمت ولكن جبريل عليه السلام يأمرني ان اكرم كل كريم قوم اذا أتى وهذا سيد قومه . وقال الشعبي ركب زيد بن ثابت فدنا منه عبد الله بن العباس ليأخذ بركابه فقال ماتفعل يا ابن عم رسول الله فقال هكذا أمرنا ان نفعل بامرائنا فقال زيد ارني يدك فأخذها وقبلها وقال هكذا أمرنا ان نفعل بأهل بيت نبينا

(حمد تصدير الصديق) دخل سالم بن مخزوم على عمر بن عبد العزيز فتنحى له عن الصدر فقيل له في ذلك فقال اذا دخل عليك من لا ترى لك عليه فضلاً فلا تأخذ عليه شرف المنزلة

(مدح معرفة الرجل قدر نفسه) قال أمير المؤمنين علي : ان يهلك امرؤ عرف قدره . وقال الشافعي انفع الاشياء ان يعرف الرجل قدر منزلته ومبلغ عقله ثم يعمل بحسبه

(ذم اعجاب المرء بنفسه) قيل عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله . وقال اعرابي لرجل معجب بنفسه يسرني ان اكون عند الناس مثلك في نفسك وعند نفسي مثلك عند الناس . وقال ابليس اذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطالبه بغيرها اذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنبه

(متكبر على ذي كبر) سئل الحسن عن التواضع فقال هو التكبر على الاغنياء وأنشد المبرد :

اذا تاه الصديق عليك كبرًا * فته كبرًا على ذاك الصديقِ

فايجاب الحقوق لغير راع * حقوقك رأس تضييع الحقوق

وقال بعضهم ما تاه أحد عليَّ أكثر من مرة واحدة لاني تركته بعد ذلك وأعرضت عنه

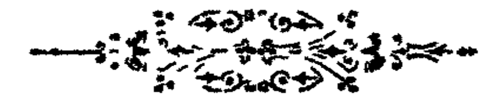
(من ترك حقه اشفاقاً من وصمة تلحقه) اختصم الاصبهبذ صاحب طبرستان والمصمغان صاحب دباوند في شيء فكتب الى الحجاج ان يوجه رجلا يحكم بينهما

فوجه اياساً اليهما فلما صار بالمنصف بعث اليهما فحضر الاصبهبد على سريره والقى للصمعان وسادة فقال اياس للاصبهبد أنت ظالم وقد عرفت ذلك منك قال فبم قال العدل ان تساويه في الحكم فقال اذاً أدع حقي ولا اساويه في المجلس فترك حقه وعاد الى مكانه . وقال الرشيد يوماً لجلسائه ان عمارة قد ذهب في التيه كل مذهب وأحب أن اضع منه . فقيل له لاشيء أوضع للرجال من منازعة الرجال والرأي ان يؤمر رجل ليدعي أفضل ضيعة له أنه غصبه اياها ففعل ذلك فلما دخل عمارة قام الرجل فتظلم منه وشنع عليه فقال الرشيد اما تسمع مايقول الرجل فقال من يعني فقال الرشيد يعنيك انك غصبته كذا فقم واجلس معه مجلس الحكم فقال ان كانت هذه الضيعة له فلست أنازعه فيها وان كانت لي فقد جعلتها له فانقطع كلام الرجل فلما انصرف قال عمارة لرجل كان معه من هذا المدعي . فاراغ انه لم يملأ عينه منه فأخبر الرشيد بذلك فقال سوغنا تيهه له بعد ذلك

(النهي عن الافراط في التواضع) قال ابن المقفع الافراط في التواضع يوجب المذلة والافراط في المؤانسة يوجب الاهانة

(عذر من تواضع لدنيء مهابةً) قال النبي « صلعم » شر الناس من أكرمه الناس اتقاء شره . كان ابو العباس قد ضم المنصور الى حميد بن قحطبة فقال له يزيد بن حاتم أترضى بمتابعة حميد . فقال

أسجد لقرد السوء في زمانهِ * ودارهِ ما دام في سلطانهِ



الحد الرابع

﴿ في الاخلاق والصفات ﴾

القسم الاول

« في مراعاة الجار »

قيل عليكم بحسن الجوار فان السباع وعتاق الطاير في الهواء تحامي على من يجاورها . وقيل الكريم يرعى حق اللحظة و يتعهد حرمة اللفظة . وقال جعفر بن محمد حسن الجوار عمارة الديار

(الامر بكف الاذى عنه) قال النبي « صلعم » من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذينَّ جاره . وقيل ليس من حسن الجوار ترك الاذى ولكن من حسن الجوار الصبر على الاذى . وفي الخبر من آذى جاره أورثه الله داره . وقيل من آذى جاره خرب الله داره

(الناصر من استجار به) كان أبو سفيان اذا نزل به جار قال يا هـذا انك قد اخترتني جارًا واخترت داري دارًا فجناية يدك على دونك وان جنت عليك يد فاحتكم على حكم الصبي عليَّ أهله . وكان أبو حنبل يقال له مجير الجراد وذلك انه نزل عليه جراد بفنائه فعدا الحي اليه فقال لهم الى اين فقالوا أردنا جيرانك جرادًا نزل بفنائك فقال اما اذا سميتموه جاري فلا تصلون اليه أبدًا فأمر قومه أن يسلوا سيوفهم ويمنعوهُ

وقال ابن نباتة :

ولو يكون سواد الشعر في ذممي * ما كان للشيب سلطان على القمم

(المستنطر ذويه على اعاديه) قال ابن الحجاج :

ياراعي السرب يحميه ويحرسه * ان الذئاب قد استولت على الغنم
فما في بتلافي العين من سقم * لم يبق مني سوى لحم على وضم
حتى أقول لريب الدهر كيف ترى * تعصب السادة الاحرار للخدم

(ناصر مستنصره وان لم يكن بينهما معرفة) روي ان حاتماً كان بأرض عنزة فناداه أسير يا أبا سفانة احتمال العذاب والجوع . فقال ويلك ما أنا في بلاد قومي وما معي شيء وقد أسأت اذ نوهت باسمي فاشتراه وقال خلوا سبيله واجعلوني في القيد مكانه حتى أؤدي فداءه فجعل مكانه وبعث الى قومه فأتوه بالفداء . وفي المثل : رب أخ لك لم تلده أمك

(المبادرة الى نصرة مستنصره) قيل لا تسأل الصارخ واسأل ما له . وقال بعض بني العنبر :

لا يسألون اخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا

وقال الصنوبري :

ياخير مستصرخ لنائبة * يضيق بالعالمين قطراها

(من تحمل من جاره الضراء ووفر له سراء) قال زهير :

وجار سار معتمداً علينا * اجاءته المخافة والرجاء
ضمنا ماله فغدا سليماً * علينا نقصه وله النماء

وقال شبيب بن البرصاء :

وجاراتنا ما دمن فينا عزيزة * كاروى ثبير لا يحل اصطيادها
يكون علينا نقصها وضمانها * وللجار ان كانت تريد ازديادها

(مدح من كرم جاره ومستنصروه) قال أبو تمام :

وليس امرؤ في الناس كنت سلاحه * عشية يلقى الحادثات باعزلا

ترى درعه صداء والسيف قاضباً * وزجيه مسهومين والسوط معولا

وقال آخر :

اذا كانت الاحرارأصلي ومنصبي * ودافع عني حازم وابن حازم

عطست بأنف شامخ وتناولت * يداي الثريا قاعداً غير قائم

(الحامي جاره الحابيه ماله) قال ابن الرومي :

همُ املونا في هضاب غيومهم * ندى ورعونا بالما والقنابل

وقال السري الرفاء :

أمن في ظـله رعينه * خوف أعاديه حين عاداها

أهلها في نواله وغـدا * منتملاً بالحسام يرعاها

(الحامي جاره والمبيح ماله) قال ابن الرومي :

هو المرء أما ماله فحلل * لعاف وأما جاره فحرام

(المستجير بمن أمنه من النوب) قال أبو نواس :

أخذت بحبل من حبال محمد * أمنت به من طارق الحدثان

تغطيت من دهري بظل جناحه * فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسأل الايام ما اسمي ما درت * واين مكاني ماعرفنَ مكاني

(الحث على نصرة واقع في محنة) قال بعض البلغاء لتكن معاونتك اخاك بمهجتك عند البلاء اكثر من معاونتك اياه عند الرخاء . وقيل افضل المعروف نصرة الملهوف

(حامي الحرم) قال عنترة :

أبينا ابينا ان تضب لثاتكم * على مرشفات كالظباء عواطيا

(الحامي حرمه المبيح حرم غيره) قال طفيل الغنوي :

أبحنا روضة ولنا رياض * تقطع دون مطلعها النفوس

وقال جرير :

أبحت حمى جرير بعد نجد * وما شيء حميت بمستباح

(المؤثر نفع غيره على نفع نفسه) قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

أبى دهرنا اسعافنا في نفوسنا * واسعفنا في من نجل ونكرم

فقلنا له نعماك فيهم أتمها * ودع أمرنا ان الاهم المقدم

وقال عمارة :

ينمي مضرته لنفع صديقه * لاخير في شرف اذا لم ينفع

(الحث على التظاهر) لن يعجز القوم اذا تعاونوا فبالساعد يبطش الكف .

قال شاعر:

ان السهام اذا تبدد جمعها * فالوهن والتكسير المتبدد

وقال يامض الكلابي :

ألم تر ان جمع القوم يخشى * وان حريم واحدهم مباح

وان القدح حين يكون فردا * فيهصر لايكون له اقتداح

(وصف متظاهرين) قال ابو فراس :

واني واياه كعين واختها * واني واياه ككف ومعصم

وقال بعض القدماء من جهينة :

فانا وكلبا كاليدين متى تقم * شمالك في الهيجا تعنها يمينها

(ذم جار السوء) في بعض الادعية : أعوذ بالله من جار السوء عينه تراني وقلبه يرعاني ان رأى حسنة كتمها وان رأى سيئة اذاعها . وعرض على ابي مسلم فرس جواد فقال لمن بحضرته لمَ يصلح هذا الفرس فقيل للغزو فقال لا انما يصلح ان يركبه الرجل فيفر به من جار السوء . وقيل لبعضهم لمَ بعت دارك فقال لا بيع جاري . وقيل الجار قبل الدار ثم الرفيق قبل الطريق

(ذم من لايصون جاره) قال المتنبي :

رأيتكم لا يصون العرضَ جاركم * ولا يدر على مرعاكم اللبنُ
جزاء كل قريب منكم ملل * وحظ كل محب منكم ضغن

(ذم من لا نصرة لديه) قال ابراهيم بن العباس:

واني اذا ادعوك عند ملمة * كداعية بين القبور نصيرها

وار يقان: فما دار عمي لي بدار خفارة * ولا عهد عمي لي بعهد جوارِ

ولعامر: فجارك عند بيتك لحم ظبي * وجاري عند بيتي لا يرامُ

(المستنصر بمن يضره) قال شاعر :

رب من ترجو به دفع الاذى * سوف يأتيك الاذى من قبلهْ

وقال ابراهيم بن العباس:

تخذتكمُ درعاً وترساً لتدفعوا * نبال العدا عني فكنتم نصالها

وله في اولاده :

خلتكم عدة اصرف زماني * فاذا انتمُ صروف زماني

(المستنصر بمن لا نصرة لديه) قال الشاعر :

كنت من كربتي أفر اليهم * فهم كربتي فأين الفرارُ

(تأسف من خذله ناصره) قال اليزيدي :

اذا كنت تجفوني وانت ذخيرتي * وموضع حاجاتي فما انا صانعُ

(ذلة من لا ناصر له) قدمت امرأة مكة وكانت ذات جمال فاعجبت ابن أبي ربيعة فآذاها فلما أرادت الطواف قالت لاخيها اصحبني فصحبها فاذا ابن أبي ربيعة تعرض لها بمقال فرأى اخاها فانزجر فانشأت :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له * وتتقي مربض المستنفر الحامي

ولعدي :

وفي كثرة الايدي عن الظلم زاجر * اذا خطرت أيدي الرجال بمشهدِ

القسم الثاني

« في الاخلاق الحسنة والقبيحة »

(حسن الخلق) قال الله تعالى « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » وقال النبي صلعم انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم. وقيل لفيلسوف هل من جود يتناول به الخلق فقال نعم ان تحسن الخلق وتنوي لكل احد الخير. وقال النبي « صلعم » ان احبكم الى احاسنكم اخلاقاً الموطؤن اكنافاً الذين يألفون ويؤلفون. وقال: حرم الله النار على كل هين لين سهل قريب. وقال لابي الدرداء: الا ادلك على ايسر العبادة واهونها على البدن. قال بلى يارسول الله. فقال عليك بالصمت وحسن الخلق فانك لن تعمل مثلهما وقيل في سعة الاخلاق كنوز الارزاق. وقال الشاعر:

ما لم يضق خلق الفتى * فالارض واسعة عليه

وقال آخر.

لو انني خيرت كل فضيلة * ما اخترت غير مكارم الاخلاق

(الممدوح بحسن الخلق) قال البحتري.

سلام على تلك الخلائق انها * مسلمة من كل عار ومأثم

وقال ابو الفرج الاصبهاني.

خلائق كالحدائق طاب منها م النسيم وأينعت منها الثمر

وقيل صفاء الاخلاق من نقاء الاعراق (النهى عن سوء الخلق) قال النبي «صلعم» من ساء خلقه عذب نفسه. وقال خصلتان لاتجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق. وقيل سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الصبر العسل. وقال الاحنف الداء الدوي الخلق الردي واللسان البذي بئس الملبوس العبوس. وقيل ليس

لسيء الخلق توبة لانه كلما خرج من ذنب دخل في آخر لسوء خلقه

(المذموم بسوء الخلق) صحب رجلٌ رجلاً سيء الخلق فلما فارقه قال قد فارقته وخلقه لم يفارقه . وقال عمرو بن كلثوم :

وكنتُ امرأً لوشئتُ ان تبلغ المنى * بلغت بأدنى غاية تستديمها

ولكن فطام النفس اثقل محملاً * من الصخرة الصماء حين ترومها

وقيل لا مدار للخلق السيء القبيح كالشجرة المرّة لو طليت بالعسل لم تثمر الا مرًّا او كذنب الكلب لو أدخلته القالب سنين لعاد الى اعوجاجه

(المتمدح بمصابرة سيء الخلق) قال شعيب بن حرب خطبت امرأة فأجابتني فقلت اني سيء الخلق فقالت اسوأ خلقاً منك من يلجئك الى سوء الخلق . وقال حبيب لرجل سيء الخلق ان استطعت ان تغير خلقك والا فليسعك من اخلاقنا ماضاق به ذرعك

(صعوبة ترك العادة والرجوع عنها) قيل للعادة على كل انسان سلطان . وكل امرئ جار على ما تعودا . وقيل لكل كريم عادة يستعيدها . وقيل الانسان متقاضيك ما عودته . وقالت الحكماء العادة طبيعة ثانية

(نفي العيب عن تعاطي ما كان خلقاً) قال الخبز أرزي :

يعاب الفتى في ما أتى باختياره * ولا عيب فيما كان خلقاً مركبا

(الخلق يرجع الى سيمته) قال عمر بن الخطاب من تخلق للناس بما ليس خلقاً له شانه الله

وقال الشاعر : ان الخلق يأبى دونه الخلق

ولآخر : وللنفس اخلاق تدل على الفتى * اكان سخاء ما أتى ام تساخيا

(الحث على ملازمة العادة الحسنة) قال جعفر بن محمد وقد ليم في جوده : ان الله عودني عادةً وعودته عادةً فأخاف ان يقطع عني عادته ان قطعت عادتي

(الحث على لين الكلام وطلاقة الوجه) قال الله تعالى « وقولوا للناس حسناً » وقيل من لانت كلمته وجبت محبته . وقال ابن عيينة

بنيَّ ان البر شيء هينُ * وجه طليق وكلام لينُ

وقال : طلاقة الوجه عنوان الضمير وبها يستنزل الامل البعيد . وقيل حسن البشر اكتساب الذكر . والبشاشة مصيدة المودة

(الحث على مداراة الناس) قال النبي « صلعم » مداراة الناس صدقة . وقيل داروا الناس تسلموا . وقال معاوية لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت لانهم اذا جذبوها أرسلتها واذا أرسلوها جذبتها . وقال الشاعر

دارِ الصديق اذا استشاط تغيظاً * فالغيظ يخرج كامن الاحقـادِ

(حس من حسن خُلقه أن يحسن خُلقه) نظر فيلسوف الى غلام حسن الوجه يتعلم العلم فقال أحسنتَ اذا قرنت بحسن خَلقك حسن خلقك وقال جالينوس ينبغي للرجل ان ينظر الى وجهه في المرآة فان كان حسن الوجه جعل عنايته ان يضم الى جمال وجهه كمال خلقه وكمال نفسه وان رأى صورة سمجة تحرز من ان يكون ذميم الخلق والخلق

(مدح من حسن خلقه وخلقه) وصف خالد بن صفوان رجلاً فقال يقري العين جمالاً والاذن بياناً . وقال ابن الرومي :

كل الخلال التي فيكم محاسنكم * تشابهت فيكم الاخلاق والخلق

كأنكم شجر الاترج طاب معاً * حملاً ونوراً وطاب العود والورقُ

وقال احمد بن يوسف لرجل ما ادري أي حسنيك أبلغ : ما ولاه الله تعالى من تسوية خلقك وكمال خلقك او ما وليته لنفسك من تحسين أدبك وكمال مروءتك

(الاستدلال من حسن الوجه على حسن الخلق) قيل لابن دلبر المنجم ما الدليل على ان المشتري سعد فقال حسنه . وقيل منظره ينبيك عن مخبره . وقيل : في حمرة الخد ما يغني عن الخجلِ

(حث من قبح وجهه على تحسين خلقه) قال الاوقص : قالت لي أمي خُلقتَ خلقةً قبيحة لا تصلح معها لمجالسة الفتيان في بيوت القيان فعليك بالاخلاق التي ترفع الخسيسة وتتم النقيصة فنفعني الله تعالى بكلامها فتعلمت العلم فأدركت به

(ذم من حسن منظره وقبح مخبره) نظر فيلسوف الى رجل حسن الوجه خبيث النفس فقال بيت حسن وفيه ساكن نذل . ورأى آخر شاباً جميلاً فقال سلبت محاسن وجهك نقائص نفسك . وقال الشاعر :

ألم ترَ أن الماء يخلف طعمهُ * وان كان لون الماء في العين صافيا

ولغيره :

فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى * فما كل مصقول الحديد يماني

(ذم من قبح خلقه وخلقه) استعرض المأمون الجند فمر به رجل دميم فاستنطقه فرآه الكن فأمر باسقاطه وقال ان الروح اذا كانت ظاهرة كانت وسامة واذا كانت باطنة كانت فصاحة وأراه لا ظاهر له ولا باطن

(الاستدلال بقبح الوجه على قبح الصنيع) قالت العرب ليس على وجه الارض قبيح الا وجهه احسن شيء منه وقيل أحسن ما في القبيح وجهه

(من قبح منظره وحسن مخبره) لما عاد الحجاج من محاربة الخوارج قال اطلبو اليّ فاضلاً اخرجه الى عبد الملك فأتوه برجل دميم المنظر حسن المخبر . فلما رآه عبد الملك استبشع منظره فاستنطقه فملاء أذنه صواباً فتعجب منه عبد الملك وأمر له بمال وأوصى به الى الحجاج

(تفاوت اخلاق الناس) الناس في اختلافهم في خَلقهم كاختلافهم في خلقهم . وقال الشاعر :

الناس اخلاقهم شتى وان جبلوا * على تشابه أرواح وأجساد

(مخالقة الناس) قال الشاعر :

انا كالمرآة التي * كل وجه بمثاله

وقال آخر :

احامقه حتى يقال سجية * ولو كان ذا عقل لكنت اعاقله

(ذم متفاوت الخلق متلون) قال الاحنف لان ابتلى بألف جموح لجوج أحب اليّ من ان ابتلى بتلون واحد . وقال رجل انه ليبلغ من مللي ان أغير كل شهر كنيتي مرّتين . وقال خالد ابن صفوان انه ليبلغ من مللي ان اتبرم بنفسي فاتمنى ان يؤخذ مني رأسي فلايرد الاّ في كل اسبوع . وقال الجاحظ التلون ان يكون سرعة رجوع المرء عن الصواب كسرعة رجوعه عن الخطأ

(الحث على تخلية المتلون) قال الشاعر :

اذا كان ذو لون حوّل من الهوى * موجهة في كل صوب ركائبه

فخل له وجه الفراق ولا تكن * مطية رحال كثير مذاهبه

(اللجوج) قيل اللجاج أن يكون ثبات العزم على امضاء الخطأ كثبات العزم على امضاء الصواب

القسم الثالث

« في المزاح والضحك مدحا وذماً »

(النهي عن المزاح) روي عن النبي « صلعم » انه قال اياك والمزاح فانه يذهب ببهاء المؤمن ويسقط مروءته ويجر غضبه وقيل المزاح مجلبة للبغضاء مثلبة للبهاء مقطعة للاخاء وقيل اذا كان المزاح اول الكلام كان آخره الشتم للكلام . سأل الحجاج ابن القرية عن المزاح فقال اوله فرح وآخره ترح وهو نقائص السفهاء مثل نقائص الشعراء . وقال مسعر بن كدام :

اما المزاحة والمراء فدعهما * خلقان لا أرضاهما لصديق

وقيل لا تمازح صغيراً فيجترىء عليك ولا كبيراً فيحقد عليك . وقيل المزاح يبدي المهانة ويذهب المهابة والغالب فيه واتر والمغلوب ثائر . وقيل أحذر فلتات المزاح فسقطة الاسترسال لا تقل

(النهي عن مزاح من لا تجوز مباسطته) قيل لا تمازح الصبيان فتهون عليهم

(حمد الاقتصاد في المزح) قال سعيد بن العاص لابنه اقتصد في مزاحك فالافراط به يذهب البهاء ويجرىء عليك السفهاء وتركه يقبض المؤانسين ويوحش المخالطين . وقال خالد بن صفوان لا بأس بالمفاكهة تخرج الرجل من حال العبوس . وقال رجل لابن عيينه المزاح سبة فقال بل سنة لمن يحسنه . وقيل الناس في سجن لم يتمازحوا

(النهي عن الغضب من المزح) قال ابن سيرين ليس بحسن الخلق المغضب من المزح

(الممدوح بأن فيه الجد والهزل في موضعهما) قال الشاعر :

اذا جده عند الجد ارضاك جده * وذو باطل ان شئت الهاك باطله

وقال آخر :

الجد شيمته وفيه فكاهة * طوراً ولا جد لمن لا يلعب

وقال آخر :

اهازل حيث الهزل يحسن بالفتى * واني اذا جد الرجال لذو جد

وقال بعضهم لاسدمتك مزيناً نجدك مجلس الحفلة وبهزلك مجالس البذلة

(عذر من كان منه ضحك وهو مهموم) قال الشاعر :

وربما ضحك المكروب من عجب * السن تضحك والاحشاء تضطرمُ

(النهي عن كثرة الضحك) قال النبي « صلعم » اياك وكثرة الضحك

فانها تميت القلب وتورث النسيان . وقال الثوري عظموا العلم ولا تكثروا الضحك فتمجه القلوب وكثرة الضحك من الرعونة . وضحك اسحاق بين يدي المأمون حتى فتح فاه فأمر بأن يؤخذ سيفه ومنطقته ويدفع اليه منديل الشراب وقال الشراب اليق بك فقال اقلني مرةً يا أمير المؤمنين فأقاله فما رؤي بعد ذلك ضاحكاً . ومرت معاذة العدوية على شبان عليهم الصوف وهم يضحكون فقالت سبحان الله لبس الناسكين وضحك الغافلين . وقال كعب ان الله يبغض المضحاك من غير عجب

(النهي عن تعاطي ما يضحك) قال النبي « صلعم » ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك القوم ويل له ويل له في مسلك هزل

القسم الرابع

« في الحياء والوقاحة »

قال النبي « صلعم » الحياء شعبة من الايمان ومن لاحياء له فلا ايمان له . وفسر قوله تعالى « ولباس التقوى بالحياء » . وقال أبي عليك بالحياء والانفة فانك ان استحييت من الغضاضة اجتنبت من الحساسة وان انفت من الغلبة لم يتقدمك أحد في مرتبة . وقيل احي حياءك بمجالسة من يستحى منه . وقيل من جمع بين الحياء والسخاء فقد أجاد الحلة ازارها ورداءها

(الممدوح بالحياء) سأل يحيى بن خالد رجلاً عن ابنه فقال تركته وماء الحياء يتحدر من أسارير وجهه وسيول الجود سائلة من فروج أنامله ولآلئ العلم متناثرة من ميازيب منطقه وقال المتنبي :

واوجه فتيان حياء تلثموا * عليهن لاخوفاً من الحرّ والبردِ
وليس حياء الوجه في الذئب شيمة * ولكنه من شيمة الاسد الورد

وقال مروان بن أبي حفصة :

يكاد يخرج في ديباج أوجههم * خوف المذلة حتى ينفطرنَ دما

(من مدح بالحياء في السلم والوقاحة في الحرب) قال الشاعر :

كريم يغض الطرف فرط حيائه * ويدنو واطراف الرماح دوانِ

وقال آخر :

يتلقى الندى بوجه حيٍّ * وسيوف العدا بوجهٍ وقاحِ

(من يستحي من الناس دون نفسه وربه) قال كعب استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم . وقيل من يستحي من الناس ولا يستحي من نفسه فلا قدر لنفسه عنده . قال رجل للنعمان أوصني فقال استحي من الله كما تستحي من رجل من عشيرتك . وفي ضد ذلك:

اذا كان ربي عالماً بسريرتي * فما الناس في عيني بأعظم من ربي

(ذم الوقاحة) قيل اذا لم تستحِ فاصنع ما شئت . وقال شاعر في معناه :

اذا لم تخشَ عاقبة الليالي * ولم تستحيِ فاصنع ما تشاء

(هجاء وقح) قيل فلان يعد الحياء جِنة والوقاحة جُنة . وقيل هو أوقح من الدهر وجه صلب ولسان خاب . وقال شاعر :

ياليت لي من جلد وجهك رقعة * فاقد منها حافراً للاشهبِ

وقال منصور بن ماذان :

« الصخر هش عند وجهك في الوقاحه »

(مدح الوقاحة) قال علي قرنت الخيبة بالهيبة والحياء بالحرمان . وقال الشاعر :

اذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً * تقلب في الامور كما يشاء

ولم يك للامور ولا لشيء * يعالجه له فيه عناء

وقال معاوية لعبد الله بن جعفر ما اللذة فقال ترك الحياء واتباع الهوى

(الشاكي حياءه) قال العتابي في خصلتان اعتقلتاني عن كثير من المنافع حصر مقيد بالحياء وعزة نفس شبيهة بالجفاء . وقال شاعر :

لساني وقلبي شاعران كلاهما * ولكن وجهي مفحم غير شاعر

وقال العباس بن الاحنف :

من راقب الناس مات غماً * وفاز باللـذة الجسورُ

(الحث على الامانة والنهي عن الخيانة) قال الله تعالى « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها » وقال النبي « صلعم » لا ايمان لمن لا أمانة له . وقال الجاحظ سقى الله قبر الاحنف حيث يقول « الزم الصحة يلزمك العملْ » وقال اذا لم تكن خائناً فبت آمناً . وقيل افحش الزمانة عدم الامانة . اذاذهب الوفاء نزل البلاء . واذا مات الاعتصام عاش الانتقام . خيانة الناس اقبح الافلاس . وقال معاوية الزم الرفيعين الامانة والعدل

(الحث على الوفاء ومدحه) قال الله تعالى « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها » وقيل الوفاء من شيم الكرام والغدر من همم اللئام

(مدح ذوي الوفاء) قال اعرابي فلان لايشكره الخنا ولا يشكوه الوفا . وقال التنوخي :

عظائم لو ان السموأل خافها * لخان امرأ القيس الوكيد من العهد

(من التزم مكروهاً في التزام الوفاء) قيل اكرم الوفاء ما كان عند الشدة وألأم الغدر ما كان عند الثقة . كان السموأل أودعه امرؤ القيس دروعاً فقصده الملك وأخذ ابنه وقال ان دفعت الدروع اليّ والا ذبحت ابنك فقال أجلني يوماً فجمع عشيرته واستشارهم فكل أشار بأن يدفعها اليه فلما أصبح قال ليس الى دفعها سبيل فافعل ما بدالك فذبح الملك ابنه فوافي السموأل بالدروع الموسم

ودفعها الى ورثة امرىء القيس فقال

وفيت بأدرع الكندي اني * اذا ما خان اقوام وفيتُ

(قلة الوفاء في الناس ووصف عامتهم بالغدر) قال أبو فراس :

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحابُ

وقد صار هذا الناس الا اقلهم * ذئاباً على اجسادهن ثيابُ

ولغيره

أبغي الوفاء بدهر لا وفاء له * كانني جاهل بالدهر والناسِ

وقال آخر :

والمنتمون الى الوفاء جماعة * ان حصلوا افناهم التحصيلُ

(ذم الغدر وذويه) قال أمير المؤمنين الغدر مكر والمكر كفر . وقيل الخيانة خزي وهوان . وقيل من عامل الناس بالمكر كافأوه بالغدر وكانت العرب اذا غدر منهم غادر يوقدون له بالموسم ناراً وينادون عليه ويقولون الا ان فلاناً غدر . ولذلك قال الغادرة الغطفاني :

اسميُّ ويحك هل سمعت بغدرة * رُفع اللواء بها لنا في المجمعِ

(رجوع الغدر الى صاحبه) قال أمير المؤمنين ثلاث هن راجعات الى أهلها المكر والنكث والبغي ثم تلا قوله تعالى : ولا يحيق المكر السيء الا بأهله . وقال انما بغيكم على أنفسكم . وقيل رب حيلة كانت على صاحبها وبيلة . وقال الشاعر :

وكم من حافر لاخيه ليلاً * تردى في حفيرته نهارا

وقيل أربع من أسرع الاعمال عقوبة من عاهدته ورأيك ان تفي له ورأيه الغدر ومن سعى على من لم يسعَ عليه ومن قطع رحم من يواصله ومن كافأ الاحسان بالاساءة

(الموصوف بالغدر) قال اعرابي ان الناس يأكلون اماناتهم لقماً . ويقال فلان أغدر من الذئب . وقال شاعر: هو الذئب او للذئب أوفى أمانةً . واستبطأ عبيد الله بن يحيى ابا العيناء فقال أني والله ببابك أكثر من الغدر في آل خاقان . وقال الخبز أرزي :

ولم تتعاطى ما تعودت ضده * اذا كنت خوانًا فلمْ تدعي الوفا

وقال الباذاني في أبي دلف وكان نقش خاتمه « الوفاء »

الغدر أكثر فعله * وكتاب خاتمه الوفاء

(التعريض بمن كان منه غدر) قال المنصور لاسحاق بن مسلم العقيلي عند قتله ابن هبيرة ما كان أعظم رأس صاحبك فقال نعم وامانته كانت أعظم

(مدح سوء الظن بالناس) قيل ما الحزم قال سوء الظن بالناس . وقال ببغاء البغدادي :

وأكثر من تلقى يسرك قوله * ولكن قليل من يسرك فعله

وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي * فأدبني هذا الزمان وأهلهُ

(ذم من ساء ظنه) قيل لبعضهم ما ظنك بالناس قال ظني بنفسي . وقيل اخفض الناس من لا يثق بأحد

(حقيقة النفاق) علامة المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان

(ذم ذي الوجهين) قال الاحنف ان ذا الوجهين خليق ان لا يكون عند الله وجيهاً . وقال صالح ابن عبد القدوس:

قل للذي لست أدري من تلونه * اناصحٌ ام على غش يداجيني

اني لاكثر مما سمتني عجباً * يد تشج وأخرى منك تاسوني

تذمني عند أقوام وتمدحني * في آخرين وكل منك يأتيني

(النهي عن الاستعانة بخائن) قال الشاعر :

ان العفيف اذا استعان بخائن * كان العفيف شريكه في المأثم

وقال علي من تتهمه فلا تأتمنه ومن تأتمنه فلا تتهمه

(عذر من استعان بخائن سهوًا) قال أبو تمام :

هذا النبي وكان صفوة ربه * من بين باد في الانام وقار

قد خص من أهل النفاق عصابة * وهم أشد أذى من الكفار

واختار من سعد لغير بني أبي * سرح لوحي الله غير خيار

القسم الخامس

« المسابقة الى المعالي وصيانة النفس والمروءة »

(الممدوح بأن مجاريه الى العلاء تأخر عنه) مدح كاتب رجلاً فقال فلان طالت الى المساعي خطاه وبذّ بتأوه من ساعاه وجاراه . وكتب كاتب « لسنا لاحقيك اذا ابتدأت ولا سابقيك اذا كافأت » . وقال ابن الرومي :

رجحتم على أكفائكم اذ وُزنتم * وهل يستوي الآلاف والعشراتُ

وقال أبو تمام :

محاسن أقوام متى تقرنوا بها * محاسنَ أقوام تكن كالخبائث

(من يبكت مساميه ومباريه) قال بشار :

أيها الجاهل المباهي رويدا * ليس بدر السماء منك بدان

(حث من يحسد فاضلاً أن يفعل فعله) رأى الحسن قومًا يتهافتون على جنازة بعض الصالحين فقال ما لكم تتهافتون على ما لا يجدي عليكم ها هي الاسطوانة التي كان يلزم الزموها تكونوا مثله . وقال أشجع :

يريد الملوك مدى جعفر * ولا يصنعون كما يصنعُ

وقال ابن المعتز :

ياطالباً للملك كن مثله * تستوجب الملك والا فلا

وأنشد أبو العيناء :

اذا أعجبتك خلال امرئ * فكنه يكن منك مايعجبكْ

(الموصوف بأنه نال السماء رفعةً) قال تميم بن مقبل :

نالوا السماء فامسكوا بعنانها * حتى اذا كانوا هناك استمسكوا

وقال الفرزدق :

فلو ان السماء دنت لمجد * ومكرمة دنت لهم السماء

(النازل ذروة الشرف) قال شاعر :

« سما فوق صعب لاتنال مراتبه »

وقال حسان :

سموت الى العليا بغير مشقة * فنلت ذراها لا دنيئاً ولا وغلا

وقال ابن الرومي :

تدلوا على هام المعالي اذا ارتقى * اليها أناس غيرهم بالسلالم

(المبادر الى تناول المكرمات) يستحسن في هذا المعنى قول الشماخ :

اذا ماراية رفعت لمجد * وقصر مبتغوها عن مداها

وضاقت اذرع المثرين عنها * سما أوس اليها فاحتواها

(المختصر طريق المكرمات) قال ابن طباطبا :

كانه من سمو همته * يأتي طريق العلا فيختصرُ

وقال الرفاء :

قلت اذ برز سبقاً في العلا * ألى المجد طريق مختصرْ

(المتدرع نعلا) قال الشاعر :

البسه الله ثياب العلى * فلم تطل عنه ولم تقصر

وقال اشجع :

مكارم ألبست أثوابها * كل جديد عندها بال

وقيل : المجد دثاره والكرم شعاره

(من انتهى الى العلا ابتداء منه) قال أبو تمام :

ما أنشئت المكرمات سحابة * الا ومن ايديهم تتدفق

(الموصوف بأنه يحمي المكرمات) قال اعرابي لقوم أنتم والله حضان الشرف . وقال رجل لآخر لو وُجد الكرم في يد غيرك لعلم انه ضالة لك .

(من ارتفع بيت شرفه) قال ابو شراعة

مولى المكارم يرعاها و يعمرها * ان المكارم قد قلت مواليها

وقال ابو فراس :

لنا بيت على عنق الثريا * بعيد مذاهب الاطناب سام

تظلله الفوارس بالعوالي * وتفرشه الولائد بالطعام

(المتدرع المعالي) قال الراعي :

فمن يفخر بمكرمة فانا * سنناها لايدي الفاعلينا

وقال ابن الرومي وقد أحسن :

هم المبدعون بديع العلى * اذا كان غيرهم اتبع

وما الدين الا مع التابعين * ولكنما المجد للمبتدع

وقال المتنبي :

يمشي الكرام على آثار غيرهم * وأنت تخلق ما تأتي وتبتدعُ

وقال ارسطوطاليس للاسكندر : اما مناقبك فقد نسخها تواترها فصارت

كالشيء القديم يتأسى به لا كالبديع يتعجب منه

(من تتزين به الدنيا) وصف اعرابي رجلاً فقال لئن عابه كونه في الزمان لقد تزين الزمان بكونه فيه . وقال الجريمي :

تجلت به الدنيا فغطت عيوبها * وأمست به الدنيا تجل وتحمد

وقال أبو الفضل بن العميد : أمدح بيت قول المتنبي

« الدهر لفظ وأنت معناه »

وقال ابن الرومي :

يازينة الدين والدنيا اذا احتفلا * واظهرا ما اعداه من الزين

قال الشاعر :

اني اذا خفي الرجال وجدتني * كالشمس لاتخفى بكل مكان

وقال ابن هرمة :

اذا خفي القوم اللئام رأيتني * مقارن شمس في المجرة او بدر

(اعتذار من لم يعرف) قال رجل لسقراط ذكرتك عند فلان فلم يعرفك فقال يضره ان لايعرفني لانه لا يجهل مكان ذي العلم الا خسيس . وقال محمد ابن الزيات لبعض اولاد البرامكة من أنت ومن ابوك فقال اما انا فالذي تعرفني واما أبي فالذي لم يعرفك ولا اباك . وقال المتنبي :

واذا خفيتُ على الغبي فعاذر * ان لاتراني مقلة عمياء

(وصف الانسان بأنه لا يخلو من العيب) قيل لبعض الفلاسفة : من الذي لاعيب فيه فقال الذي لايموت . وقال الاحنف : الشريف من عُدت سقطاته .

وقال الشاعر :

ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلها * كفى المرء نبلاً ان تعد معائبه

(الحث على اكرام النفس عند المذلة) قال عمرو بن العاص : المرء حيث يجعل نفسه ان صانها ارتفعت وان قصر بها اتضعت . وقال بعضهم :

وما المرء الا حيث يجعل نفسه * فني صالح الاعمال نفسك فاجعلِ

ولحاتم :

ونفسك اكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

ولصالح بن عبد القدوس:

اذا ما اهنت النفس لم تك مكرماً * لها بعد ما عرضتها لهوانِ

(الممدوح بصيانة النفس) قال بعضهم جعلت الدنيا دون عرضي فآثرها لديّ ما صانه وأهونها عليّ ما شانه . ووصف آخر رجلا فقال اشترى بالمعروف عرضه من الاذى فلو كانت الدنيا له فانفقها صيانةً لنفسه لاستقلها . وقال ابن نباتة :

لبست من الحوادث كل ثوب * سوى ثوب المذلة والهوانِ

(مدح اهانة النفس حيث تحمد) مدح اعرابي رجلاً فقال كان يهين نفساً كريمة لقومه ولا يبقي لغد ما وجد في يومه . وقالت الخنساء :

نهين النفوس وهون النفوس م يوم الكريهة أوفى لها

ويروى عن الشافعي « رضه » :

أهين لهم نفسي لاكرمها بهم * ولن تكرم النفس التي لا تهينها

(الممدوح بأنواع من المكاره) قال عمرو بن عتبة في أمر وقع بين بني أمية وبين غيرهم : ان لقريش رجلاً تزلق عنه اقدام الرجال وأفعالاً تخضع لها رقاب الاموال والسناً تكل عنها الشفار المحددة وغايات تقصر عنها الجياد المسومة لو اختلفت الدنيا لم تزين الا بهم وقال عمرو بن معدي كرب في مدح قوم : نعم القوة عند السيف المسلول والخير المسئول والطعام المأكول . وذكر ادريس بن معقل أبا مسلم فقال بمثله يُدرك الثار وينفى العار ويؤكد العهد ويبرم العقد ويسهل الوعر ويخاض الغمر ويفل الناب ويفتح الباب . ومدح اعرابي رجلاً فقال كان للاخوان وصولاً وللاموال بذولاً وكان الوفاء به كفيلاً . ووقف اعرابي على قبر عامر بن الطفيل فقال لقد كنتَ سريعاً اذا وعدتَ بطيئاً اذا أوعدت

وكانت هدايتك هداية النجم وجراءتك جراءة السهم . وأخبر بعض الحكماء عن صاحب له فقال عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه : كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد . وقال امرؤ القيس :

أفاد وجاد وساد وقاد * وذاد وعاد وزاد وأفضلْ

وقال ديك الجن :

ان العلى شيمي والبأس من نقمي * والمجد خلط دمي والصدق حشو فمي

وقال مسلم بن عقيل :

يذكرنيك الخير والشر والذي * اخاف وارجو والذي اتوقعُ

وقال وهب الهمذاني:

تلماه في الظلماء والهيـ * جاء والمحل المجيعْ
كالغيث والليث المحا * مي والعقيلة والصديع

وقال البحتري :

كالغيث في اخذامه والغيث في * ارهامه والليث في اقدامه
ان كنت تنكر ما أقول فجاره * او باره او حاكه او سامه

وقال ابن طباطبا :

كالبدر اذ يجري وكالليل اذ * يسري وكالصارم اذ يفري

وقال الخوارزمي :

ستلقى به بدرا وبحرًا وضيغماً * وسيفاً وانسانا وطودًا وفياقا

وقال أبو طالب المأموني :

جبال الحجى أسد الوغى غصص العدا * شموس العلا سحب الندى أنجم الفضل

(الممدوح بمعنى واحد في أحوال مختلفة) قال المتنبي :

طويل النجـاد طويل العماد * طويل القناة طويل اللسانْ
حديد اللحـاظ حديد الحفاظ * حديد الحسـام حديد الجنانْ

وقال الخوارزمي :

سريع اللسان سريع السنان * سريع البنان سريع القلمْ

(الممدوح بانه لو كان كذا لكان خيره) قال أبو عمرو بن العلاء لو كانت ربيعة فرساً لكان شيبان غرتها . وقال الشاعر :

لو كنت ماء كنت من مزنة * او كنت نجماً كنت سعد السعودْ

وقال الكندي :

ولو خلق الناس من دهرهم * لكانوا الظلام وكنت النهارا

الحد الخامس

﴿ في الابوة والنبوة ﴾

القسم الاول

« في البنين والبنات »

(نفع الولد وحمده) قال الله تعالى « آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم أقرب لكم نفعاً » وقال حكيم في ميت : ان كان له ولد فهو حي وان لم يكن له ولد فهو ميت . وقيل لحكيم ما منفعة الولد فقال يستعذب به العيش ويهون به الموت . وقيل خير ما أعطي الرجل بعد الصحة والامن والعقل ولد موافق من زوجة موافقة . قيل لبزرجمهر ما السعادة . قال ان يكون للرجل ابن واحد . فقال الواحد يُخشى

عليه الموت . قال لم تسألني عن الشقاوة

(مضرة الولد وذمه) قيل لبعض الزهاد الا تزوجت فربما يكون لك خلف فقال كفى بالتزهيد فيه قوله تعالى « انما أموالكم وأولادكم فتنة» . وقيل قلة العيال كنز لا ينفد . وسئل حكيم عن ولده فقال ان عاش كدني وان مات هدّني . وبُشر حسن البصري بابن فقال لا مرحباً بمن ان كنت غنياً أذهلني وان كنت فقيرًا أتعبني ولا أرضى كدي له كدًا ولا سعيي له في الحياة سعياً اهتم بفقره بعد وفاتي حين لا ينالني به سرور ولا يهمه لي حزن . قال ابن عباس لرجل معه ولده : ان عاش فتنك وان مات أحزنك . وقيل النكد كل النكد من رماه الابد كل عام بولد

(شفقة الابوين على الولد) ضرب رجل وطولب بمال فلم يسمح به فأخذ ابنه وضُرب فجزع فقيل له في ذلك فقال ضُرب جلدي فصبرت وضرب كبدي فلم أصبر . وقال شاعر :

وانما أولادنا بيننا * اكبادنا تمشي على الأرضِ

(من كره الموت شفقةً على ولده) قال الشاعر :

يقر بعيي وهو ينقص مدتي * مرور الليالي كي يشب حكيم
مخافة ان يغتالني الموت قبله * فينشو مع الصبيان وهو يتيمُ

وقال آخر :

لقد زاد الحياة اليّ حباً * بناتي انهن من الضعافِ
مخافة ان يذقن اليتم بعدي * وان يشربن رنقاً بعد صاف

(متحمل تعباً لاولاده) قال الشاعر :

والله لولا صبية صغار * وجوههم كأنها أقمارُ
لما رآني ملك جبار * ببابه ما طلع النهارُ

وقال معاوية « رضه » لولا يزيد لا بصرت رشدي

(محبة الولد وملاعبته) كان رسول الله « صلعم » يقبل الحسن . فقال الاقرع بن حابس ان لي عشرة من الاولاد فما قبلت واحداً منهم . فقال النبي « صلعم » فما أصنع ان كان الله نزع الرحمة من قلبك . قال موسى عليه السلام يا رب اي الاعمال أحب اليك قال الطاف الصبيان فانهم فطرتي واذا ماتوا أدخلتهم جنتي . وقال كسرى لغيلان اي الاولاد أحب اليك . فقال الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يبرأ

(المادح ولده مدحاً حسناً) كتب المأمون الى طاهر بن الحسين . صف لي ابنك . فقال ابني ان مدحته ذممته وان ذممته ظلمته الا انه نعم الخلف لسيده من عبده اذا اخترمت عبده منيته . فكتب اليه المأمون « يا ذا اليمينين لم ترضَ بمدحه حتى أوصيت به » . وقيل لرجل صف ابنك . فقال ولدَ الناس ابناء وولدته أبًا يحسن ما أحسن ولا أحسن ما يحسن . مدح اعرابي ابنه فقال :

يا حبذا روحه وملمسه * أملح شيء ظلاً واكيسه

الله يرعاه لي ويحرسه

(أولاد سخنت أعين آبائهم لتخلفهم) مات لعبد الملك ابن فجاء له آخر فعزى اباه به . فقال يا بنيّ مصيبتي فيك أقدح في بدني من مصيبتي في أخيك . فقال أمي امرتني بذلك فقال يا بني اذا كانت الابناء قرة أعين الوالدين فأنت قرة أعين الشامتين

(محبة البنات وتفضيلهن) قال محمد بن جعفر بن محمد . البنات حسنات والبنون نعم والحسنات مثاب عليها والنعم مسئول عنها

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده بنية له يلاعبها فقال له انبذها عنك يا أمير المؤمنين فوالله انهن يلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن . فقال معاوية لا تقل فما ندب الموتى ولا تفقد المرضى ولا اعان على الحزن مثلهن . وقال الشاعر :

بنيتي ريحانة اشمها * فديت بنتي وفدتني أمها

(كراهة البنات) وُلدت لاعرابي جارية اسمها حمزة فهجر أمها وبنته فسمع أمها يوماً ترقصها وتقول :

ما لابي حمزة لا يأتينا * غضبان ان لا نلد البنينا

وانما يكره ما أُعطينا

فرجع الى منزله وصالحها وطابت نفسه بها . وسأل عمر بن عبد العزيز نصيبياً عن حاله . فقال كبر سني ورق عظمي و ليت ببنات نفضت عليهن من لوني فكسدنَ علي فبكى عمر من قوله

القسم الثاني

« في ممادح الابوة ومذامها »

(اعتبار الاب) قال عدي بن ارطاة لاياس دلني على قوم من القراء أولهم فقال القراء ضربان ضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم وضرب يعملون للآخرة فلا يعملون لك ولكن عليك باهل البيوتات الذين يستحيون لاحسابهم فولهم . قال الحسن لعمر بن عبد العزيز عليك بذوي الاحساب فانهم ان لم يتقوا استحيوا وان لم يستحيوا تكرموا

(الممدوح بانه من أصل شريف) مدح اعرابي رجلا فقال ذاك من شجر لا يخلف ثمره ومن ماء لا يخاف كدره

وقال ابو تمام :

نسب كأن عليه من شمس الضحى * نورًا ومن فلق الصباح عمودًا

ودخل بعض اولاد ابن الزبير على سليمان بن محمد فجلس على نمرقة . فاغتاظ من ذلك وقال من اجلسك هنا . قال صفية بنت عبد المطلب . فسكن غضبه

قال الفرزدق :

أرى كل قوم ود اكرمهم أبا * اذا ما انتمى لو كان منا اوائله

وقال أبو مسلم :

وكم عائب لي ودّ أني ولدته * وان كرمت اعراقه وزكا الاصلُ

(المسابق أباه في ابتناء علاه) قال الربيع : جلس المنصور يوماً فقال من يصف صالحًا ابني وقد رشحه لان يوليه بعض أموره فكلهم هاب المهدي فقال شبة بن عقال لله دره ما افصح لسانه وامضى جنانه وابل ريقه وأسهل طريقه وكيف لا يكون كذلك وأمير المؤمنين أبوه والمهدي أخوه ثم أنشد

هو الجواد فان بلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا

أو يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ماقدما من صالح سبقا

فقال المنصور ما رأيت مثله أخلصه مدحه وأرضاني وسلم من المهدي . وقال زهير :

وما يكُ من خير أتوهُ فانما * توارثه آباء آبائهم قبلُ

(المشابه اباه في علاء ابتناه) قال الشاعر :

وان امرءًا في الفضل أشبه جده * ووالده الادنى لغير ظلومِ

ولعمارة بن عقيل : « وهل ينبت الاسبال الااسودها »

ولبعض المحدثين :

أنت غصن من ذلك المنبت الزا كي ونصل من ذلك الفولاذِ

(المستغني بنفسه عن شرف آبائه) دخل البحتري على بعض العلوية فسأله

حاجة بعد حاجة فأجابه الى كل ما التمس فأثنى عليه . فقال بعض من حضر كيف لا يعطي وهو من منصب الفضل . فقال :

لا توجبنْ لكريم أصلك منةً * لو كنت من عكل لكنت كريماً

(من تشرف به آباؤه ولم يتشرف بهم) قال الفرزدق :

وان تميماً كلها غير سعدها * زعانف لولا عز سعد لذلتِ

فقيل لقد وضع من قومه أكثر مما رفع من نفسه . وقال علي بن جبلة :

فما سودت عجلاً مآثر قومه * ولكن به سادت على غيرها عجلُ

وقال المتنبي :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي * وبنفسي فخرت لا بجدودي

وما فضل الولد على الوالد بأحسن من قول المتنبي حيث يقول :

فان تكن تغلب العلياء عنصرها * فان في الخمر معنى ليس في العنبِ

(من زان شرف أبيه بفعله) قال الشاعر :

زانوا قديمهم بحسن حديثهم * وكريم اخلاق بحسن وجوهِ

وقال آخر :

قد زينوا احسابهم بسماحهم * لا خير في حسب بغير سماحِ

(لا اعتداد بمن شرف بأصله ولم يشرف بنفسه) قال الاحنف من فاته حسب بدنه فلا حسب له . وقيل الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية . وقال أبو وائل لرجل شريف الاصل دنيء النفس : ما احوج عرضك الى ان يكون لمن يصونه فيكون فوق من أنت اليوم دونه . وقال ارسطوطاليس اذا كان الانسان خسيس الابوين شريف النفس كانت خسة أبويه زائدة في شرفه واذا كان شريف الابوين خسيس النفس كان شرف أبويه زائداً في خسته . وقال الصاحب : شرف نفسي خير من شرف رمسي وعصامي خير من عظامي يعني قول

النابغة : نفس عصام سودت عصاماً . ويعني بعظامي قول الآخر :

اذا ما الحي عاش بعظم ميت * فذاك العظم حي وهو ميتُ

وقال بيغاء :

اذا المرء لم يبنِ افتخارًا لنفسه * تضايق عنه ما ابتنته جدودهُ
ولاخير في من لايكون طريفه * دليلاً على ما شاد قدماً تليدهُ

(عذر من شرفت نفسه ولم يشرف أصله) قال سقراط لرجل عيره بحسبه : حسبي مني ابتدأ وحسبك اليك انتهي . وقال آخر قومي عار عليّ وأنت عار على قومك . وطعن في حسب رجل آخر فقال . لأن يكون حسبي عيباً عليّ اصلح من ان اكون عيباً على حسبي . وقيل لان يكون الرجل شريف النفس دنيء الاصل أفضل من ان يكون دنيء النفس شريف الاصل الا ترى ان رأس الكلب خير من ذنب الاسد

(عذر دنيء قصر عن افعال آبائه الاشراف) قيل لحكيم كان أبوك أجمل منك واعقل وافضل . فقال لاني كنت به ولم يكن بي فهو أولى بالكمال مني . وخطب أبو العذري الى رجل من بني تميم ابنته فقال لو كنتَ مثل أبيك زوجتك فقال لو كنتُ مثل أبي لم اخطب اليك . قيل لرجل من الاعراب ما اشبهت أباك . فقال لو اشبه كل رجل أباه كنا كآدم

(من أخذ سوء خصال أبيه) قيل لرجل كان أبوك اقبح الناس خَلقاً وأحسنهم خلقاً وكانت أمك احسن الناس وجهاً واقبحهم خلقاً فأخذت قبح أبيك وسوء خلق أمك فيا جامعاً مساوىء أبويه

(ذم من قصر عن آبائه) قال الشاعر :

لئن فخرت بآباء لهم شرف * لقد صدقت ولكن بئسما ولدوا

(من لم يعتد بشرف النفس) سمع عمرو بن أبي ربيعة قول القائل :

كن ابن من شئت واتخذ أدبًا * يغنيك موروثه عن النسبِ

فقال اسكت فلا فخر نمت . ثم انشأ يقول :

لا فخر الا لفخار منتخبٍ * يسمو بأم كريمة وأبِ

(كون الابن جاريا مجرى الاب) قال زهير :

وما يفعلوا من فعل صدق فانما * توارثه آباء آبائهم قبلُ

وهل ينبت الخطي الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخلُ

وقال طفر بن الحرث العبدلي :

وان احق الناس ان لا تلومه * على الشر من لم يفعل الخير والده

اذا المرء الفى والديه كليهما * على اللؤم فاعذره اذا خاب رائده

(من ذكر ان الشرف بالتقى) قال الله تعالى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وروي ان عمر بن الخطاب رأى رجلا يقول أنا ابن بطحاء مكة فوقف عليه فقال ان كان لك دين فلك شرف وان كان لك عقل فلك مروءة وان كان لك علم فلك شرف والا فأنت والحمار سواء . وقيل كان الشرف في الجاهلية بالبيان والشجاعة والسماحة وفي الاسلام بالدين والتقى واما الابوة فلا ابوة . وقال شاعر :

لعمرك ما الانسان الا بدينه * فلا تترك التقوى اتكالاً على الحسب

فقد رفع الايمان سلمان فارس * وقد وضع الشرك النسيب ابا لهب

(الشريف من شرفه السلطان) اصطنع كسرى انوشروان رجلاً لم يكن له نسب . فقيل له في ذلك . فقال اصطناعنا اياه نسب له . ووفد حاجب بن زرارة على كسرى فاستأذن عليه . فقال كسرى لحاجبه سله من هو . فقال رجل منهم . فلما مثل بين يديه قال له من انت . قال سيد العرب . قال أليس زعمت انك رجل منهم . قال منذ اكرمتني واجلستني صرت سيدهم . فحشا فاه لآلئ

(المعرض بهجاء قبيلة) قصد تميمي أبادلف يمدحه فقال أبو دلف ممن انت قال من تميم قال الذي يقول فيهم الشاعر : « تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا » فقال نعم بتلك الهداية جئتك . فخجل ابو دلف وخوله وشارطه ان يستر ذلك عليه . ومرت اعرابية بجماعة من بني نمير فرمقوها فقالت يا بني نمير ما أخذتم بقول الله تعالى « قل المؤمنين يغضوا من أبصارهم » ولا بقول جرير

* فغض الطرف انك من نمير *

(هجو القبائل) روي ان رجلاً عطش في مفازة فانتهى الى خباء فعدت صبية فاقبلت عليه بماء ولبن . فسألها عن قبيلتها فقالت من بني عامر . فقال الذي يقول فيهم الشاعر :

لعمرك ما تبلى سرائر عامر * من اللؤم ما دامت عليها جلودها

فتعثرت الصبية كدا فكسرت الانائين وقالت يا عماه ممن أنت . قال من باهلة قالت الذي يقول فيهم الشاعر

اذا ولدت حليلة باهليٍّ * غلاماً زاد في عدد اللئامِ

فقال بل أنا من بني عبس . فقالت

اذا عبسية ولدت غلاماً * فبشرها بلؤم مستفادِ

فقال بل أنا من خزاعة فقالت :

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت * بزق خمر وأثواب وابرادِ

فقال بل أنا من جرم . فقالت

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه * فليس به بأس وان كان من جرمِ

فقال بل أنا من حنيفة . فقالت

أكلت حنيفة ربها * زمن التقحم والمجاعه

فضجر الرجل فقال أنا من ابليس . فقالت

عجبت من ابليس في تيهه * وخبث ما أظهر من نيته
تاه على آدم في سجدة * وصار قوادًا لذريته

فقال اسقيني . فقالت الى لعنة الله اذا نزلت بقوم فلا تجد احسانهم خرج قتيبة متنزهاً فلقي اعرابياً فقال له ممن الرجل . فقال من عبد قيس . فقال نسب مهزول . فقال الاعرابي ممن أنت . فقال من باهلة . فقال واويلاه واهولاه أمثلك يقول نسبي مهزول وأنت بين الدعة والخمول . فقال له قتيبة يا اعرابي أيسرك انك أمير وانك باهلي . فقال لا ولا خليفة الله في أرضه . فقال ولك حمر النعم فقال لا ولا ما طلعت عليه الشمس . فقال وانك تدخل الجنة فأطرق ثم رفع رأسه فقال ان كان ولا بد فعلى ان لا تعلم بذلك أهل الجنة . فضحك قتيبة ووصله . وسأله اعرابي عن نسبه فقال من باهلة. فقال اعيذك بالله . وقال آخر لاعرابي أنا مولى باهلة فأخذ الاعرابي يتمسح به و يقول ما أبلاك الله بذلك الا وجعلك من أهل الجنة

القسم الثالث

« في الاقارب »

(حث الاقارب على التظاهر) دعا اكثم بن صيفي اولاده عند موته فاستدعى بضمامة من السهام وتقدم الى كل واحد ان يكسرها فلم يقدر أحد على كسرها ثم بددها وتقدم اليهم ان يكسروها فاستسهلوا كسرها فقال كونوا مجتمعين ليعجز من ناوأكم عن كسركم كعجزكم . وقال عبد العنبري :

اذا ما أراد الله ذل قبيلة * رماهم بتشتيت الهوى والتخاذلِ

(تفضيل الاقارب على الاباعد وان عادوا) لما استخلف يزيد بن المهاب

ابنه بجرجان قال له انظر الى هذا الحي من اليمن فكن لهم كما قال العباس :

فقومك ان المرء ما عاش قومه * وان لامهم ليسوا له باباعدِ

وقال بعض بني قيس :

وآخِ لحال السلم ان شئت واعلمن * بان سوى مولاك في الجور احنبُ

ومولاك مولاك الذي ان دعوته * أجابك طوعاً والدماء تصببُ

(تفضيل بعض الاقارب على بعض) قيل لامرأة أسر الحجاج زوجها وابنها واخاها : اختاري واحداً منهم . فقالت الزوج موجود والابن مولود والاخ مفقود اختار الاخ . فقال الحجاج عفوت عن جماعتهم لحسن كلامها

(ذم الاقارب) قال بعضهم : الاب رب والام غم والاخ فخ والولد كد والاقارب عقارب . وقال الشاعر :

ان الاقارب كالمقارب * أو أضر من العقارب

وقال آخر :

يقولون عزٌّ في الاقارب ان دنت * وما العز الا في فراق الاقاربِ

تراهم جميعاً بين حاسد نعمة * وبين أخي بغضٍ وآخر غائبِ

وقال أبو نواس :

وما أنا مسرور بقرب الاقارب * اذا كان لي منهم قلوب الاباعدِ

(تفضيل بعيد موالٍ على قريب معادٍ) القرابة تحتاج الى المودّة والمودة تستغني عن القرابة . وقال الزبيري :

لمغتربٌ يسر بحسن حالي * وان لم تدنه مني قرابه

أحب اليّ من الفي قريب * تبات صدورهم بي مسترابه

وقال بشار :

ربما سرك البعيد واصلا لك القريب النسيب ثاراً وعارا

(ذم من نفعه للاباعد دون الاقارب) قال ابن الاحوص :

من الناس من يغشي الاباعد نفعه * ويشقى به حتى الممات اقاربه

(ذم من يناوئ ذويه ويضرع لاعاديه) ذم اعرابي رجلاً فقال : هو أقل الناس ذنوباً الى اعدائه واكثرهم تجرؤا على أصدقائه واقربائه . وقيل لمعاوية ما النذلة فقال الجراءة على الصديق والنكول على العدو . وقال كشاجم :

وتراه يكرم من نأى * عنه ويؤذي من حضرْ

كالشمس تنحس من دنا * منها وتسعد من نظرْ

(عداوة الاقارب وتعسر ازالتها) اعداؤكم اكفاؤكم والاقارب عقارب وأمسهم بك رحماً أشدهم لك لدغاً وقال جاويذان : ثلاث لا يستصلح فسادهم بشيء من الحيل العداوة بين الاقارب وتحاسد الاكفاء والركاكة في الملوك . وكان ابن هبيرة يقول : اللهم احفظني من عداوة الاقارب . وقال طرفة ابن العبد :

عداوة ذي القربى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهندِ

وقال الهيثم النخعي :

بني عمنا ان العداوة شرها * ضغائن تبقى في نفوس الاقاربِ

(الحمية للاقارب وان كانوا أعداء) في المثل : آكل لحمي ولا أدعه لآكل وقيل الحفائظ تذهب الاحقاد . وقيل لاعرابي ما تقول في ابن العم . فقال عدوك وعدو عدوك . ولما مات عبادة بن الصامت بكى عليه أخوه أوس بن الصامت . فقيل له أتبكي عليه وقد كان يريد قتلك . فقال حركني للبكاء عليه ارتكاضنا في بطن وارتضاعنا من ثدي

(الشاكي ظلم مولاه) قال الشاعر :

اذا ما ابتنى المجد ابن عمك لم تعنْ * وقلت الا ياليت بنيانه هوى

تملأ من غيظ عليّ فلم يزل * به الغيظ حتى كاد في الغيظ ينشوى

(ذم عشيرة بدد الجهل شملهم) قال أبو يعقوب الجريمي :

كانوا بني أم ففرق شملهم * عدم العقول وخفة الاحلام

(وجوب تعظيم الاخ الاكبر) حضر عند النبي « صلعم » اخوة فتكلم أصغرهم فقال كبروا كبروا . وقيل لحكيم معه أخ أكبر منه : أهذا أخوك فقال بل أنا اخوه

(وصف أخوين وضيع ورفيع) قال الاصمعي لم يقل أحد في تفضيل أخ على أخ وهما لاب وأم مثل قول ابن المعتز لاخيه صخر :

أبوك أبي وأنت أخي ولكن * تفاضلت المناكب والرؤس

وقال أبو العواذل :

عليّ وعبد الله ينميها أب * وشتان ما بين الطبائع والفعل

الم ترَ عبدالله يلحى على الندى * عليًا و يلحاه عليّ على البخل

وقال رجل لاخيه لاهجونك فقال كيف تهجوني وأنا أخوك لابيك وأمك فقال :

غلام أتاه اللؤم من شطر نفسه * ولم يأته من شطر ام ولا أب

(عذر من جفا أخاه) قيل لاعرابي لمَ تقطع أخاك شقيقك فقال انا أقطع الفاسد من جسدي الذي هو أقرب الي منه فكيف لا أقطعه اذا فسد

(ما يجب ان يكون عليه فضلاء الاقرب) قال عبد الملك لغيلان : اخبرني عن أفضل البنين . فقال السار البار المأمون منه العار . قال فأفضل الاخوان . قال الشديد العضد الكريم المشهد الذي اذا شهد سرك واذا غاب برك . قال فأفضل الاخوات . قال التي لا تفضح أخاها ولا تكسو عار أباها . فقال عبد الملك : لله أم درّت عليك

(الدعي قرابة بعيدة) قال رجل لآخر : لست ترعى حقي و بيننا قرابة .

فقال من اين . قال ان أباك كان قد خطب أمي فلو تم الامر لكنت أنا أنت . وتعرض رجل لهشام وادعى انه اخوه . فسأله من أين ذلك قال من آدم . فأمر بان يُعطى درهماً . فقال لا يعطي مثلك درهماً . فقال لو قسمت ما في بيت المال على القرابة التي ادعيتها لم ينلك الا دون ذلك

الحد السادس

﴿ في المدح والذم والاغتياب والتهنئة ونحوها ﴾

القسم الاول

« في الشكر »

(حقيقة الشكر) قيل الشكر ثلاثة : شكر ان فوقك بالطاعة أو لمن فوقك بالافضال ولنظيرك بالمكافأة . قال الله تعالى « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » وقيل الشكر ثلاث منازل : ضمير القلب وثناء اللسان والمكافأة بالفعل . وقال عمر بن عبد العزيز : ذكر النعم شكر

(ايجاب الشكر) قال النبي « صلعم » من كان عليه يد فليكافئ عليها فان لم يفعل فليثنين عليه فان لم يفعل فقد كفر النعمة . وقيل اذا قصرت يدك بالمكافأة فليطل لسانك بالشكر

(استزادة النعمة وارتباطها بالشكر) قيل لا زوال للنعمة اذا شكرت ولا بقاء لها اذا كفرت . الشكر نسيم النعم . والنعمة وحشية فاشكلوها بالشكر . قال النبي « صلعم » أوطد الناس نعمة أشدهم شكرًا . وقال اشكر لمن أنعم

عليك وأنعم على من شكرك فاذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها تميمة . وقال ابن المقفع استوثقوا عرا النعم بالشكر. وقيل النعم اذا شكرت قرت واذا كفرت فرت . قال ابن سقلاب رأيت البحتري فقلت ما خبرك فأنشد بديهةً :

يزيد تفضلاً وازيد شكرًا * وذلك دأبه أبدًا ودأبي

(الحث عن الاسداء الى من لا يشكر) لا تصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من امتاعه لك بشكر لسانه وفوائد عمله . وقيل اصنع المعروف الى من يشكره ويذكره واطلبه ممن ينساه

(من لم يردعه خوفه عن شكر المحسن اليه) بعث المنصور الى شيخ من بطانة هشام فاستحضره وسأله عن تدبير هشام واحواله . فأقبل الشيخ يقول فعل رحمه الله وقال يوم كذا رحمه الله . فقال المنصور قم لعنك الله اتطأ بساطي وتترحم على عدوي . فقال الشيخ ان نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها الا غاسلي . فقال المنصور ارجع الى حديثك فاني اشهد انك غرس شريف وابن حرة . ولما قتل مسلمة بن عبد الملك يزيد بن المهلب أمر بأن يحضر الشعراء ليقولوا في ذلك فلم يألوا ان ذكروه بأقبح ماقدروا عليه ماخلا رجلاً من بني دارم فانه قال لا اذم رجلاً لا املك ربعاً ولا مالاً ولا اثاثاً الا منه ولو قطعت ارباً ارباً ولقد رثيته بأحسن ما يرثى به رجل . فأنشد ابياتاً رائعة فجزاه سليمان خيرًا وقال اذا اصطنع فليصطنع مثل هذا

(المستنكف آلاء معطيه عجزًا عن شكره) قال المتنبي :

ولم نمال تفقدك الموالي * ولم نذمم أياديك الجساما

ولكن الغيوث اذا توالت * بأرض مسافر كره الغماما

(الحال منبئة عن المقال) في المثل : لسان الحال افصح من لسان الشكر . وقال الجاحظ نحن نزخرف باللسان والناس يقضون بالعيان وفي أمرنا أثر ينطق عنا ويتكلم اذا سكتنا

(الشكر بقدر الاستحقاق) قال أمير المؤمنين الثناء من غير الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عي وحسد . وقال رجل لابن الاعرابي ان نصيباً يزل انما تُمدح الرجال على قدر ثوابها . فقال ان العرب تقول على قدر ريحكم تمطرون

(شكر من هم باحسان وان لم يفعله) من لم يشكر على حسن النية لم يشكر على اسداء العطية . وكتب الصاحب : ان شكرت فاشكر النية لا العطية . وقال الشاعر :

لاشكرنك معروفاً هممت به * ان اهتمامك بالمعروف معروفُ

ولا اذمك ان لم يمضه قدر * فالشيء بالقدر المحتوم مصروفُ

(المستغني عن رفد من استغنى عن الشكر) قال عبيد الله بن عبد الله ابن طاهر :

لئن طبت نفساً عن ثنائي انني * لاطيب نفساً عن نداك على عسري

(ذم من كفر نعمة) قال الله تعالى « وقليل من عبادي الشكور » . وقيل من لم يشكر الناس لم يشكر الله . وأخذه البحتري فقال :

فمن لايؤدي شكر نعمة خله * فانى يؤدي شكر نعمة ربه

وقال النبي « صلعم » اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة قال لعبده هل شكرت فلاناً فيقول يارب علمت انك المنعم فشكرتك فيقول الله تعالى لم تشكرني اذا لم تشكر من اجريت ذلك على يده . وقيل من لم يحمد صاحبه على حسن العطية كيف يُحمد على حسن النية



القسم الثاني

« في المدح ومستحقيه والهجو وذويه »

(وصف الثناء بالبقاء والترغيب فيه) قالت الروم ما فني من بقي ذكره . وقيل لبزرجمهر حين كان يقتل : تكلم بكلام نذكره . فقال الكلام كثير ولكن ان امكنك ان يكون حديثاً حسناً فافعل . وقال شاعر في معناه :

وكن احدوثة حسنت فاني * رأيت الناس كلهم حديثاً

ولما جعل ابن الزيات في التنور قال له خادمه ياسيدي قد قصرت الى ما صرت وليس لك حامد قال وما نفع البرامكة صنيعهم . قال ذكرك لهم الساعة . فقال صدقت

(فضل الشكر على الوفر والحمد على الرفد) قال عمر بن الخطاب لابنة هرم : ما وهب ابوك لزهير . فقالت اموالاً فنيت واثواباً بليت واشياء انتسيت . فقال عمر لكن ما اعطاكموه زهير لا يفنى ولا ينسى . وكتب ارسطوطاليس الى الاسكندر ان كل شيء يأتي لميه الدهر فيخلق أثره ويميت ذكره الا ما رسخ في القلوب من الذكر الحسن يتوارثه الاعقاب

(حث محب الحمد على اسداء النعم) قال حكيم من احب الثناء فليصبر على بذل العطاء وليوطن نفسه على الحقوق المرة وعلى احتمال المؤنة

(فضل استقبال الانسان بمادحه) خياركم من ملئت مسامعه من حسن الثناء وهو يسمع وشراركم من ملئت مسامعه من قبح الثناء وهو يحذر . قال خالد بن سالم دخلت على اسامة بن زيد فأثنى عليّ ثناء حسناً ثم قال لي انما حملني على ان امدحك وجهك لاني سمعت النبي « صلعم » يقول اذا مدح الانسان في وجهه ربا الايمان في قلبه

(كراهية ذلك) قيل الاطراء يدعو الى الغفلة . لما جرح عمر اثنى عليه الناس فقال المغرور من غررتموه لو ان لي ماطلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع . وقيل استحياء الكريم من المدح اكثر من استحياء اللئيم من الذم . واثنى رجل على هشام بن عبد الملك فقال انا نكره المدح . فقال لست امدحك ولكني أحمد الله فيك

(المدح بين الاخوان) قيل اذا قدم لاخاء سمج الثناء . وقال كشاجم :

ومستهجن مدحي له ان تأكدت * لما عقد الاخلاص والحق يمدحُ
وما بي الذي في القلب الا تبيناً * وكل اناء بالذي فيه يرشحُ

(التحذير ممن يمدحك في وجهك تصنعاً) قيل اعوذ بالله من صديق يطري وجليس يغري . وكان رجل يكثر الثناء على أمير المؤمنين علي وعلم من قلبه خلاف قوله فقال له أنا دون ماتقول وفوق ما في نفسك . وقال الجاحظ شر الشكر ثناء المواجه لك المسرف في مدحك وخيره ثناء العائب عنك المقتصد في وصفك . وصف العتابي رجلاً بالمداهنة فقال ذلك ان وجد مادحاً مدح وان وجد قادحاً قدح وان استودع سرًّا افتضح

(التحذير ممن يتجاوز الحد في مدحك) من مدح الرجل بما ليس فيه فقد بالغ في ذمه . وقيل من احب ان يُمدح بما ليس فيه استهدف للسخرية

(من وضع نفسه وكره الثناء) لما ولي أبو بكر خطب فقال اني وليتكم ولست بخيركم . فلما بلغ الحسن قوله قال بلى ولكن المؤمن يهضم حق نفسه . وقال الفضيل لوشممتم رائحة الذنوب مني ما قربتموني . واثني على زاهد فقال لوعرفت مني ماعرفتُ من نفسي لابغضتني . وقال المتنبي :

يحدث عن فضله مكرهاً * كأن له منه قلباً حسودا

(مايقول الفاضل عند مدح الناس له) كان أبو بكر يقول اذا مُدح : اللهم أنت اعلم مني بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرًا مما يحسبون واغفر لي مالا يعلمون

ولا تؤاخذني بما يقولون . وقيل لاعرابي ما أحسن الثناء عليك فقال بلاء الله عندي أحسن من وصف المادحين وان احسنوا وذنوبي الى الله اكثر من عيب الذامين وان اكثروا

(النهي عن المدح قبل الاختبار) قيل لاتهرف قبل ان تعرف . وقال رجل لعمر ان فلانًا رجل صدق . فقال هل سافرت معه او ائتمنته . قال لا فقال اذًا لاتمدحه فلا علم لك به لعلك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد

(عتب من يمدح نفسه) خطب معاوية خطبة حسنة فقال هل من خلل . فقال رجل من عرض الناس خلل كخلل المنخل . فاستدعاه وقال ما ذاك الخلل . فقال اعجابك به ومدحك له . وقيل لحكيم ما الذي لايحسن وان كان حقًا قال مدح الرجل نفسه . وقال معاوية لرجل: من سيد قومك . فقال أنا . فقال له لو كنت كذلك لم تقله . وسئل الشاعر الاهوازي كيف اصبحت . فقال اصبحت والله أظرف الناس وأشعر الناس وآدب الناس . فقال السائل اسكت حتى يقول الناس ذلك . فقال انا منذ ثلاثين سنة انتظر الناس وليسوا يقولون

(عذر من يحوج الى مدح نفسه) قد أحسن ابن الرومي في ذلك حيث يقول :

وعزيز عليَّ مدحي لنفسي * غير اني جشمته للدلاله
وهو عيب يكاد يسقط فيه * كل حرٍ يريد يظهر حاله

ووُصف للمنصور مشير بن ذكوان فأمر باشخاصه اليه فلما دخل قال له اعالم انت فقال اكره ان اقول نعم وفيه مافيه أو اقول لا فأكون جاهلاً . فأعجب المنصور بجوابه والزمه المهدي . وسأل المأمون عبد الله بن طاهر عن ابنه فقال ابي ان مدحته ذممته وان ذممته ظلمته الا انه نعم الخلف لسيده من عبده اذا اخترمته منيته

(من كثرت ممادحه سهل الشعر على مادحه) كتب بعضهم: فتحتْ شيمه على المداح مستغلقاتِ الكلام . وقال آخر : جود آل المهلب تركهم اهدافًا للمديح .

وقال أحمد بن أبي طاهر :

اذا نحن حكنا الشعر فيك تسهلت * علينا معانيه وذلت صعابها
فما انتظمت الا عليك عقودها * وما انتشرت الا عليك ثيابها

وقال ابن الرومي :

عجبت لمن يهديه للشعر مدحكم * وتنطقه ايامكم وهو مفحمُ

(من لايجد أحد عن مدحه محيصاً) قال أبو عمرو غاية المدح ان يمدحك من لا يريد مدحك وغاية الذم ان يذمك من لا يريد ذمك . وكتب بعضهم الجاحد فضلك كمن سمى النهار ليلاً والشمس ظلاً . وقال ابن الرومي :

يامن اذا قلت فيه صالحةً * عند عــدو اقرّ واعترفا

(تبكيت من يذم من لايستحق الذم) وقف رجل على شيرويه فقال : الحمد لله الذي قتل ابرويز على يديك وملكك ما كنت أحق به منه وأراحنا من عتوه ونكده فقال للحاجب احمله اليّ فقال له كم كان رزقك قال الفان قال والآن قال مازيد شيء قال فما دعاك الى الوقوع فيه وانما ابتداء نعمتك منه ولم نزد لك وأمر ان ينزع لسانه من قفاه

(من رد اليه مدحه) مدح ابن الرومي بعض الكتاب بشعر وتردد اليه طالباً جائزته فدفع شعره الى غلامه وقال امدح به غيري فلست ارغب فيه . فقال :

رددت عليّ شعري بعد مطل * وقد دنست ملبسه الجديدا
وقلت امدح به من شئت غيري * ومن ذا يقبل المدح الرديدا
وما للحي في أكفانــ ميت * لبوس بعد ما امتلأت صديدا

(من استرده لـما حرم الجدوى) قال ابن الرومي :

ردوا عليّ صحائفاً سودتها * فيكم بلا حق ولا استحقاقِ

وقال :

ان كنتَ من جهل حقي غير معتذر * وكنت من رد مدحي غير متئب
فأعطني ثمن الطرس الذي كتبتْ * فيه القصيدة أو كفارة الكذبِ

(من لا يهتز لمدح ولا يغتم لهجو) قال رجل لحكيم لا أبالي مدحت ام هجيت . فقال استرحتَ من حيث تعبَ الكرام . وقيل ليعدَّ ميتاً من لم يهتز لمدح ولا يرتمض من ذم . وقال ابن الرومي :

فما يرتاح للمدح * ولا يرتاح للذمِ

وقال ابراهيم بن المدبر :

أحق الناس كلهم بعيب * مسيء لا يبالي ان يعابا

(النهي عن المشاتمة وذم الغالب منهما) قال النبي « صلعم » البذاء لؤم وصحبة الاحمق شؤم . وقال ابن عامر دعوا قذف المحصنات تسلم لكم الامهات. وقيل المبتدئ شاتم نفسه والبادئ أظلم . وشتم رجل حكيماً فقال اسكت فلست ادخل في حرب الغالب فيها شرٌ من المغلوب . وقال أمير المؤمنين ما تسابَّ اثنان الاّ غلب الأمها

وقيل ما تسابَّ اثنان الا انحط الاعلى الى رتبة الاسفل . وقال حذيفة بن بدر لرجل : ايسرك ان تغلب شر الناس قال نعم قال لن تغلبه حتى تكون شرّاً منه . نازع رجل المهلب فأربى عليه . فقيل لمَ امسكت عنه . فقال كنت اذا أردت اجابته رغبت في غلبة اللئام وكان اذا سبني تهلل وجهه واستنار لونه وتبجحت نفسه فان ظفر فبفضل القحة ونبذ المروءة وخلع ربقة الحياء وقلة الا كتراث بسوء الثناء

(قطع الذم بالسكوت) من سمع كلمة كرهها فسكت عنها انقطعت والا سمع أكثر منها . وقال شاعر :

كلما خفت من لئيم جواباً * فاطلت السكوت عنه عممته

وشتم الحسن رجلٌ وأكثر فقال اما أنت فما ابقيت شيئاً ومايعلم الله اكثر
(ذم من ينزه عن سبه) قيل ذم من كان خاملاً اطراء . وشتم رجل آخر فلم يرد عليه فقيل له في ذلك فقال ارأيت لو نبحك كلب اتنبحه أو رمحك حمار أكنت ترمحه

وقيل لنصيب الاتهجو فلاناً وقد حرمك فقال انما كان ينبغي أن اهجو نفسي حيث سألته . فقيل ويحك قد هجوته بأشد هجاء

(من لايخاف لكونه ممتنعاً بغيره) قال منصور بن باذان :

لو كنت اجسر ان اقولا * لشفيت من نفسي الغليلاَ
لكن لساني صارم * ملئت مضاربه فلولاَ

(اجابة من عابك تعريضاً بما عابك به) كتب ابن مكرم الى أبي العيناء لست أعرف طريقاً للمعروف احزن ولا اوعر من طريقه اليك لانه ينضاف الى حسب دنيء ولسان بذيء وجهل قد ملك عنانك . فكتب اليه ابو العيناء في أسفل رقعته .

وأنت رعاك الله فينا فانما * مدحت بفضل ضعفه فيك يوجدُ

وقال الشاعر :

ثالبني عمرو فثالبته * فأثم المثلوب والثالبُ
قلت له خيراً وقال الخنى * كل على صاحبه كاذبُ



القسم الثالث

« في الغيبة والنميمة »

(حقيقة الغيبة) قال محمد بن عبيدة الغيبة ان تغتابه اذا أقلع لا ان تغتابه وهو مقيم على حالته . وقال النبي « صلعم » ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته . وقيل ما قلته في وجه الرجل ثم تقوله من ورائه فليس بغيبة . وقال بعض الفقهاء الغيبة ان تذكر الانسان بما فيه من العيب من غير ان تحوج اليه . وفي ذلك احتراز مما يقول الشاهد عند الحاكم

(ذم الغيبة والنميمة) قيل الغيبة مرعى اللئام وجهد العاجز . وقال المأمون حسبك من السعاية ان ليس في الدنيا صدق مذموم غيرها . وقيل الساعي غاش وان قال قول المنتصح . وقال ابن اكثم القول بالمحاسن في الغيب فريضة على كل ذي نعمة

(من امتنع أن يجعل مغتــابه في حلّ) قال رجل لابن سيرين قد نلت منك فاجعلني في حل . فقال لا أحل ماحرم الله عليك . وقيل للحسن ان الحجاج كان يذكرك بسوء . قال علم ما في نفسي له فنطق وعلمت ما في نفسي له فسكت وكل امرىء بما كسب رهين

(من سمحت نفسه بان يجعل في حلْ) قيل لرجل فلان شتمك واغتابك فقال هو في حل فقيل اتحل من يغتابك و به يثقل ميزانك فقال لا أحب انأثقل ميزاني بأوزار اخواني

(من قلت مبالاته بمن اغتابه) قيل لفيلسوف فلان يشتمك بالغيب فقال لو ضربني بالسياط في الغيب لم أبالِ به . وقال المتوكل لابي العيناء ما بقي أحد الاّ اغتابك فقال :

اذا رضيتْ عني كرام عشيرتي * فلا زال غضباناً عليّ لئامها

وقيل للاحنف فلان اغتابك فقال :

رب من يعيبه أمري * وهو لم يخطر ببالي
قلبه ملآن من غيظي م وقلبي منــه خالِ

وقيل لرجل فلان يغتابك فقال دعني يسترفعني الله بذلك فمن أكثرت فيه الوقيعة رفعه الله فان بني أمية لعنوا علياً على المنابر فما زاده الله الا رفعة . وحكي عن بيغاء الشاعر البغدادي انه قيل له ان فلاناً يغتابك فقال لاضير انه أراد ان يمتحن ودي

(ذم ناقص يغتاب فاضلاً) قيل كفى بالمرء شرّاً ان لا يكون صالحاً وهو يقع في الصالحين . وقال المتنبي :

واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني كاملُ

ولغيره * وما زالت الاشراف تهجى وتمدحُ *

(اغتياب المرء غيره يدل على عيبه) قيل من وجدتموه غياباً وجدتموه معيباً لانه يعيب الناس بفضل عيبه وفي ذلك قال الشاعر :

ويأخذ عيب المرء من عيب نفسه * مراد لعمري ما أراد قريبُ

(من اغتاب فاغتيب) قيل من رمى الناس بما فيهم رموه بما ليس فيه . وقيل بحثك عن عيوب الناس يدعو الى بحثهم عن عيوبك . وقال آخر :

ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطلِ

وقال الشطني :

لاتكشفنْ من مساوي الناس ما ستروا * فيهتك الله ستراً عن مساويكا

(النهي عن استماع الغيبة) قال عمرو بن عبيد لرجل يستمع الى آخر يغتاب : ويلك نزه أذنك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن النطق به . وقال الشاعر :

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به

وقال ابراهيم بن المهدي :

من نمّ في الناس لم تؤمن عقاربه * على الصديق ولم تؤمن أفاعيه

(الممدوح بصيانة مجلسه عن الغيبة) مدح بعضهم رجلاً فقال ينزه مجالسه عن الغيبة ومسامعه عن النميمة

(التثبت فيما يُسمع من السعاية) وأبلغ ملك عن رجلٍ منكرًا فأمر بقتله فقال : ان قتلتني ومن سعى بي كاذب يعظم وزرك وان تركتني وهو صادق قل وزرك وأنت من وراء ما تريد والعجلة موكل بها الزلل . فأمر بابقائه والفحص عن أحواله

وقال الواثق لاحمد بن أبي داود فلان قال فيك كذابًا . فقال الحمد لله الذي أحوجه الى الكذب فيّ ونزهني عن الصدق فيه

(من رد السعاية على الساعي وبكته) دخل رجل على عبد الملك فقال هل من خلوة . فأقبل عبد الملك على أصحابه وقال اذا شئتم فقاموا فقال له عبد الملك اسمع لا تمدحني في وجهي فأني اعرف بنفسي منك ولا تكذبني فليس لكذوب رأي ولا تستعين بأحد اليّ فقال الرجل أأنصرف قال اذا شئت فقام وانصرف . ووقّع عبدالله بن طاهر في قصة ساع « سننظر أصدقتَ أم كنت من الكاذبين » ورفع رجل قصة الى أنو شروان ان رجلاً من العامة دعاه الى منزله فأطعمه طعام الخاصة . فوقّع في قصته « قد حمدنا فملك فيما تأتيه وذممنا صاحبك لسوء اختياره لمن يؤاخيه » . ووقّع طاهر بن الحسين في رقعة متنصح « قد سمعنا ما كره الله فانصرف لا رحمك الله » وقال الواثق لاحمد بن أبي داود ما زال القوم في ثلبك الى الساعة . فقال يا أمير المؤمنين لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والله ولي جزائه . قال فما الذي قلت لهم . قال قلت :

وسعى اليّ بعيب عزةَ نسوة * جعل الاله خدودهنّ نعالها

(قلة التخلص من اغتياب الناس) قيل ليس الى السلامة من ألسنة الناس سبيل فانظر الى ما فيه صلاحك فألزمه

(ذم ناقل الغيبة) قيل الرواية أحد الشاتمين . وقيل من بلغك فقد سبك. وقيل لحكيم فلان عابك بكذا فقال لقد لقيتك نفحتني بما استحى الرجل من استقبالي به . وقيل ما ضرت كلمة ليس لها مخاطب

(الموصوف بالنميمة) قيل فلان أنم من الزهر. وقال ابن الرومي:

انم بما استودعته من زجاجة * ترى التيء فيها طاهرًا وهو باطنُ

وقال آخر :

قد كان صدرك للاسرار جندلة * ضنينة بالذي تحوي نواحيها

فصار من بث ما استودعت جوهرة * رقيقة تستشف العين ما فيها

وانكر بعضهم لحة جليس له فنسبه الى النميمة . فقال ما نطقت ولكن رمقت . ورب عين انم من لسان وطرف أشد من سيف واوجع من حنف . وقال الرشيد لابي عمرو الشفلقي فلان نم بك . فقال يا أمير المؤمنين ان فلانًا لو كان بينك وبين الله واسطة لسعى بك اليه . وقال العباس بن الاحنف :

اناس امناهم فنموا حديثنا * فلما كتمنا السرّ عنهم تقولوا

ومن قول أبي ذهل :

أمنا أناسًا كنتِ قد تأمنينهم * فزادوا علينا في الحديثِ وأوهموا

وقالوا لنا ما لم نقل ثم اكثروا * عليّ وراحوا بالذي كنت اكتم

القسم الرابع

« في التحية والادعية والتهنئة »

(الحث على التحية ووصف فضلها) قال النبي « صلعم » اذا التقيتم فابدؤا بالسلام قبل الكلام ومن بدأ بالكلام فلا تجيبوه . وقال بعضهم بثوا السلام فهو رفع للضغينة بأيسر مؤنة واكتساب اخوة بأهون عطية . وقال رجل لآخر ابلغ فلاناً عني تحيةً . فقال هدية حسنة ومحمل خفيف

(الحث على الجواب) قال الله تعالى « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » وقال النبي « صلعم » أطعموا الطعام وردوا السلام وصلوا بالليل والناس نيام

(ذم من بخل بالتحية وعذره) أنشد ثعلب :

وما لك نعمة سلفت الينا * فكيف نراك تبخل بالسلامِ

وأنشد المبرد :

اذا لم تجد بجميل الكلام * فماذا الذي بعده تبذلُ

وقال آخر :

ياجواداً بالثراء * وبخيلاً بالدعاء

فتفضل يا أخا الفضل بتفخيم الثناء

وسلم آخر على رجل بسوطه فلم يجبه . فقيل له في ذلك فقال سلم عليّ بالايماء فرددت عليه بالضمير . وقال ابن المقفع لا تكونن نزر الكلام والسلام ولا تتهافتن بالبشاشة والهشاشة فان أحدهما كبر والآخر سخف

(مواضع التسليم) قال النبي « صلعم » اذا أتى أحدكم المجلس فليسلم فان

قام والقوم جلوس فليسلم فان الاولى ليست بأحق من الاخرى . ودخل الحسن بن الكناني على عبد الله بن جعفر فأنشده :

« عليك السلام أبا جعفر »

فقال أخطأت حيتني بتحية الموتى وقد أمكنك أن تقول :

« سلام عليك أبا جعفر »

(حمد المصافحة والحث عليها) قال النبي « صلعم » اذا لقي المؤمن المؤمن فصافح أحدهما الآخر تناثرت الخطايا بينهما كما يتناثر ورق الشجر . وقيل المصافحة تزيد في المودة . وقال شاعر :

تصافحت الاكف وكان اشهى * الينا ان تصافحت الخدودُ
نعيش اذا التقى كف وكف * فكيف اذا التقى جيد وجيدُ

وقال القصاني :

قد احدث الناس ظرفاً * اربى على كل ظرفِ
كانوا اذا ما تلاقوا * تصافحوا بالاكفِ
فاحدثوا اليوم لثم الخدود واللثم يشفي
فصرت الثم خديه من طريق التحفي

(من سئل من الصالحين عن حاله فشكا علة) قيل لابي عمرو بن العلاء كيف أصبحت . فقال أصبحت كما قال الربيع الفزاري

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا
والذئب اخشاه ان مررت به * وحدي واخشى الرياح والمطرا

وقيل للحسن بن وهب . قال أصبحت صدىء الذهن ميت الخاطر من سوء اختيار الزمان وتغير الاخوان

وقيل لابي العالية السامي كيف أنت . فقال على غير ما يحب الله وغير ما أحب

وغير ما يحب ابليس لان الله يحب ان أطيعه وأنا اعصيه وابليس يحب ان اتعاطى ضروب الخسارة ولست كذلك وأنا أحب ان يكون لي ثروة وصحة وليس كذلك ·

وقال ابو خرابة ليزيد بن المهلب : كيف الامير فقال كما تحب · فقال لو كنت كذلك لكنت قائماً مقامي وكنت قاعداً محلك

(في الدعاء) قال رجل للاصمعي مرحباً وأهلاً وسهلاً فقال ارحب الله بلدك واهل رحلك وسهل أمرك · وقال رجل لخالد بن صفوان مرحباً بك فقال رَحبَ واديك وعزَّ ناديك

وقيل ليس في الدعاء مثل أطال الله لك البقاء وأدام لك العلاء · وقال ابن بوقة لاحد أصحابه

أفديك بل أيام عمري كلها * يفدين أياماً عرفتك فيها

وقال يعقوب بن الربيع :

فلو انني اذ كان وقت حمامها * أحكم في عمري لشاطرتها عمري

فحل بنا المقدار في ساعة معاً * فماتت ولا أدري ومت ولا تدري

وقال الخوارزمي

وان رضي الزمان بمثل روحي * فداء عنك فهي لك الفداء

وقال آخر :

فداؤك مالي فهو منك ومهجتي * فانك قد أقررتها في جوانحي

قال ابراهيم الصولي ان قولهم قدمني الله قبلك مأخوذ من قول الاقرع ابن حارس :

اذا ما أتى يوم يفرق بيننا * بموت فكن أنت الذي تتأخرُ

وقال رجل لآخر كيف أصبحت · فقال بخير · فقال هلا قلت أحمد الله واستغفره فكان أوله شكرًا وآخره عبادة · قال اعرابي لرجل اراك الله في عدوك مايعطفك عليه · قال النبي « صلعم » أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك أعاذك

الله تعالى مما يقلق قلب الصديق و يضحك سن العدو أعاذك الله من خيبة الرجاء وشماتة الاعداء وزوال النعمة وفجاءة النقمة . وقال الخوارزمي :

ولا زالت عداك بكل أرض * لهم من سوء ظنهم نذيرُ
قصير نهارهم خوف طويل * بهم وطويل عمرهم قصيرُ

وقال أحدهم زادك الله كما زادنا بك وأعطاك أكثر مما أعطانا منك

قيل جعل الله لك في الخير جدّاً ولا جعل معيشتك كدّاً . اعاذك من بطر الغنى ومذلة الفقر . جعل الله لك رزقاً واسعاً وجعلك به قانعاً . وهب الله لك من غناه ما لا يقدر عليه سواه وقال رجل لمسروق بن الاجدع أعاذك الله من خشية الفقر وطول الامل ولا جعلك ردية السفهاء وشيناً على الفقهاء

وقيل فرغك الله لما له خلقك ولاشغلك بما تكفل به لك . وقال سعيد بن المسيب مرّ بي صلة بن اشيم فقلت ادع لي فقال لي : رغبك الله في ما يبقى وزهدك في مايفنى أعاذك من هيجان الحرص وسورة الغضب وغلبة الحسد ومخالفة الهدى وسنة الغفلة وايثار الباطل على الحق وأ اذك من سوء السيرة واحصاء الصغيرة ومن شماتة الاعداء والفقر الى غير الاكفاء ومن عيشة في شدة وميتة من غير عدة ومن سوء المآب وحرمان الثواب وحلول العقاب . وقال اعرابي اعاذك الله من هول المطلع وضيق المضطجع وبعد المرتجع . وقال آخر اعانك الله على الدنيا بالسعة وعلى الآخرة بالمغفرة

(في التهنئة) قال أحدهم لوالٍ اهنئ بك العمل الذي وليته ولا اهنئك به لان الله تعالى اصاره الى من يورده موارد الصواب ويصدره مصادر الحجة . لما استخلف عمر بن عبد العزيز دخل عليه شاب من الانصار فقال ما طيبتك الخلافة ولكن طيبتها وما زينتك الولاية بل زينتها وقال ابراهيم ابن العباس :

ماحدثت لك من نعمى وان عظمت * الا يصغرها القدر الذي فيكا
لازلتَ مستحدثاً نعمى نسرّ بها * على الليالي ولا زلنا نهنيكا

القسم الخامس

« في الهدايا »

(الاهداء وذكر فضيلته) قال عمر بن الخطاب : نعم الشيء الهدية بين يدي الحاجة . وفي الخبر: اذا قدم أحدكم من سفر فليهدِ الى أهله وليطرفهم وان حجارة . وقيل الهدية بضاعة تيسر الحاجة ومن صانع بالمال لم يحتشم

(قبول الهدية) قال النبي « صلعم » ان الهدية رزق الله فمن اهدي اليه شيء من غير سؤال ولا اسراف فليقبله فانما هو رزق ساقه الله اليه . وقال من سألكم بالله فأعطوه ومن استعاذكم فأعيذوه ومن اهدي اليه كراع فليقبله

(الممتنع من أخذ الهدية) سأل رجل الخيزران حاجة فاستبطأها فاهدى اليه هدية فكتب اليه « ان كان ما وجهته ثمناً لرأيي فيك فقد بخستني في القيمة وان كان استزادة فقد استغششتني في النصيحة » . وقال المدائني: أهدى رجل الى مجوسي هدية فاغتم لذلك فقيل له فقال لئن ابتدأني بها فانه يدعوني الى ان اتقلد منه منة ولئن كافأني على معروف عنده انه ليروم أخذ ذلك فمن أي هذين لا أجزع . وطلب عبد الله بن جعفر لازادمرد حاجة من أمير المؤمنين فأهدى اليه ازادمرد أربعين الف درهم فامتنع عبد الله من اخذها وقال انا أهل بيت لا نأخذ على معروفنا ثمنًا . واهدى عبد الله ابن السري الى عبد الله بن طاهر لما ولاه مصر مائة وصيفة مع كل واحدة بدرة وبعثها اليه ليلاً فردها وكتب اليه لو قبلت هديتك ليلاً قبلتها نهارًا وما أتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون

(الاعتذار من اهداء شيء طفيف) كتب بعضهم : سهل لي سبيل الملاطفة فأهديت هدية من لا يحتاشم الى من لا يستغنم . الهدية أظرفها اخفها واقلها انبلها . وكتب آخر قدمت المعذرة في اهداء ما اتسعت به المقدرة . وقال دعبل :

هذي هدية عبد أنت ملبسه * ثوب الغنى فاقبل الميسور من خدمك

وقال الخبزارزي :

تفضل بالقبول عليّ اني * بعثت بما يقل لعبد عبدك

اهدى بعض الادباء الى المعتز شيئاً وكتب اليه «لا يعيب العبد ان يهدي الى سيده القليل من نعمته عنده ولا السيد أن يقبل ذلك وان كان الكل له والسلام»

(المقتصر في الهدية على الشكر) قال المازني أظرف من اعتذر للفقر واقتصر على الشكر في الاهداء أحمد بن ابراهيم كتب اليه ابن ثوابة :

اني جعلت هديتي * في المهرجان اليك شكري

لما تعذر واجب * فسح التعذر فيه عذري

فاذا مررت بذكر من * جاءت هديته ببر

فادر على اسمي دارةً * واكتب عليه أتى بعذر

وقال محمد بن أبي حكيم :

رأيت كثير ما يهدى قليلاً * لعبدك فاقتصرت على الدعاء

وقال آخر :

وافق المهرجان والعيد مني * رقة الحال وهي داء الكرام

فاقتصرنا على الدعاء وفيه * عون صدق على قضاء الذمام

(ذكر الهدية بأنها امارة لفضل صاحبها ونقصه) قيل يعرف فضل المرء بفضل هديته وسخافته بسخافة برّه . وقيل ثلاثة تدل على عقول أربابها الهدية والرسول والكتاب

(الشاكر المهدي اليه) قال الشاعر :

اتتنا هدايا منه اشبهن فضله * ومن علي منعماً متفضلا

ولو أنه اهدى اليّ وصاله * لكان الى قلبي الذ واوصلا

الحد السابع

﴿ في الهمم والجد والآمال ﴾

القسم الاول

« في الهمم الرفيعة والوضيعة »

(مدح رفع الهمة) قيل الهمة جناح الحظ . وقيل لا تدور رحى الجد الا بقطب الهمة وقيمة كل امرئ همته . وقال عمرو ابن العاص عليك بكل أمر فيه مزلقة ومهلكة « أي بجسام الامور » . قال عمر لا تصغرن همتك فاني لم أرَ اقعد بالرجل من سقوط همته . وأحسن ماقال لبيد :

أكذب النفس اذا حدثتها * ان صدق النفس يزري بالامل

وقيل ثلاثة لا تدرك الا برفع الهمة عمل السلطان وتجارة البحر ومناجزة العدو . وقال ابن نباتة :

حاول جسيمات الامور ولا تقل * ان المحامد والعلى أرزاقُ

وارغب بنفسك ان تكون مقصرًا * عن غاية فيها الطلاب سباقُ

(المرء تابع لهمته) المرء حيث يجعل نفسه ان رفعها ارتفعت وان قصر بها اتضعت . وقال شاعر :

وما المرء الا حيث يجعل نفسه * ففي صالح الاخلاق نفسك فاجعل

(من عظمت همته وقصرت موجدته) قيل ذو الهمة وان حط نفسه تأبى الا العلو كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى الا ارتفاعاً . وقيل اسوأ الناس من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته وبعدت همته واخذ ذلك المتنبي فقال :

واتعب خلق الله من زاد همة * ويقصر عما تشتهي النفس وجده

وقال ابن نباتة :

ارى همم المرء اكتئاباً وحسرة * عليه اذا لم يسعد الله جده

(طلب الجسام والاعتزال عن الانام) قال معاوية لابنه كن مترفعاً عن الناس ومستترًا عنهم

(الممدوح بعظم الهمة) قال اعرابي فلان يرمي بهمته حيث يشير اليه الكرم يتحسي مرارة الاخوان ويسقيهم عذبه له. همة تناطح النجوم وكرم يناسخ الغيوم. وقال الشاعر :

ولي همم بيني وبين بلوغها * بحور من الآمال ليس لها جسر

وقال آخر :

صدر رحيب لما يأتي الزمان به * وهمة تسع الدنيا وما تسعُ

(من ضاق به الزمان لعظم همته) وقال المتنبي :

تجمعت في فؤاده همم * ملء فؤاد الزمان احداها

(تحمل المكاره في نيل المكارم) قيل المكارم موصولة بالمكاره . وقيل من سما لمكرمة فليتحمل مكروهها . وقال الابزاري :

فقل لمرجي معالي الامور * بغير اجتهاد رجوت المحالا

وقال ابو تمام :

ما ابيض وجه المرء في طلب العلا * حتى يسود وجهه في البيد

وقيل « دون نيل المعالي » هول العوالي . وقيل للربيع بن خثيم: اتعبت نفسك في العبادة واصلاح أمر الناس. فقال راحتها أريد فان افره العبيد اكسبهم لمولاه. وقيل لروح ابن حاتم طال وقوفك في الشمس فقال ليطول وقوفي في الظل . وقد اجمع حكماء العرب والعجم انه لم يدرك نعيم بنعيم قط وما أدرك نعيم الا ببؤس قبله :

وقال المتنبي :

اذا غامرت في شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر صغير * كطعم الموت في أمر عظيم

وقال الصاحب :

وقائلة لمَ عرتك الهموم * وأمرك ممتثل في الامم
فقلت دعيني على غصتي * بقدر الهموم تكون الهمم

وكتب بليغ «فلان تعب في طلب المكارم غير ضال في طرقها ولا متشاغل عنها»

(استطابة تحمل الشدة للوصول الى الرفعة) قال المتنبي :

تلذ له المروءة وهي تؤذي * ومن يعشق يلذ له الغرامُ

وقال أبو فراس :

تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن يخطب الحسناء لم يغله المهرُ

(ذم من همته نفسه) قال الشاعر :

اني رأيت من المكارم حسبكم * ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
فاذا تذوكرت المكارم مرة * في مجلس أنتم به فتقنعوا

(ذم من قصرت همته عن طلب المعالي) ذم اعرابي رجلاً فقال هو عبد البدن حر الثياب عظيم الرواق صغير الاخلاق الدهر يرفعه وهمته تضعه . وقال أبو تمام :

بنو الهمم الهوامد والنفوس م الخوامد والمروآت النيام

وكان لاعرابية ابن تحرضه على الاقامة والاقتصار على المطعم والمشرب فأنشدها :

اذا ما الفتى لم يبغ الا لباسه * ومطعمه فالخير منه بعيدُ

(ذم ايثار الدعة) ما لزم أحد الدعة الاذل وحب الهوينا يكسب الذل

وحب الكفاية مفتاح العجز . وقال الصاحب ان الراحة حيث تعب الكرام أودع لكنها أوضع والقعود حيث قام الكرام اسهل لكنه أسفل . وقال آخر :

فتى بهمته يلتذ في دعـــة * وراحة ويولي غيره التعبا

وقال أبودلف :

ليس المروءة ان تبيت منعماً * وتظل معتكفاً على الاقداحِ
ما للرجـال وللتنعم انمـا * خلقوا ليوم كريهة وكماحِ

قال يزيد بن المهلب ما يسرني اني كفيت أمر الدنيا كله لئلا اتعود العجز

(ذم الكسل وتدرع العجز) قال الاحنف اياك والكسل والضجر فانك ان كسلت لم تؤدِ حقاً وان ضجرت لم تصبر على حق . وقال شاعر :

لا تضجرن ولا تدخلك معجزة * فالنجح يهلك بين العجز والضجرِ

(مدح ايثار الدعة وقصر الهمة) قيل لابن المقفع : لِمَ لا تطلب الامور العظام فقال رأيت المعالي مشوبة بالمكارة فاقتصرت على الخمول ضناً بالعافية . ومنه أخذ العتابي قوله :

دعيني تجئني منيتي مطمئنةً * ولم أتجشم هول تلك المواردِ
فان جسيمات الامور مشوبة * بمستودعات في بطون الاساودِ

(مدح الخمول مع الغنى) قيل لحكيم من أنعم الناس عيشاً فقال من اتسعت مقدرته وقصرت همته . وقال عبدالملك لاعرابي تمنّ فقال العافية والخمول فاني رأيت الشر الى ذي النباهة اسرع فقال : ليتني كنت سمعت هذه الكلمة قبل الخلافة . وقيل لسعد أرضيت ان تكون مشغولاً باغنامك والناس يتنازعون الملك فقال سمعت رسول الله « صلعم » يقول ان الله يحب الغني التقي الخفي

وقال بعضهم جربنا العيش فوجدنا اهنأه ادناه . وقال محمد بن زبيدة أتروني لا أعرف الايراد والاصدار ولكن شرب كاس وشم آس واستلقاء من غير نعاس احب اليّ من مداراة الناس

(مدح التوسط في الامور) قال النبي « صلعم » خير الامور أوساطها . وقيل الغلو في العلو مؤدٍ الى وضع الضعة . وقيل أكثر الخير في الاوساط . وقال أبو العتاهية :

عليك بأوساط كل الامور * وعد عن الجانب المشتبهْ

(ذم بلوغ النهاية) عند التمام يكون النقصان . وقال شاعر :

اذا تم أمر بدا نقصه * توقع زوالاً اذا قيل تمّ

وقال المأمون لاحمد بن أبي خالد وهو يخلف الحسن بن سهل رأيت ان استوزرك فقال ان رأى أمير المؤمنين ان يعفيني ويجعل بيني وبين الغاية منزلة يرجوني اليها المولى ويخشاني لها العدو فما بعد الغايات الا الآفات

القسم الثاني

« في الجد »

(تفضيل الجد على الجد) قيل جدك لا كدك وقال الشاعر :

الجد انهض بالفتى من سعيه * فانهض بجد في الحوادث أو دعِ

وقال آخر :

هل نافعي جدي وفرط تيقظي * ان كان جدي يا امامة جاهدا

وأنشد محمد بن عمر الوراق البلخي :

ان السعادة أمر ليس يدركه * أهل السعادة الا بالمقاديرِ
مخزونة عن أناس طالبين لها * وقد تساق الى قوم بتيسيرِ

(تفضيل الجد على العقل) تقدم اخوة الى سوار في ميراث لهم فقال سوار خيروا الاكبر منكم فانه خلف أبيكم والمنظور اليه دونكم . قالوا قد فعلنا فأبى

الاكبر ان يقبل ذلك . فقال سوار مايمنعك فقال اني بحظي أوثق مني بعقلي فأقرع بينهم فخرج سهمه خيرًا من سهامهم فقال كيف رأيت . فقال سوار استأذن العقل على الحظ فحجبه

(كون العاقل محدودًا والجاهل مجدودًا) من زيد في عقله نقص من حظه . وقيل ماجعل الله لاحد عقلاً وافرًا الا احتسب عليه من رزقه . وقال شاعر :

خاب امرؤ ظل يرجو ان ينال غنى * بالعقل ماعاش في دهر المجانين

وقال المتنبي :

وما الجمع بين الماء والنار في يدي * بأبعد من ان اجمع الحظ والفهما

(معارضة دنيء ساعده القدر) قال أحدهم :

الا ليت المقادر لم تقدّر * ولم تكن الاحاظي والجدودُ

فننظر أينا يضحى ويمسي * له هذي المراكب والعبيدُ

وقيل لرجل كيف فلان فقال أحمق مرزوق . وقيل لآخر فقال عجب غني حظي

(الجد يحسن القبيح ويقرب البعيد) قيل اذا أقبلت الدنيا على انسان أعارته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه . وقال شاعر :

ان المقادير اذا ساعدت * الحقت العاجز بالحازمِ

وقال أبو الشيص :

يخيب الفتى من حيث يرزق غيره * ويعطى الفتى من حيث يحرم صاحبه

(تعسر الامر على من خذله جده) قيل اذا لم يساعد الجد فالحركة خذلان . قال ثمامة لما أخبر يحيى بن خالد بتغير الرشيد له كان يحتال في تخليص روحه فأمرني يوماً بالحضور معه فاجتمعنا على الرأي فكلما أتى الرأي نقض عليه آخر حتى أعيانا الامر فقام وقال أف لهذه الدنيا كان الرأي يجيئنا على البديهة والامر مقبل فصار لا يأتينا على الروية والامر مدبر ليصنع الدهر ماشاء . وقيل اذا أراد الله تعالى ان يزيل عن عبده نعمة فأول مايزيل عنه عقله . وقال البديهي :

اذا المقادير لم تقبل مساعدةً * على بلوغ المنى لم تنفع الهممُ

(التوفيق) قال عمر: توفيق قليل خير من مال كثير . وقيل لبزرجمهر أي الناس أفضل فقال مجتهد في الخير ساعده القدر . وقيل لحكيم ما الشيء الذي لا يستغني عنه المرء في كل حال فقال التوفيق . وقام الى الشبلي رجل فقال بمَ يبعد المرء من ربه ويخذل عن أمره فزعق زعقة ثم أنشد:

من لم يكن للوصال أهلاً * فكل احسانه ذنوبُ

وقال بعض الصوفية ان العنايات لا تضر معها الجنايات . وقال الشاعر:

ويقبح من سواك الشيء عندي * وتفعله فيحسن منك ذا كا

وقيل قليل النجح خير من كثير الجهد

(بطلان الجد والتدبير مع القضاء والقدر) قيل اذا جاء القدر عمي البصر . المرء طالب والقضاء غالب . اذا انقضت المدة لم تنفع العدة . اذا نزل البلاء ذهبت الآراء . اذا حلت المقادير ضلت التقادير . اذا حل القدر بطل الحذر . وانتهى اعرابي الى أرض فقيل له انها مفعاة فبات على ظهر راحلته فتعلقت حية بنسعة كانت في يده فلسعته فقال وهو يجود بنفسه:

لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي * اذا هو لم يجعل له الله واقيا

ولامير المؤمنين:

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأكثر ما يجني عليه اجتهادهُ

وقيل القضاء يقرب البعيد ويبعد القريب . وكان نقش خاتم أبي العتاهية « سيكون الذي قُضي سخط العبد أم رضي »

القسم الثالث

« في الاماني والآمال »

(طيب الاماني والآمال) قيل لبعض من كان يخطب عملاً ماتصنع قال أخدم الرجاء حتى ينزل القضاء . وقيل ليس سرور النفس بالجد والمقدرة انما هو بالاماني والآمال . وقيل لحكيم أي شيء أدوم امتاعاً فقال الاماني . وقال رجل من بني الحارث :

منى ان تكن حقاً تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمناً رغدا

وقال آخر :

اذا ازدحمت همومي في فؤادي * طلبت لها المخارج بالتمني

وقال آخر :

في المنى راحة وان عللتنا * من هواها ببعض ما لا يكونُ

(ذم الاماني وبطلانها) الامل سلطان الشيطان على قلوب الغافلين . الخذلان مسامرة الاماني والتوفيق رفض التواني . وقال ابن المقفع كثرة المنى تخلق العقل وتطرد القناعة وتفسد الحس . وقال امير المؤمنين تجنبوا المنى فانها تذهب ببهجة ما خولتم وتصغر مواهب الله التي رُزقتم . ثلاث تخلق العقل وفيها دليل على الضعف سرعة الجواب وطول التمني والاستغراب في الضحك . قال رجل لابن سيرين رأيتني كأني اسبح في غير ماء وأطير بغير جناح فقال انت رجل تكثر الاماني . وقيل المنى والحلم اخوان . وقال البسامي :

اعلل نفسي بما لا يكون * كما يفعل المائق الاحمق

وقال أبو تمام :

من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الاماني لم يزل مهزولا

(اماني من تمنى أمرًا فادركه) اجتمع ابن عمر وعروة ابن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة فقال مصعب هلموا نتمنى فتمنى عروة الفقه وان يحمل عنه الفقه وتمنى عبد الملك الخلافة وتمنى مصعب ولاية العراق وتزويجه سكينة بنت الحسين بن علي وعائشة بنت طلحة وعبد الله بن عمر الجنة فنال مصعب وعبد الملك وعروة ما تمنوه وشهد ابن عمر مدركك ما تمناه وطلبه ٠

(طيب ادراك المنى) في المثل أطيب من نيل المنى وادراك الامل ٠ وقيل ليس بعد بلوغ المنى الا نزول المنية ٠ وقال ابو الفتح بن العميد

اذا المرء ادرك آماله * فليس له بعد ذا مقترحْ

(أماني قوم بحسب أحوالهم) قال قتيبة بن مسلم للحصين بن المنذر ما تتمنى فقال لواء منشور وجلوس على السرير وسلام عليك ايها الامير ٠ وقيل لعبد الله بن الاهتم ذلك فقال رفع الاولياء وقمع الاعداء وطول البقاء مع القدرة والنماء ٠ وقيل ذلك للفضل بن سهل فقال توقيع نافذ وأمر جائز ٠ وقيل لحكيم تمنَّ فقال : محادثة الاخوان وكفافًا من عيش والانتقال من ظل الى ظل

(نوع من الاماني) قيل لرجل أيسرك ان يكون لك الف درهم ٠ فقال نعم وأُضرب مائة ٠ فقال وضرب المائة لمه ٠ فقال لانه لا يكون شيء الا بشيء ٠ وقيل كان رجل يطلبه الحجاج بساباط فيه كلب فقال ليتني كنت هـذا الكلب فاستريح من الغم والخوف فما لبث ان جيء بذلك الكلب وفي عنقه حبل وقيل ورد كتاب الحجاج يأمر فيه بقتل الكلاب وقعد بن ابي عتيق فقال ليت لنا لحمًا فنطبخ سكباجًا فما لبث ان جاء جار له بصحفة فقال اعطونا قليل مرق ٠ فقال ان جيراننا يشمون رائحة الاماني

(التحذير من طول الامل) قال النبي « صلعم » اخوف ما أخاف على امتي الهوى و بعد الامل أما الهوى فيعدل عن الحق واما طول الامل فينسي الآخرة ٠ ما أطال عبد الامل الا أساء العمل ٠ من جرى في عنان امله فعاثر لا شك باجله ٠ الآمال مصائد الرجال ٠ ووجد على حجر مكتوب « يا ابن آدم لو رأيت ما بقي من

أجلك لزهدت في طول ما ترجوه من أملك»

(نفع طول الامل في الورى) قال النبي « صلعم » الامل رحمة لامتي ولولا الامل ما أرضعت ام ولداً ولاغرس غارس شجراً . ومن هذا أخذ الحسين « لو عقل الناس وتصوروا الموت بصورته لخربت الدنيا » . وقال مطرف هذه الغفلة رحمة فلو دخل الناس الخوف من الموت ما انتفعوا بدنياهم

(مضرة انقطاع الامل) قيل اعظم المصائب انقطاع الرجاء . وقيل لبزرجمهر ما الذي يشدد البلاء على الناس فقال القنوط والاستبسال . قيل فما الذي يهونه عليهم . قال الرجاء وحسن الظن . قال النظام كنا نلهو بالاماني وتطيب انفسنا بها فذهبت من بعد وانقطع الامل

(بقاء الامل والمنى ببقاء الحياة) قيل لا ينقطع رجاء المرء ما لم تنقطع حياته . وقيل الامل يساوق الاجل

الحد الثامن

﴿ في الصناعات والمكاسب والتقلب والغنى والفقر ﴾

القسم الاول

« في الحرفة وفضلها »

قال النبي « صلعم » لوفد عبد القيس ما المروءة فيكم قالوا العفة والحرفة . وقال خير الكسب كسب اليد لمن نصح . وكان عمر اذا نظر الى رجل سأله ألهُ حرفة فاذا قال لاسقط من عينه . ونظر عمر الى أبي رافع وهو يقرأ ويصوغ فقال يا أبا رافع أنت خير مني تؤدي حق الله تعالى وحق مواليك . وقيل

لاعرابي ينسج الا تستحي ان تكون نساجاً . قال انما استحي ان اكون اخرق لا انفع اهلي وحرفة يقال فيها خير من مسئلة الناس . وقيل ان الله يحب التاجر الصدوق والصانع الناصح لانه حكيم

(ذم السرقة) قيل لا ترجّ الخير ممن يكون رزقه من السنة الموازين ورؤس المكاييل يؤتى يوم القيامة بسوقي فيوزن عمله فتميل به كفة الميزان فيقول حولوا الى الكفة الاخرى ففي الميزان عيب

(اصناف الصناع وتفضيل بعضها على بعض) قيل الناس أربعة : ذو صناعة وزراعة وتجارة وامارة وما سوى ذلك فانهم يغلون الاسعار ويكدرون المياه . وقال حبيب بن محمد لمالك بن دينار : لو خيرت في الصناعات ما كنت تختار . فقال اكون حداداً فأرى لفح النار لعلي أتقيها . فقال حبيب كنت أختار ان اكون حفاراً للقبور

القسم الثاني

« في الصناعات »

قيل من حذق في صناعته احتسب حذقه في رزقه ولذلك ترى أكثر الحاذقين محرومين . وسمعت بعض العلماء يقول انما نرى أكثر الحذاق في صناعتهم يضيق رزقهم لاتكالهم على حذقهم لا يبذلون جهدهم فيما يعملونه وغير الحاذق يبذل جهده ويفرغ نصحه خشية ان تسترذل صنعته فيبارك الله فيه بجده وجهده واستفراغ نصحه . وقال الحسن بن سهل لا يكسد رئيس صناعة الا في شر زمان ومملكة انذل سلطان . وقيل من انتكاس الدهر ان يولى امتحان الصناع من ليس بحاذق في صناعتهم

(مدح التجارة وذمها) قال النبي « صلعم » لاخير في التجارة الا لستة :

تاجران باع لم يمدح وان اشترى لم يذم وان كان عليه دين أيسر القضاء وان كان له أيسر الاقتضاء وتجنب الحلف والكذب

(فضل الصدق في البيع) قال النبي « صلعم » ما افلس تاجرصدوق. وقال التجار فجار قيل يارسول الله ولمَ وقد أحل الله البيع فقال انهم يحلفون و يكذبون. وقال الجاحظ رحم الله الاحنف حيث يقول الزم الصحة يلزمك العمل . وقال الاشبح الصيدلاني مر بي رجل فرأى قلة الناس عندي وكثرتهم عند غيري فقال اتريدنّ ان تكثر مبايعتك ويحسن حالك قلت نعم فقال اصدق واصبر سنة فان الصدق يستحي لنفسه ان يبطئ عنك أكثر من سنة ففعلت فكثر زحام الناس عند حانوتي ثم مرّ بي فرأى كثرة الناس عندي فقال احذر ولا تتكل على ما وهمتهم من الصدق فتدعوك نفسك الى ضعف ربحك اليوم فانك ان عدت الى الكذب عاد عليك الكساد فلم أزل قابلا لوصيته ثم مرّ بي بعد سنيات فقال قليل الربح مع كثرة الحرفاء اربح من كثيره مع قلة الحرفاء ولو حلفت انها كلمة نبي لرجوت ان لا أحنث ثم لم أره بعد ذلك

(السهل البيع) مر النبي « صلعم » برجل يبيع شيئاً فقال عليك بالسماح أول السوق فالرباح في السماح . وعن أبي هريرة : أحب الله عبدًا سهلاً اذا باع أو ابتاع سمحا اذا قضى أو اقتضى . وقال ابن عون ما ارسلني الحسن في ابتياع شيء له الا قال لما عدت بارك الله فيك ولم يسألني عن ثمنه . وما أرسلني ابن سيرين الا قال حين عدت كيف اشتريت . وقيل لعبد الرحمن بن عوف بمَ بلغ يسارك فقال لم اردّ ربحاً ولم اشترِ عيباً ولم أبع بنسيئة



القسم الثالث

« في الدين »

(ذم الدين والنهي عنه) قال معاذ بن جبل: الدين شين . وقال بعض الحكماء الدين رقك فلا تبذل رقك لمن لا يعرف حقك . وقيل الدين هدم الدين . وقيل الدين غل الله في أرضه فاذا أراد ان يذل عبدًا جعله في عنقه . وسأل فيلسوف رجلاً ان يقرضه مالا فرده وذمه بعض الناس الى الفيلسوف وقال انه جبهك بالرد فقال ما زاد على ان حمر وجهي بالخجل مرةً واحدة ولو أقرضنيه لصفر وجهي مرات كثيرة

(من تقاضى دينًا قديمًا) قال البحتري :

من امارات مفلس ان تراه * موجفًا في اقتضاء دين قديم

وطلب رجل دينًا عتيقًا فقال دعني من هذا فهذا دين عتيق فقال لعن الله من اعتقه

(من احسن التقاضي) قال النبي « صلعم » خيركم الذي اذا كان عليه دين أحسن القضاء واذا كان له أحسن الاقتضاء . وقال من أدان دينًا وهو ينوي ان لا يؤديه الى صاحبه فهو سراق

(الحث على انظار المعسر) قال الله تعالى « وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة » وروي عن النبي صلعم ان رجلاً فيما مضى لم يعمل خيرًا قط وكان يداين الناس فيقول لرسوله خذ ما تيسر ودع ما تعسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا

القسم الرابع

« في الاكتساب والانفاق »

(تثمير المال في الصغر والكبر) حكي ان كسرى مر بشيخ كبير يغرس فسيلاً فقال له يا هذا كم أتى عليك من العمر قال ثمانون سنة قال أفتغرس فسيلاً بعد الثمانين فقال أيها الملك لو اتكل الآباء على هذا لضاع الابناء . فقال كسرى زه يأخذ أربعة آلاف درهم . فقال أيها الملك الفسيل يطعم بعد سنين من غرسه وهذا قد أطعمني في سنته . فقال زه يأخذ أربعة آلاف درهم . فقال أيها الملك الفسيل يطعم في السنة مرة وهذا قد أطعمني في أول السنة مرتين . فقال زه يأخذ أربعة آلاف درهم . فقال الوزير ان لم ينهض الملك اردى هذا بحكمته بيت المال

(تثمير ذي مال كثير لمال حقير) قال سعيد : ولاني عتبة بن أبي سفيان ماله بالحجاز فقال تعهد صغير مالي يكبر ولا تجفُ كبيره فيصغر فانه ليس يمنعني كثير ما في يدي من اصلاح قليل مالي ولا يشغلني قليل ما في يدي عن الصبر على كثير ماينوبني . وأتى قوم قيس بن عبادة يسألونه حمالة فصادفوهُ في حائط له يتبع ما يسقط من التمر فيعزل جيده ورديئه فقاموا حتى فرغ فكلموه في ذلك فبذل لهم ما أرادوا فقال بعضهم صنيعك هذا مناف لترقيح عيشك فقال بما رأيتم من فعل امكنني ان اقضي حاجتكم . وقال الوليد بن يزيد لاجمعن جمع من يعيش أبدًا ولانفقنه انفاق من يموت غدًا

(التمدح بالتكسب والحث على ذلك) قال بعض الحكماء لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان فالكريم محتال والدنيء عيال . قال عروة بن الورد

اذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه ✵ شكى الفقر أو لام الصديق فاكثرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى ✵ تعش ذا يسار او تموت فتعذرا

(تفضيل الكسب على السؤال) كان عمر اذا نظر الى فتى وأعجبه سأل هل له حرفة فاذا قالوا لا سقط من عينه . وكان يقول مكسبة فيها دناءة خير من مسألة الناس . وقال ابن عباس قدم قوم على النبي « صلعم » فقالوا ان فلاناً يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر فقال أيكم كان يكفي طعامه وشرابه فقالوا كلنا فقال كلكم خير منه . وروى أنس ان رجلاً من الانصار جاء الى النبي « صلعم » وقال أتيتك من أهل بيت لا أراني أرجع اليهم من الجوع فقال أما عندك شيء قال لا فأعطاه درهمين وقال له اذهب فابتع بأحدهما طعاماً وبالآخر فاسا واحتطب وبع فغاب خمسة عشر يوماً ثم جاء فقال بارك الله لي فيما امرتني به أصبت عشرة دراهم فابتعت لأهلي بخمسة طعاماً وبخمسة كسوة فقال النبي « صلعم » هذا خير لك من المسئلة ان المسئلة لا تحل الا لاحد ثلاثة : دم موجع اوغرم مفظع او عدم مدقع . وقال الشاعر

ولا تدع مكسباً حلالا * تكون منه على بيانِ

(تفضيل التكسب على التوكل) قال حكيم لرجل يجلس اليه ما حرفتك قال التوكل على ربي والثقة بما عنده فقال الحكيم الثقة بربك تحرم عليك اصلاح معيشتك أوما علمت ان طلب ما تعف به عن المسئلة حزم والعجز عنه فشل والفقر مفسد للتقي متهم للبريء ولا يرضى به الا الدنيء وأنشد

فان قلت يكفيني التوكل والاسى * فقد يطلب الرزق الذي يتوكلُ

وقيل لحكيم أحذر كل الحذر ان يخدعك الشيطان فيمثل لك التواني في التوكل ويورثك الهوينا باحالتك على القدر فان الله أمرنا بالتوكل عند انقطاع الحيل والتسليم للقضاء بعد الاعذار فقال « خذوا حذركم » وقال « ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » وقال عمر لرجل ما معيشتك قال رزق الله . فقال لكل رزق سبب فما سبب رزقك

(الترغيب في طلب المعاش مع مراعاة المعاد) قال النبي « صلعم » خيركم

من لم يدع دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه . وقال أبو الدرداء احرث لآخرتك كانك تعيش أبدًا واعمل لآخرتك كانك تموت غدًا . ينبغي للعاقل ان يكون طاعنًا الا في ثلاث : تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة في غير محرم . وقال جرير

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه * ولا غرض الدنيا عن الدين شاغله

وقال خالد يا بني خصلتان لا تبالِ ما صنعت بعدهما: دينك لمعادك ودرهمك لمعاشك

(الترغيب في اكتساب الحلال » قال ابن المبارك اقيت رجلاً بمكة يبيع الحرز وكان أبوه خرازًا فسألته عن ذلك فقال ان الله لا يسألني هلا كنت خرازًا وانما يسألني من اين اكتسبت وفيمَ انفقت . وقال سفيان عليكم بعمل الابطال والاكتساب من الحلال والانفاق على العيال . واستأذن رجل النبي « صلعم » في الجهاد فقال الك من تعوله . قال نعم قال كفى بالمرء اثمًا ان يضيع من يعوله

(النهي عن التواني في التكسب) قال هرم: من التوفيق رفض التواني ومن الخذلان مسامرة الاماني . وقال الشاعر :

وما طلب المعيشة بالتمني * ولكن الق دلوك في الدلاء

(مدح الشغل وذم الفراغ) قال بزرجمهر : ان يكن الشغل مجهدة فالفراغ مفسدة . واستشار رجل في عمل يتولاه آخر فقال اعلم ان الفراغ من شأن الاموات والاشتغال من شأن الاحياء فان قدرت ان تكون حيًا فافعل . وقال حكيم لا تفرغ قلبك من ذكر ولا ولدك من شغل فالقلب الفارغ يبحث عن السوء واليد الفارغة تنازع الى الاثم . وقال آخر أحذركم عاقبة الفراغ فانه شر من السكر . وقال الفضل بن مروان الكاتب كالدولاب اذا تعطل انكسر

(الامر بالاقتصاد في الطلب) قال النبي « صلعم » اقتصدوا في الطلب فان ما رزقتموه أشد طلبًا منكم له وما حرمتموه فلن تنالوه ولو حرصتم . وقيل لا يدرك بالحذق هارب الرزق .

قال راشد الكاتب

اذا كانت الارزاق في القرب والنوى * عليك سواء فاغتنم لذة الدعه
وان ضاق أمر يفرج الله ما ترى * الا ربّ ضيق في عواقبه سعه

وقال العطوي :

لا تحسبن طول الرحل * يزيد في رزق الاجل
ولا مقاماً وادعاً * يدفع رزقاً قد نزل

وقيل لبعض من تقاعد به الزمان : الق الدلاء وأجذبها ملاء . فقال كيف انزع دلوًا خان رشاؤها واسدد سهما زالت اغراضها

(الحث على السفر في طلب المال) قال الله تعالى «هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور» وقال النبي «صلعم» سافروا تغنموا . وسئل ضمرة بن ضمرة عن الفقر الحاضر والعجز الظاهر فقال اما الفقر الحاضر فمن لا تشبع نفسه وأما العجز الظاهر فالشاب القليل الحيلة اللازم الحليلة ان غضبت ترضاها وان رضيت فداها يحوم حولها ويطيع قولها . قيل رأس العجز ان تقيم فلا تريم وان تخيم فلا تظعن فمن طلب جلب ومن نام رأى الاحلام . وقيل الحركة لقاح الجد العقيم

قال بزرجمهر السعيد يتبع الغنى والشقي يتبع مسقط رأسه وقال الشاعر :

ذو اللب تنزع للرفاهة نفسه * وترى الشقي نزوعه للموطنِ

أخذه المبرد فقال :

الفقر في أوطاننا غربة * والمال في الغربة أوطانُ

وقال آخر :

* وكل بلاد اخصبت فبلادي *

وقال كشاجم

* وعلي ان اسعي وليس على ادراك النجاح *

وقال آخر :

قد قضى ما عليه من بلغ الجهـ م ـد وان لم يصل الى ما أرادا

(المتكسب بسلاحه) دخل رجل على ابي دلف فاستماحه وانتسب له فقال له استميح وجدك القائل

ومن يفتقر منا يعش بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسألِ

فخرج الرجل وجرد سيفه فاستقبله وكيل لابي دلف معه مال فاستلبه وقتله فاتصل الخبر بأبي دلف فقال دعوه فاني علمته . وقال بعض الشجعان التطلل ضرر والاتكال غرر ولا يكسب الاموال الا منازلة الابطال ومصاولة الرجال وتجريد السيوف ومباشرة الحتوف . وقال الاعشى :

فتى لا يحب الزاد الا من التقى * ولا المال الا من قنا وسيوفِ

وقال ابن نباتة :

شرابهم في الحرب ما تمطر القنا * وا كلهم ما تجتنيه الصوارمُ

(النهي عن الاغترار بما في يد الغير) قال الشاعر :

وان حدثتك النفس انك قادر * على ما حوت أيدي الرجال فجربِ

وقال أبو العتاهية :

لا تغضبن على امرئ * لك مانع ما في يديه

واغلب على الطمع الذي اسـ م ـتدعاك تطلب ما لديه

(تفضيل الحاضر على المنتظر) في المثل عش ولا تغتر . وقيل لقمة في فمك احضر منفعة من فخذ في تنور . ومعاطاة الموجود خير من انتظار المفقود

(الحث على حفظ المكتسب) قال سقراط لتكن عنايتك بحفظ ما اكتسبته كعنايتك باكتسابه . وقال الشاعر :

لحفظ المال خير من ضياع * وطوف في البلاد بغير زادِ

وقيل حفظ الموجود ايسر من طلب المفقود . واحذر نفاد النعم فما كل شارد مردود

(حفظ المال لنوب الايام) قال محمد بن غالب :

انما الدنيا ضباب قذى * تكف الاحزان عن مطره
فاتخذ للدهر في يسر * عدة تبقى على عسره

وقال البديهي :

عز القناعة بالموجود يمنع من * ذل القنوع وحفظ العرض مغتنمُ

(حسن التدبير والنهي عن التبذير) قيل حسن التدبير نصف الكسب وسوء التدبير داعية البؤس . الافلاس سوء التدبير . كن مقدرًا لامقترًا . قال الله تعالى « ولا تبذر تبذيرًا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين » وقيل التبذير انفاق المال في غير الحق . وسئل سعيد بن جبير عن التبذير . فقال هو ان تنفق الطيب في الخبيث . وقال النبي « صلعم » انهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال . وقال ليس في السرف شرف . وقال معاوية ما رأيت تبذيرًا الا والى جنبه حق مضيع . وقال أبو بكر اني لابغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد . وقيل ماوقع تبذير في كثير الاهدمه ولا دخل تدبير في قليل الا ثمره . وقيل انك ان اعطيت مالك في غير الحق يوشك ان يجيء الحق وليس عندك ماتعطي منه

(حفظ المال والاستغناء به عن الانذال) كان لسفيان بن عيينة صرة دنانير يحفظها فقيل له اتحفظ ذلك وأنت موصوف بالزهد . فقال لئلا اكون مناديل الغمر من الرجال . وقيل لافلاطون لم تدخر المال وأنت شيخ . فقال لان يموت الانسان ويخلف مالاً لعدوه خير من ان يحتاج الى أصدقائه في حياته . وقيل خلف للاعداء ولا تحتج الى الاصدقاء . وقيل لحكيم لم حفظت الفلاسفة ما في أيديهم فقال لئلا يقيموا أنفسهم المقام الذي لا يستحقونه فقد علموا ان

لا اتكال على ما في يد الغير

روي في الخبر ان كعب بن مالك أراد ان يتصدق بماله كله فنهاه النبي « صلعم » وقال له امسك عليك مالك فانك ان تدع ورثتك أغنياء خيرٌ من ان تدعهم عالة يتكففون الناس . وقال ابن عباس : حث النبي « صلعم » ذات يوم على الصدقة . فجاء أبو بكر بماله كله فقال له النبي « صلعم » ما أعددت لعيالك فقال : الله ورسوله . وجاء عمر بنصف ماله فقال له ما أعددت لعيالك فقال: الله ورسوله ونصف مالي . فقال بين الرجلين ما بين الكلمتين . وقيل المأمون لا شرف في السرف . فقال لا سرف في الشرف

(الانفاق على الاهل) قال النبي « صلعم » نفقة الرجل على أهله صدقة . وقال خيركم خيركم لاهله . وقال ابدأ بمن تعول ولا تعجز عن نفسك . وكان أيوب يقول لاصحابه تعاهدوا أولادكم واهليكم بالبر والمعروف ولا تدعوهم يطمحوا بأبصارهم الى ما في أيدي الناس . وقال زيد بن علي : ثلاث لا يسئل الانسان عنها : ما ينفقه في مرضه وما ينفقه في افطاره وما ينفقه على ضيفه

(النهي عن امساك المال) قال النبي « صلعم » ينادي منادٍ كل ليلة فيقول اللهم اجعل لمنفق خلفاً ولممسك تلفا . وقال شاعر :

وان أشد الناس في الحشر حسرةً * لمورث مال غيره وهو كاسبه

(الانفاق وقت السعة واظهار أثر النعمة) بعث عمر الى أبي عبيدة بن الجراح وهو أمير الشام مالاً وقال للرسول انظر ما يصنع . فرآه يوسع على عياله ثم نقص من ارزاقه فقتر عليهم فقال عمر : رحم الله أبا عبيدة وسعنا عليه فوسع وقترنا عليه فقتر . وسئل الحسن عن رجل آتاه الله مالاً فأنفق على أهله ما لو انفق دونه لكفى . فقال وسع على نفسك وعلى عيالك كما وسع الله عليك فان الله قد أدب عباده أحسن تأديب . فقال لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وما عذب الله قوماً وسع عليهم فشكروه ولا غفر لقوم ضيق عليهم فكفروه . وقال النبي « صلعم » من آتاه الله خيرا فليرَ اثرهُ عليه

(ذهاب المال الحرام في الاباطيل) قال الحسن اذا أردت ان تعلم من أين اصاب الرجل المال فانظر في أي شيء ينفقه ان الخبيث ينفق في اسراف . وقيل من درى من أين اخذ درى اين انفق

القسم الخامس

« في مدح الغنى وذم الفقر »

(منفعة المال دينًا ودنيا) كان النبي « صلعم » يقول اللهم اني أسألك الهدى والتقى والعفة والغنى . وقال نعم العون على تقوى الله المال . ونظر اعرابي الى دينار فقال ما أصغر مرآك واكثر منافعك . وقال أحمد بن أبي طاهر :

ولا يساوي درهمًا واحدًا * من ليس في منزله درهمُ

(محبة الناس للمال) قال عمرو بن العاص لمعاوية ما أشد حبك للمال . قال ولِمَ لا أحبه وأنا أتعبد به مثلك وابتاع به مروءتك ودينك . وقال بعض الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو عندي كاذب حتى يثبت صدقه واذا ثبت صدقه فهو عندي أحمق . وقيل لابن زياد لِمَ تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا فقال هي وان أدنتني منها فقد أغنتني عنها . وقيل تقليب الدرهم يوقف الشيب ويزيل الهم والتعب

(تشاحح الناس بالمال) قال يونس لو ان الدنيا مملوءة دراهم وعلى كل درهم مكتوب « من أخذه دخل النار » لامست وما على ظهرها درهم يوجد أجحفت بكفافه ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غني

(وصف درهم أو دينار ثقيل الوزن) كان المتوكل قد ضرب دراهم وزن كل واحد عشرة وعلى جانب منه مكتوب :

امازحها فتغضب ثم ترضي * وكل فعالها حسن جميلُ

وعلى الآخر :

فان غضبت فاحسن ذي دلال * وان رضيت فليس لها عديلُ

وأمر الصاحب ان يضرب دينار من الف مثقال واهداه الى فخر الدولة وكتب عليه :

واحمر يحكي الشمس شكلاً وصورةً * وأوصافه مشتقة من صفاتهِ

فان قيل دينار فقد ذكر اسمه * وان قيل الف كان بعض سماتهِ

بديع فلم يطبع على الدهر مثله * وان ضربت اضرابه ببراتهِ

لقد أبرزته دولة فلكية * أقام بها الافلاك صدر قناتهِ

وصار الى شاهان شاه انتسابه * على انه مستصغر لعفاتهِ

تأنق فيه عبده وابن عبده * وغرس أياديه وكاسي في كفاتهِ

(وصفهما اذا كانا خفيفين) كان المتوكل قد أمر ان يضرب له الف الف درهم في كل درهم قيراط لينثره مكان الورد وأمر بأن تصبغ صفراً وحمراً وخضراً وكان الدرهم يبقى في الهوى بقاء الورد . وقال العباس في وصف دينارين خفيفين

جاد بدينارين لي جعفر * أصلحه الله وأخذاهما

وكاد لا كانا ولا أفلحا * عليهما يرجح ظلاهما

وقال ابن الرومي في دينار خفيف

كانه في الكف من خفة * مقداره من صفرة الشمسِ

وقيل لرجل ما أولاك فلان فقال درهماً كأنما عناه الشاعر بقوله :

مرّ بنا والعيون ترمقه * تجرح منه مواضع القبلِ

(من سوده ماله) قيل المال يسود غير السيد ويقوي غير الايد .

وقال شاعر :

الفقر يزري بأقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المـــالُ

وقال عمارة :

حياك من لم تكن ترجو تحيته * لولا الدراهم ماحياك انسانُ

(تعظيم الناس لذي المال) قيل للحسن مابال الناس يكرمون أرباب المال . فقال لان عشيقتهم عندهم . ومرّ موسر بالشعبي فتزعزع له فقيل له في ذلك فقال رأيت ذا المال مهيباً . وعوتب ابن أبي ليلى لتخفره لغني مرّ به . فقال ان تعظيم ذوي المال شيء جعله الله في القلوب لا يستطاع دفعه

(مصادقة الناس للاغنياء ومعاداتهم للفقراء) قيل لبعض العقلاء كم لك من صديق فقال لا أعلم ذلك لان الدنيا مقبلة عليّ والاموال موجودة عندي وانما أعرف ذلك اذا ولت الم تسمع قول طريح :

الناس أعداء لكل مدقع * صفر اليدين واخوة للمكثرِ

ولما استوزر علي بن عيسى ورأى اجتماع الناس عليه تمثل بقول أبي العتاهية :

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكيف ما انقلبت يوماً به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فان وثبت * يوماً عليه بمـــا لا يشتهي وثبوا

وقال شاعر :

اذا مالت الدنيا على المرء رغبت * اليه ومال الناس حيث يميلُ

وقيل اذا أيسرتَ فكل رحل رحلك واذا افتقرت أنكرك أهلك . وقيل العسرة والعشرة لا يجتمعان

(زيارة الناس لذي المال) قال بشار :

يزدحم الناس على بابه * والمنهل العذب كثير الزحامْ

وقال آخر :

* ان الغنى يهدي لك الزوارا *

(الفقر مجمع العيوب) قيل الفقر مجمع العيوب . وقال بعضهم وجدت خير الدنيا والآخرة في شيئين وشرهما في شيئين خيرهما الغنى والتقى وشرهما الفقر والفجور . قيل ما روي أجود من قول عروة في ذم الفقر :

ذريني للغنى أسعى فاني * رأيت الناس شرهم الفقيرُ

وما من خصلة تكون للغني مدحاً الا وتكون للفقير ذماً اذا كان حليماً قيل هو بليد واذا كان شجاعاً قيل هو أهوج واذا كان لسناً قيل مهذار

(خفة الموت في جنب الفقر) قيل القبر ولا الفقر . وقال الشاعر

خير حال الفقير عند ذوي م الالباب ان تنطوي عليه القبورُ

وقال ابن طباطبا :

قد يصبر الحر على السيف * ويجزع الحر من الحيفِ

ويؤثر الموت على حالة * يعجز فيها عن قرى الضيف

(التعوذ من الفقر وكونه كالكفر) دعا رجل لمسروق فقال جنبك الله الفقر وطول الامل . وقال سفيان كان من دعائهم « اللهم زهدنا في الدنيا ووسعها علينا ولا تزوها عنا وترغبنا فيها » . وقالت المجوس من لامال له لاعقل له ومن لاعقل له فلا دنيا له ولادين

(عدم المجد حيث عدم المال) كان طلحة يقول اللهم ارزقني مجداً ومالاً فلا يصلح المجد الا بالمال ولايصلح المال الا بالافعال . وقال المتنبي وقد أخذ هذا المعنى :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجدهُ

(صعوبة الفقر على ذي همة وجود) قيل لحكيم من أشقى الناس فقال من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته . وقال اعرابي لا تنظر الى هيئتي وانظر الى همتي . وقال الطرماح :

أرى نفسي تتوق الى أمور * ويقصر دون مبلغهن مالي
فنفسي لا تطاوعني لبخل * وما لي لا يبلغني فعالي

وقال المتنبي :

الى الله اشكو لا الى الناس انني * أرى صالح الاخلاق لا استطيعها
أرى خلة في اخوة وقرابة * وذي رحم ما كنت ممن يضيعها

وقال آخر :

أرى الدهر يجفوني ونفسي عزيزة * وليس معي زهد فاسطو على الدهرِ

(صعوبة الفقر على متعودي اليسر) قال النبي « صلعم » ارحموا ثلاثة : عزيز قوم ذل وغنيّ قوم افتقر وعالماً بين جهال . وقيل جهد البلاء ان تزول النعمة وتبقى العالة ثم لا تعدم صديقاً مؤنباً وعدوا شامتاً وزوجة مختلفة وجارية مستبيعة وعبدًا يحقرك وولدًا ينتهرك . وأتى عبد الله بن معاوية بأسير فقال هذا هو جهد البلاء فقال الاسير كلا جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع

(صعوبة مقاسات الجوع) قتل رجل بصفين أبا امرأة وابنها وأخاها وعمها وعشرين من أهل بيتها ثم أتت تسأله فقال ما اظن على ظهر الارض أبغض اليك مني . فقالت بلى ان الذي الجأني اليك أبغض الي منك وهو الجوع . وأخذ رجل بلجام عبد الملك فقيل له ما جرأك فقال الجوع شجاع . وقيل الجائع فقير ضيق النفس والشبعان واسع الصدر غني النفس

(ستر الحال في العسر واليسر) قال عبد الملك للهيثم بن الاسود كم مالك فلم يخبره به . فقيل له في ذلك فقال صاحب المال باحدى منزلتين ان كان كثيرًا حسد وان كان قليلاً حقر . وقيل رضي بالذل من كشف ضره وبالحسد من كشف يسره

(نادرة شاكي الفقر) سمع صبي فقير امرأة في جنازة تقول : يذهبون بك الى بيت ليس له غطاء ولا وطاء ولا عشاء ولا غداء ولا سراج . فقال الصبي يا أبتِ

انهم يذهبون به الى بيتنا

(متعذر لفقره بأن الجود فرق ماله) قال دعبل :

قالت سلامة أين المال قلت لها * المال ويحك لاقى الحمد فاصطحبا

الحمد فرق مالي في الحقوق فما * أبقين ذماً ولا ابقت له نشبا

وقال جحظة :

جاء الشتا وما عندي له ورق * مما وهبت ولا عندى له خلعُ

كانت فبددها جود ولعت به * وللمساكين أيضاً بالندى ولعُ

(تأسف من ضيع ماله ثم احتاج اليه) قال شاعر :

وكان المال يأتينا فكنا * نبذره وليس لنا عقولُ

فلما ان تولى المال عنا * عقلنا حين ليس لنا فضولُ

(تأسف من وجد خيراً لم ينتفع به) قال القالي . دخلت على الجاحظ في منصرفي من عند السلطان وقد حسنت حاله و .. تدت علته فسألته فقال كما اذا اردنا لم نجد حتى اذا وجدنا لم نرد

(البطر عند الغنى) قيل البطر يقتضي الفقر والنظر يقتضي العبر . وقيل اكثر شكر الله على نعمه فالبطر من قلة الشكر . وقال الشاعر :

خلقان لا أرضى طريقهما * خلق الغنى ومذلة الفقر

وقال ابن المقفع .

فاذا غنيت فلا تكن بطرا * واذا افتقرت فته على الدهرِ

وقيل لا يبطر العاقل لمنزلة أصابها كالجبل الذي لا تزلزله الرياح الشديدة والسخيف تبطره أدنى منزلة كالذي تحركه ادنى الرياح . وقيل حمل الغنى أشد من حمل الفقر ومؤنة الشكر أصعب من مشقة الصبر . وقال بعضهم فمن لا يبطر ولا يمكنه ستر غناه

تأبى الدراهم الا كشف ارؤسها * ان الغنيّ طويل الذيل مياسُ

وقال الزبير بن الاسدي :

ولا يراني على ماساء مكتئباً * ولا يراني على ما سر مبتهجا

(اجتناب عرض الدنيا) قيل العاقل من لا يجزع من قعود الدهر به علماً بأن مراتب الاقسام توضع على قدر الافهام . وقيل وكل الله الحرمان بالعقل ولرزق بالجهل ليعلم العبد ان ليس له من امر الرزق شيء . وقيل ابت الدنيا ان تعطي أحداً ما يستحقه اما مخلوط من درجته أو مرفوع فوق قدره . وقيل لافلاطون لمَ لا يجتمع العلم والمال فقال لعزة الكمال . وقال الشاعر :

ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

وقيل من اعطاه الله عقلاً احتسب عليه من الرزق . وقيل لو جعل الله المال للعقلاء مات الجهال فلما جعله في ايدي الجهال استقاهم العقلاء واستنزلوهم عنه بلطفهم

(علة ميل الدنيا الى الانذل) قال سعيد ابن المسيب : الدنيا نذلة تميل الى الانذال وقال حكيم اذا أردت ان ترهد في الدنيا فاعلم عند من هي . وقال النظام : مما يدل على لؤم الذهب والفضة كثرة كونهما عند اللئام . فالشيء يصير الى شكله . وقال ابن الرومي :

رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذي رتب شريفه

كمثل البحر يرسب فيه حي * ولا ينفك تطفو فيه جيفه

وكالميزان يخفض كل واف * ويرفع كل ذي زنة خفيفه

(معاتبة الدهر والقدر) قال جحظة البرمكي :

غلط الدهر بما أعطاكم * وفعال الدهر جهل وغلطْ

وقال الموسوي :

ومما يحلل ذم الزما * ن اقصاؤه الافضلين الخيارا

وما أحسن ما قال « ليس المقل على الزمان براضٍ »

وقال رجل لمنجم انظر في نجمي هل ترى لي غنى فقال دع عنك هذا فان الدهر مشغول بالسفل فلا يتفرغ الى احد . وقيل الدهر لا يعطي أحداً ما يستحقه اما ان يزيده او ينقصه

قال أبو العيناء لرجل سأله ما بال الركيك الاحمق يرزق والاديب يحرم . فقال لان هذه الدنيا دار اختبار وأحب الرازق ان يعلمهم ان الامور ليست لهم . وقيل لمدني شكا الفقر: احمد الله فانه رزقك التقوى والعافية فقال أجل لكن جعل بينهما جوعاً تتقلقل منه الاحشاء . وقال الشاعر :

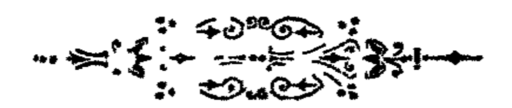
عجباً للناس في أرزاقهم * ذاك عطشان وهذا قد غرقْ

(سؤال الله تعالى الغنى بغلظة مقال) قال الاصمعي رأيت بالموقف اعرابياً قد رفع يده الى السماء وهو يقول

اما تستحي يا خالق الخلق كلهم * أناجيك عرياناً بنجوى كريم

أترزق أولاد اللئام كما ترى * وتترك شيخاً من سراة تميم

فقلت له ما هذه المناجاة . فقال اليك عني فاني اعرف من اناجيه ان الكريم اذا هز اهتز . فرأيته بعد أيام عليه ثياب حسنة . فقال لي الست ترى الكريم كيف اعتب



القسم السادس

« في الزهد ومدح الفقر وذم الغنى »

(حقيقة الزهد والحرص واليقين) قال النبي « صلعم » ليس الزهادة في الدنيا تحريم الحلال ولكن ان تكون بما في يد الله اوثق بما في يدك . سئل حكيم عن الزهد فقال ان لا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود . وقال سفيان هو قصر الامل لا أكل الغليظ ولبس العباء . وقال يونس بن حبيب هو ترك الراحة . وسئل الجنيد عنه فقال خلوّ الايدي من الاملاك وخلوّ القلب من التتبع . وسئل مرة فقال ترك ما في الدار على من في الدار . وذكر الزهد عند الفضيل فقال هو حرف فان في كتاب الله تعالى « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » . قيل لاحد من الزاهد فقال من لم يغلب الحرام صبره ولا الحلال شكره . وقال يحيى الزاهد هو الذي بلغ من حرصه في تركها حرص الحريص في طلبها . وقال ابراهيم ابن ادهم الزهد ثلاثة : زهد فرض وذلك في الحرام وزهد فضل وذلك في الحلال وزهد سلامة وذلك في الشهوات . وقيل أصل القناعة والزهد اليقين فمن أيقن قنع وزهد . وقال ذو النون الزهد الاستخفاف بثلاثة أشياء : بالنفس والشيء والخلق فاذا استخف بالنفس عزّ به واذا استخف بالشيء ملكه واذا استخف بالخلق خدموه . الحرص طلب ما في يد الغير

(حقيقة التوكل ووصفه) قيل التوكل هو الاعتماد على الحق والتخلي من الخلق . وقيل الاستسلام لما قُضي . قيل للحارث ما علامة المتوكل فقال ان لا يحركه ازعاج المستبطىء فيما ضمن له من رزقه . فقيل له هل ينقص من توكله قصده من يسد جوعته فقال لا لان النبي « صلعم » خرج فلقيه ابو بكر وعمر فقال ما الذي اخرجكما . قالا الجوع فقال اخرجني الذي أخرجكما . فدخلوا منزل ابي الهيثم فأكلوا وشربوا . وقيل التوكل الانقطاع الى الله تعالى في ايصال النعماء ودفع البلاء ثم تلا قوله تعالى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه »

(ذم المال) قال المسيح عليه السلام لا خير في المال . فقيل ولمَ يا روح الله فقال لانه يجتمع من غير حل . قيل فان جمع من حلال . قال لا يؤديه حقه . قيل فان أدى حقه . قال لا يسلم صاحبه من الكبر والخيلاء . قيل فان سلم . قال يشغل عن ذكر الله . قيل فان لم يشغل قال يطول عليه الحساب يوم القيامة . وذكر المال عند افلاطون فقال ما أصنع بما يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه الكرم . وقيل لآخر فقال ما أصنع بشيء يجيء بالاتفاق لا الاستحقاق والزهد والجود يأمران باتلافه والتلوّم والبخل يأمران بامساكه . قال النبي «صلعم» تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم . وقال ابو الدرداء اعوذ بالله من تفرقة القلب قيل وما تفرقة القلب . قال ان يكون للانسان مال في كل واد . وقال النبي « صلعم » من رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه باليسير من العمل

(كثرة المال سبب الهلاك) قال ابن طباطبا

ان في نيل المنى وشك الردى * وقياس القصد ضد السرفِ
كسراج دهنه قوت له * فاذا غرقته فيه طفي

وقال عبد الله بن رؤبة :

يرى راحة في كثرة المال ربه * وكثرة مال المرء للمرء متعبُ
اذا قل مال المرء قلت همومه * وتشعبه الاموال حين تشعبُ

(كون العدم نعمة وبسط الدنيا نقمة) قال الله تعالى « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض » وقال الحسن ما بسط الله على احد دنياه الا اغترارًا ولا طواها عنه الا اختبارًا . وقال بعضهم نعمة الله علينا فيما طواه عنا أعظم من نعمته علينا في ما بسطه لنا

(صنوف الفقر وما يحمد منه) قيل الفقر على ثلاثة أقسام فقر الخلق الى الله وعدم الاملاك لعرض الدنيا والحرص وهو فقر الناس الى الناس

(نفي العار بالفقر) كان النبي « صلعم » يقول اللهم احيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين . وقال العطوي

ما الفقر عار انما الـ عار الثرا والبخلُ

كان سقراط فقيراً فقال له بعض الملوك ما أفقرك . فقال لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجع لنفسك عن التوجع لي فالفقر ملك ليس عليه محاسبة . وقيل له لمَ لا يُرى أثر الحزن عليك فقال لاني لم اتخذ ما ان فقدته أحزنني . وقال بعض الحكماء من أحب ان تقل مصائبه فليقل قنيته للخارجات من يده لان أسباب الهم فوت المطلوب وفقد المحبوب ولا يسلم منهما انسان لان الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد . وبهذا الم‍ ابن الرومي فقال :

ومن سره ان لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدَا

وقال بعض الزهاد وقد قيل له أترضى من الدنيا بهذا فقال ألا أدلك على من رضي بدون هذا . قال نعم . قال من رضي بالدنيا بدلاً من الآخرة . وقيل لمحمد بن واسع أترضى بالدون فقال انما رضي بالدون من رضي بالدنيا وترك الآخرة

(طيب عيش من قنع بما رُزق) قيل لبزرجمهر أي الناس اقل هماً . فقال ليس في الدنيا الا مهموم ولكن أقلهم هماً أفضلهم رضا واقنعهم بما قسم . وقيل لبعضهم من أنعم الناس عيشاً فقال من رضي بحاله ما كانت . وقيل من رضي بما قسم له كان دهره مسروراً . وقيل لابن عوف ماتتمنى قال استحي ان أتمنى على الله ما ضمنه لي . وقال النقاد :

دنيا تخادعني كأني لست أعرف حالها

حظر الاله حرامها * وأنا احتميت حلالها

ووجدتها محتاجة * فوهبت لذتها لها

(كون الدنيا عبداً لمن زهد فيها) قال زاهد الملك أنت عبد عبدي لانك تعبد الدنيا لرغبتك فيها وأنا مولاها لرغبتي عنها وزهدي فيها . وقيل من زهد في

الدنيا ملكها ومن حرص عليها أملكها . وقال الحسن أهينوا الدنيا فوالله لاهنأ ما تكون حين تهان . وقال أبو العتاهية :

أرى الدنيا لمن هي في يديه * عذاباً كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لهـا بصغر * وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شيء فدعه * وخذ ما أنت محتاج اليه

(التوكل في أمر الرزق وترك الحرص) سئل بزرجمهر عن الرزق فقال ان كان قد قسم فلا تعجل وان كان لم يقسم فلا تتعب . وقال النبي « صلعم » لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير . وقيل للحارث كيف قال ذلك والطير تغدو في طلب الرزق وتروح . فقال مهلاً ان الطير يأخذ في الحوصلة وأنت لا تقنع بذلك . وقال سهل بن وهبان لاتكونوا لمضمون مهتمين . وقال اعرابي لآخر رآه حريصاً يا أخي أنت طالب ومطلوب يطلبك طالب ولن تفوته وتطلب ما كفيته كأنك لم تر حريصاً محروماً ولا زاهداً مرزوقاً وقال آخر انك لا تدرك أملك ولا تسبق أجلك ولا تغلب على رزقك ولا تعطي حظ غيرك فعلامَ تهلك نفسك لكل صباح صبوح ولكل عشاء عشاء

(التفكر في أمر الارزاق) قيل لصوفي من أين رزقك قال الذي خلق الرحى يأتيها بالطحين . وقيل لزاهد من أين المطعم فقال من عند المنعم . فقال هل بالقرب من يأتيك برزق من قوم . قال يأتيني به من لا تأخذه سنة ولا نوم . وسئل آخر فقال :

ان الذي شق فمي ضامن * لي الرزق حتى يتوفاني

وسئل أحمد بن الجلاء عن قوم يدخلون البادية بلا زاد . قال هم رجال الحق . قيل فان هلك أحدهم قال الدية على العاقلة . وقال عبد الواحد بن زيد: اجتزت بجبل لكام فرأيت جارية سوداء عليها جبة صوف فقلت من أين . قالت من عند من لا تخفى عليه خافية . فقلت الى أين قالت الى من يعلم السر وأخفى .

فقلت ليس معك زاد . فنظرت الي شزرًا وقالت :

من قصد الله لايبالي * بأي أرض بها يموت
ولم يخامره فسخ عزم * ان هو ابطا عليه قوت

(تبكيت من يشفق لفقد القوت) شكا رجل الى الحسن سوء الحال وجعل يبكي . فقال الحسن ياهذا كل هذا اهتماماً بأمر الدنيا والله لو كانت الدنيا كلها لعبد فسلبها مارأيتها اهلاً لان يبكى عليها

(ذم المشتغل برزق مستقبل الزمان) قال أمير المؤمنين لاتجعل هم يومك لغدك فان غدك ان كان من أجلك يأتي الله برزقك . وقيل اذا طالبتك نفسك برزق غد فقل هاتي كفيلاً بالغد . وقال الشاعر :

ان ربا كان يكفيك الذي * كان بالامس سيكفيك غدك

وقال آخر :

من كان لم يعط علماً في بقاء غد * ماذا تفكره في رزق بعد غد

(النهي عن النظر الى من هو فوقه) روي في الخبر : انظر الى من هو دونك ولا تنظر الى من هو فوقك فانه أجدر ان لا تزدري بنعمة الله . وقال الضحاك : خصلة من وفق لها وفق لحظه : من نظر في دنياه الى من هو دونه فاستكثر قليل ماله

(نهي ذي عيال عن الاهتمام برزقهم) شكا رجل الى الشبلي عياله . فقال له ارجع الى بيتك ومن لم يكن منهم رزقه على الله فاخرجه من دارك . وقيل لرجل كان كثير الحاشية لو أخرجت بعضهم لكان يكثر مالك . فهمّ بذلك فرأى ليلةً في المنام كأن العيال الذين همّ باخراجهم يدخلون بيته ويخرجون دقيقاً يحملونه فسألهم عن حمل ذلك فقالوا هذا رزقنا نخرجه من دارك الى من يتكفل بنا فانتبه وعلم خطأ عزمه فأعادهم وزاد لكل منهم

(مدح من لا يدخر) أتي عمر بمال فقال له عبد الرحمن بن عوف لوحبست

من هذا المال في بيت المال شيئاً لنائبة . فقال كلمة ماعرض بها الا شيطان لقنني الله حجتها ووقاني فتنتها أأعصى الله العام مخافة القابل اعدّ لهم تقوى الله تعالى . وقال النابغة :

ولست بخابئٍ لغدٍ طعاماً * حذار غد لكل غد طعامُ

(من لاعيال له) قيل لاتهمنك المعيشة ما كنت وحدك فان المرء يعيش بالبقلة كما يعيش بالكسرة . وقيل قلة العيال احد اليسارين . وقال ابن عبد القدوس :

الله احمد شاكرا * فبلاؤه حسن جميلْ
أصبحت مستورا معافى * م بين انعمه اجولْ
خلواً من الاحزان خف الظهر يقنعني القليلْ
حرًّا فلا منٌّ لمخلوق علي ولا سبيلْ
ونفيت باليأس المنى * عني فطاب لي المقيلُ

(طيب عيش من عنده قوت يومه) قال سفيان من كان عنده قوت يومه فليس بفقير . وقيل من أعطي القوت فطلب مالا كمن أعطي السلامة فطلب الماء فان المال الم . وقال أبو العتاهية :

اذا القوت تأتى لك والصحة والامنُ
واصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزنُ

(ذم النفس لخوف الفقر والطمع) قيل أهلك الناس حب الفخر وخوف الفقر . وقال أبو العتاهية :

رأيت النفس تحقر ما لديها * وتطلب كل ممتنع عليها
فان طاوعت حرصك كنت عبداً * لكل دنيئة تدعو اليها

(راحة القنع وعزته) قال النبي « صلعم » الزهد في الدنيا يريح البدن

والرغبة فيها تكثر الهم والحزن . وقيل لمحمد بن واسع اوصني فقال كن ملكاً في الدنيا ملكاً الآخرة . فقال وكيف لي هذا قال ازهد في الدنيا واقنع . وقال محمد بن الحنفية ما كرمتْ على احد نفسه الا هانت عليه دنياه . من حصن شهوته صان قدره . قال وهب خرج العز والغنى يجولان فلقيا القناعة فاستقرا . وقال الشاعر :

بلوغ المنى ان لا تكاثر بالمنى * ونيل الغنى ان لا تنافس في الغنى
ومن كان للدنيا أشد تصورًا * تجـده عن الدنيا أشد تصونا

قيل ثمرة القناعة الراحة وثمرة التواضع المحبة . وقال ابن نباتة :

وان المرء ما استغنى غنيٌّ * وحاجته الى الشيء افتقاره

(غم الحريص وتعبه) من لم يكن قنعاً لم يزل جزعاً . الرغبة مفتاح التعب وغاية النصب . وقيل جعل الله الخير في بيت وجعل مفتاحه الزهد وجعل الشر في بيت وجعل مفتـاحه حب الدنيا . وقال بزرجمهر الغنى قلة التمني والرضا بما يكفي . غم الدنيا الحرص عما لعلك لا تناله . اياك والحرص فانه يورد المشارب الكدرة و يسف للمطاعم القذرة . وقال عمر ما كانت الدنيا هم أحد الا لزم قلبه أربع : فقر لا يُدرك غناه وهم لا ينقضي مداه وشغل لا تنفد أولاه وأمل لا يدرك منتهاه . . اجتاز عبدالله الصفار بسجن فقال لصاحب له : بمَ حبس من في السجن فقال لا أدري فقال غطى النعيم على قلبك في شيئين التشفي والنسره

(ذم الحرص وعزة القنع) قال النبي « صلعم » حب الدنيا رأس كل خطيئة ومن خطبها تأهب للذل . من قل قنوعه كثر خضوعه . الحر عبد اذا طمع والعبد حر اذا قنع . لقي صاحب سلطان فيلسوفاً يلتقط الحشيش و يأكله فقال له لو خدمت الملوك لم تحتج الى اكل الحشيش فقال وأنت لو أكلت الحشيش لم تحتج الى خدمة الملوك . وقيل يا عجباً من مسكين بقناعته سري ومن غني بحرصه دنيء . قال عبد الصمد لابي تمام :

لست تنفك طالباً لوصالِ * من حبيب او راغباً في نوالِ
أي أخي ما لحر وجهك يبقى * بين ذل الهوى وذل السؤالِ

وقال آخر: * اذل الحرص أعناق الرجال *

(طالب الدنيا متحمل للذل) قال علي بن الحسين انما الدنيا جيفة حولها كلاب فمن أحبها فليصبر على معاشرة الكلاب

وقيل: انما الدنيا ومن يصبو من الناس اليها
جيفة بين كلاب * قاتلوا حرصاً عليها

(الحرص وأحواله) الحرص فقر واليأس غنى

وقال الشاعر * قد يكثر المال والانسان مفتقرُ *

وحمل رجل الى ابراهيم بن أدهم شيئاً فقال: الك مال قال نعم قال أتحب اكثر منه قال شديداً قال انك فقير وأنا لا أقبل الصلة الا من غنى. وقيل الحرص رأس كل خطيئة. والحريص يشغله طلب ما أمل عن التمتع بما خول. ومن هذا أخذ كشاجم قوله:

ومستزيد في طلاب الغنى * يجمع لحماً ماله طابخُ
ضيع أموالاً بما يرتجي * والنار قد يطفئها النافخُ

قيل اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع. وقيل الحرص والطمع الهان معبودان

(عود حريص على نفسه باللائمة) قال الشاعر:

تسعى وأيسر هذا السعي يكفينا * لولا تطالبنا ما ليس يعنينا

وقال أبو العتاهية:

اطمت مطامعي فاستعبدتني * ولو اني قنعت لكنت حرّا

وقال سابق البربري :

النفس تكلف بالدنيا وقد علمت * ان السلامة منها ترك ما فيها

وأنشد عبد الله الخازن لنفسه :

يا نفس يا نفس ثقي * بالله رباً واثقي
لا تحسبي انك ان * لم تدعي لم تُرزقي
واقتصدي واقتصري * فما أقل ما بقي

(نهي المرء عن جمع ما عساه لا ينفعه) قيل لبخيل : لمَ تحبس المال وتقاسي الشدة . فقال خشية الفقر . فقيل قد نزل بك الفقر بتضييقك على نفسك . وقال العطوي :

جمعتَ مالاً ففكر هل جمعت له * يا جامع المال اياماً تفرقهُ

وقال أبو العتاهية :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقعُ

(التزهيد في الادخار للوارث) قال الحسن بن علي : يا بني لا تخلف وراءك شيئاً من الدنيا فانك تخلفه على رجلين رجل عمل بطاعة الله تعالى فسعد بما شقيت به ورجل عمل بمعصيته فكنت عوناً له على ذلك وليس أحد بحقيق على ان تؤثره على نفسك اغبن الغبن كدك فيما نفعه لغيرك . وقال أبي لاخيه وكان مثرياً بخيلاً يا أخي ان مالك ان لم يكن لك كنت له فلا تبقِ عليه فانه لا يبقي عليك وكله قبل ان يأكلك . قال الخليل لمُ يرَ الرجل يجمع المال الا لثلاثة انفس وهم أبغض خلق الله اليه : لزوج امرأته وامرأة ابنه وزوج ابنته . وقيل المأكول للبدن والموهوب للشكر والمدخر والمحفوظ للعدو . وقيل لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه ويوم حشره ميزانه . وقال جعفر بن يحيى : شر مالك ما لزمك مكسبه وحُرمت اجراء انفاقه . وقال أبو الشيص :

يقول الفتى ثمرت مالي وانما * لوارثه ما ثمر المال كاسبه

يحاسب فيه نفسه بحياته * ويتركه نهباً لمن لا يحاسبه

وقال آخر :

هالوا عليه الترب ثم انثنوا * عنه وخلوه وأعماله

لم ينقضي النوح من داره * عليه حتى اقتسموا ماله

وقال ابو العتاهية :

ومن الحزم ان أكون لنفسي * قبل موتي فيما ملكت وصياً

كان هشام بن عبدالملك قد حبس عياض بن مسلم كاتب الوليد بن يزيد وضربه والبسه المسوح فلم يزل محبوساً مدة ولاية هشام فلما ثقل هشام وصار في حد من لا يرجى أرسل عياض الى الخزان ان احفظوا ما في ايديكم فافاق هشام وطلب شيئاً فلم يؤتَ به فقال ترانا كنا خزاناً لغيرنا . فخرج عياض من الحبس فختم الباب وأمر بهشام فأنزل عن فراشه ومنع ان يكفن من الخزانة فاستعير قمقم أغلي الماء فيه له . فقال الناس ان في هذا لعبرةً لمن اعتبر . قال الموسوي :

وما جمعيَ الاموال الا غنيمة * لمن عاش بعدي واتهام لرازقي

وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء المالح كلما ازداد الانسان منه شرباً ازداد عطشاً . وقيل مريد الدنيا كشارب الخمر قليلها يدعو الى كثيرها . المستغني بالدنيا عن الدنيا كمطفئ النار بالتبن . قال النبي « صلعم » لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب . وقال أيضاً منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا . وقال بعضهم :

غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة * فان زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا

(في طول الامل) كم من مستقبل يوماً ليس بمستكمله ومنتظر غداً ليس من أجله ولو رأيتم الاجل ومروره لابغضتم الامل وغروره . وكان الحسن اذا نُعي له دنيوي يقول : شقي والله ما بقيت له الدنيا ولا بقي لها ولو ظهرت الآجال لافتضحت الآمال . من جرى في عنان أمله عثر لا شك في أجله

وقيل الآمال لا تنتهي والحي لا يكتفي . وقال الشاعر :

* المرء مادام حياً خادم الاملِ *

وفي الخبر : يهرم ابن آدم و يشب معه اثنان الحرص والامل . وقيل للمسيح عليه السلام ما بال المشايخ أحرص على الدنيا من الشبان فقال لانهم ذاقوا من طعم الدنيا مالم يذقه الشبان

(قلة وجود الزهد) سمع بعضهم رجلاً يقول أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة فقال اقلب كلامك وضع يدك على من شئت . وقال الشاعر :

* وقلما تجد الراضين بالقسمِ *

وقيل لم يقسم الله شيئاً بين العباد أقل من الزهد واليقين

(النفس والشهوة) قال ابن عباس : الهوى اله معبود والخائف من يخاف نفسه أكثر مما يخاف عدوه . وقال صوفي من توهم ان له عدوًّا أعدى من نفسه قل علمه بنفسه . وقال يحيى بن معاذ : من سعادة المرء ان يكون خصمه عاقلاً وخصمي لاعقل له . فقيل له ومن خصمك . فقال نفسي فأي عقل لها وهي تبيع الخلود في الجنة بشهوة ساعة . وقيل من سامح نفسه فيما تحب أتعب جوارحه وفقد من الراحة حظه . من كثرت شهوته دامت هفوته . وقال الشاعر :

ولم تتغالب شهوة ومروءة * فيفترقا الا وللشهوة الغلبُ

وقال آخر :

شهوات الانسان تكسبه الذل * وتلقيه في البلاء الطويلِ

قال ابن المقفع أعظم الجهاد جهاد المرء نفسه لقول الله تعالى « ان النفس لامارة بالسوء » وقال عمر جاهدوا أنفسكم كما تجاهدون اعداءكم . وقال الجنيد لاتسكن الى نفسك وان دامت طاعتها فان لها خدائع ومتى سكنتَ اليها فأنت مخدوع . وسئل أنو شروان أي الاشياء أحق بالاتقاء قال أعظمها مضرةً . قال فان جهل قدر المضرة . قال اعظمها من الهوى نصيباً فالهوى للنفس البهيمية

والرأي للنفس الانسانية . قال بعض الحكماء قبيح للرجل ان يركب الفرس فيكون الفرس هو الذي يدبر الفارس وأقبح من ذلك ان تكون هذه النفس التي ابتسناها هي التي تدبرنا لانحن ندبرها . قال شاعر :

اذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى * الى بعض ما فيه عليك مقالُ

وقال آخر :

اذا المرء لم يترك طعاماً يحبه * ولم ينهِ قلباً غاوياً حيث يمما
قضى وطرًا منه وغادر سبةً * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

مدح الله رادع نفسه عن الشهوات فقال « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » وقال ملك لعابد مامنعك ان تخدمني وأنت عبدي فقال لو صدقت نفسك لعلمت انك عبد عبدي . فقال كيف . قال لاني ملكت الشهوة فهي عبدي وقد ملكتك فأنت عبدها . فقال صدقت

(مدح متظلف عن مال غيره متبرع بماله) وصف اعرابي رجلاً فقال هو بماله متبرع وعن مال غيره متورع . وقال ابراهيم بن العباس :

يعرف الابعد ان اثرى ولا * يعرف الادنى اذا ما افتقرا

قال ابن أبي ليلى لابن شبرمة : أما ترى هذا الحائك لايفتي في مسئلة الا خالفنا فيها « يعني أبا حنيفة » فقال ابن شبرمة لا أدري حياكته ولكني أعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها

(في الفقر) قيل أشد الاشياء مؤنة الفاقة وأشد من ذلك الاستكانة الى من لايجبرها . وقال أمير المؤمنين : رضي بالذل من كشف ضره . وقال حكيم استتر من الشامتين بحسن العزاء عند النوائب . وقال بزرجمهر : لم أرَ ظهيرًا على نقاب الدول كالصبر ولا مذلاً للحاسد كالتجمل . وسئل متى يفحش زوال النعمة فقال اذا زال معها حسن التجمل

وقال كثير :

اذا قرّ مالي راد عرضي كرامة * عليّ ولم اتبع دقق المطامع

أُصيب اعرابي بزرع لم يكن له غيره وكان بقفر خلاء فقال : يا رب اصنع ما شئت فرزقي عليك . ودخل على علي بن الجهم صديق له وقد أخذ كل ماله وهو يضحك فقال له في ذلك فقال لأن يزول مالي وأبقى أحب اليّ من أن ازول ويبقى مالي . وقال ابن أبي فنن :

ليس لي في العلا شريك ولا الفقر م ولي في الثراء الف شريك

(صابر على الجوع) قيل لبعضهم انك قد أطلت جوعك فكيف ترى ذلك . فقال نعم الغريم الجوع كلما اعطي شيئاً رضي . وقال الشاعر :

اذا مطعمي كان ذا غصة * غسلت يدي منه قبل اكتفائي

(فقير عرض عليه مال فتزهد فيه) لما رجع الرشيد عن الحج كان قد نذر ان يتصدق بألف دينار على أحق من يجده فدفع يوماً الف دينار الى بعض ثقاته وأمره ان يطلب فقيراً مستحقاً فيعطيه فأخذ يطوف في الاسواق فاذا رأى فقيراً مستحقاً للاعطاء قال لعلي اجد أفقر منه فانتهى بالعشية الى عريان محلوق الرأس في خربة فقال في نفسه لا أجد أفقر من هذا فقال يا فتى خذ هذا المال واستغن به . فقال لا حاجة لي فيه . قال أحب ان تأخذه . قال ان كان ولا بد فثمّ حجام حلق رأسي ولم يكن معي شيء فادفعه اليه . قال فقصدت الحجام فامتنع من أخذه . فقلت هو الف دينار فقال ما حلقت رأسه الا للثواب فلا آخذ عليه أجرة . قال فعدت وما وجدت أكرم منهما وأهون مني . فأخبرت الرشيد بامرهما فبعثني في طلبهما . فكأن الارض ابتلعتهما ولم اظفر بهما . ولما حج الرشيد دخل على الفضيل فوعظه بما وعظه وأراد الخروج فقال يا فضيل هل عليك دين فقال نعم دين ربي لو يحاسبني عليه فالويل لي ان ساءلني عليه والويل لي ان ناقشني . فقال الرشيد اني أسألك عن دين العباد . فقال عندنا بحمد الله خير

كثير لا نحتاج معه الى ما في ايدي الناس . قال هذه الف دينار فاستعن بها . فقال يا حسن الوجه أدلك على النجاة وتكافئني بالهلاك اسأل الله التوفيق . فلما خرج عاتبته بنيته فقالت لو أخذتها فاستعنا بها . فقال ان مثلي ومثلكم مثل قوم كان لهم بعير يكدونه ويأكلون من كدبه فلما كبر وسقط عن العمل نحروه فأكلوه . ومر الاسكندر ببلد كان ملكه سبعة ملوك من صلب واحد ففنوا فقال لاهله هل بقي من نسل الاملاك السبعة أحد . قالوا نعم رجل يكون في المقابر . فقصده وقال ما دعاك الى ملازمة المقابر . فقال أردت ان اعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم فوجدت عظامهم سواء . قال فهل لك ان نتبعني فاحيي لك شرف آبائك ان كان لك همة . قال ان همتي عظيمة ان كانت بغيتي عندك قال وما بغيتك . قال حياة لا موت فيها وشباب لا هرم معه وغنى لا فقر بعده وسرور لا يغيره مكروه . فقال لا أقدر على ذلك . فقال امض لشأنك ودعني أطلب بغيتي ممن عنده ذلك . قال الاسكندر هذا أحكم من رأيت . ووقف اعرابي على محمد بن معمر وكان محمد جواداً فسأله فخلع خاتمه ودفعه اليه . فلما ولى قال يا اعرابي لا تخدعن عن هذا الفص فان شراءه علي مائة دينار . فمضغ الاعرابي الخاتم وقلع فصه وقال دونكه . فالفضة تكفيني اياماً . فقال هذا والله أجود مني

(التحذير من مخالطة الاغنياء) قال النبي «صلعم» اياكم ومجالسة الاموات قالوا ومن الاموات . قال الاغنياء . وقال الثوري اياكم وجيران الاغنياء وقراء الاسواق وعلماء الامراء . وقال عمر لا تدخلوا بيوت الاغنياء فانها مسخطة للرزق . وقال سوار لاولاده لا تماشروا المياسير فانكم اذا رأيتم نعمهم تسخطتم ما قُسم لكم . وقيل لا تصحب غنياً فانك ان ساويته في الانفاق اضرّ بك وان تفضل عليك استذلك . ووقف بعض المجانين على قوم لهم بعض يسر فقال :

سلامة الدين والدنيا فراقكم * وحبكم آفة الدنيا مع الدين

وجاء أبو محمد السمرقندي الى الفضيل ومعه أولاد البرامكة وعليهم قمص لها

جربانات عراض فسألوه ان يحدثهم فامتنع فقام مغضباً . فقال الفضيل ردوه فردوه . فقال بلغنا ان عيسى عليه السلام قال تحببوا الى الله ببعض أهل المعاصي وتقربوا اليه بالتباعد عنهم والتمسوا رضاه بسخطهم . فقيل ياروح الله فمن نجالس قال من تذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه وترغبكم في الآخرة مجالسته قم فقد حدثتك

الحد التاسع

في البخل

القسم الاول

« في البخل بالاموال »

(حقيقة البخل) سئل الحسن عن البخل فقال هو ان يرى الرجل ما أنفقه سرفاً وما أمسكه شرفاً . وقال آخر البخل جلباب المسكنة

(ذم البخل وتعظيمه على كل الذنوب) قيل من بخل بمال في واجب ذهب ضعفه في باطل . وقيل السخي حر لانه يملك بماله والبخيل لا يستحق اسم الحرية لانه يملكه ماله . وقال بشر بن مروان لو ان اهل البخل لم ينلهم من بخلهم الا سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان عجيباً . وقيل أعجب ما في البخيل انه يعيش عيش الفقراء ويحاسب حساب الاغنياء .

(كثرة البخل وقلة الجود في الناس) لما قال أبو العتاهية :

اطرح بطرفك حيث شئت م فلن ترى الا بخيلا

قيل له بخلت الناس كلهم فقال كذبوني بواحد . وقال كشاجم :

اجتنب الناس طريق الندى * كأنما قد أنبت العوسجا

(معاتبة من يرجو لئيماً) قيل من أمل فاجرًا فأدنى عقوبته ان يحرمه . وسأل اعرابي رجلاً فحرمه فقال له أخوه نزلت بوادٍ غير ممطور ورجل غير مسرور فارتحل بندم او اقم بعدم . ذم العباس بن الحسين بعض الوزراء فقال الذليل من اعتز بك والخائف من اعتزى اليك والفقير من املك . وقال رجل اني اقصد فلانًا راجياً نداه فقال له صاحبه :

ترجو الندى من اناء قلما ارتشحا * كالمستذيب لشحم الكلب من ذنبهْ

وقال بعضهم :

أمن دار الكلاب تروم عظماً * لقد حدثت نفسك بالمحالِ

وقال ابو تمام :

وما لي من ذنب الى الرزق خلته * سوى أملي اياكم للمظالمِ

وقيل نحوه :

سجدنا للقرود رجاء دنيا * حوتها دوننا أيدي القرودِ

فما بلت أناملنا بشيء * علمناه سوى ذل السجودِ

(من لا ينال خيره ولا يرجى فضله) قال الصاحب بن زوارة في أخيه صاعد : هو والله ليس برطب فيعصر ولا بيابس فيكسر ماعنده خل ولا خمر سواء هو والعدم . وكان عبد الملك يقال له رشح الحجر لبخله . وشاتم اعرابي رجلاً فقال انكم لتقصرون العطاء وتعيرون النساء وتبيعون الماء ماعنده فائدة ولا عائدة ولا رأي جميل . ولا اكرام دخيل . وقالت امرأة لزوجها والله ما يقيم الفأر في دارك الاحب الوطن . وقال أبو هفان :

سواء اذا ما زرتهم في ملمة * ازرتهم ام زرتَ من في المقابرِ

وقيل لابي العيناء كيف وجدت فلاناً لما قصدته قال وجدته لايعود اليه حر . وقصد رجل سلطاناً فلما رجع قيل له ما ولاك فقال ولاني قفاه وأولاني منعه وحماني نفعه

(من تأبى نفسه السماحة) قال الشاعر :

يعالج نفساً بين جنبيه كزة * اذا هم بالمعروف قالت له مهلا

(المتلقي سائله بلفظ المنع) قال عمرو بن عبيد لرجل قد اكثرت من (لا) أيها الرجل أقل من (لا) فليس في الجنة (لا) . قال اعرابي وجدت فلاناً أخرس بنعم فصيحاً بلا

(بخيل متكبر) قال النبي « صلعم » خصلتان لايجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق . وقال بعضهم من لم يأتِ الخير صغيراً لم يأته كبيراً اما سمعت قول الشاعر :

اذا المرء أعيته المروءة ناشئاً * فمطلبها كهلاً عليه شديدٌ

(بخيل متشبه بالاسخياء) كان لبعض الموسرين اخ لايواسيه فقيل له لو واسيت أخاك كان اشبه بك من هذا البخل الذي استشعرته فقال والله ما أنا ببخيل لو ملكت الف الف لوهبت له الساعة خمسمائة درهم ثم التفت الى القوم فقال ياقوم رجل يهب لاخيه في مجلس واحد خمسمائة درهم يقال له بخيل . قالوا لا والله انت اجود من يمشي على قدم . وقيل للماجشون كيف رأيت أهل العراق فقال :

ماشئت من رجل بخيلْ * يأوي الى عرض دخيلْ

يأتي الجميــل بقوله * وفعاله غــير الجميــلْ

(المتعجب من بخيل سمح وقتاً بطفيف) قال الشاعر يصف بخيلاً :

تعجبت لما ابتدا بالجميلْ * وما كان يعرف فعل الجميلْ

فاطلع لي كوكبًا كالسهي * قليل الضياء سريع الافولْ
وما كان اعطاؤه سؤددًا * ولكنها غلطة من بخيلْ

(رد عطية خسيسة) قصد اعرابي أبا الغمر فسأله فاعطاهُ درهمين فردهما اليه ثم قال :

رددت لبحرٍ درهميه ولم يكن * ليدفع عني فاقتي درهما عمروِ
فقلت لبحرٍ خذهما واصطرفهما * وانفقهما في غير حمدٍ ولا أجرِ
أتمنع سؤال العشيرة بعدما * تسميت بحرًا واكتنيت أبا الغمرِ

وكان ربيعة قد مدح العباس بن محمد بقوله :

لو قيل للعباس « يا ابن محمد * قل لا وأنت مخلد » ماقالها

فأعطاه بعد مطل كثير دينارين فوهب ربيعة ذلك لصاحب دواته وقال خذ هذه الرقعة وأوصلها وكتب فيها :

مدحتك مدحة السيف المحلى * لتجري في الكلام كما جريتُ
فهبها مدحة ذهبت ضياعًا * كذبت عليك فيها وافتريتُ

(وصف غني لا يعطي ولا ينفق) قيل فلان سمين المال مهزول النوال . وقيل لجعفر بن محمد ان منصور لا يلبس منذ صارت الخلافة اليه الا الخشن ولا يأكل الا الخشن فقال ويحه مع مايكون له من السلطان — وجبي له من الاموال قالوا انما يفعل ذلك بخلاً فرفع يده الى السماء فقال الحمد لله الذي حرمه من دنياه ماترك من أجله دينه . وقيل انه كان أعد اثني عشر الف عدل من الثياب فأخرج يومًا ثوب خز وقال ياربيع اقطع منه جبة لي وقلنسوة وبخل ان يأتي بثوب آخر . فلما افضت الخلافة الى المهدي انهبها الغلمان البسامى . وقال الشاعر :

ولو يكون على الخزان عيلكه * لم يسقِ ذا غلة من مائه الجاري

وقال آخر :

الاليت شعري آل خاقان هل لكم * اذا ما سابم نعمة الله ذاكرُ

فاما وأنتم لابسون ثيابها * فما لكمُ والحمد لله شاكرُ

(المذداد بالثراء بخلاً) أحسن ابن الرومي في قوله :

اذا غمر الماء البخيل وجدته * يزيد به يبساً وان ظن يرطبُ
وليس عجيباً ذاك منه فانه * اذا غمر الماء الحجارة تصلبُ

(من لايفرج عما يقع في أنامله) قيل فلان لا تندى أنامله ولا ترجى فواضله الين من كفيه الحجر وهو نزر العرف جامد الكف :

كأنما خلقت كفاه من حجر * فليس بين يديه والندى عملُ

وقال الشاعر :

لو عبر البحر بأمواجه * في ليلة مظلمة بارده
وكفه مملوءة خردلاً * ماسقطت من كفه واحده

(الراجع في هبته والقاطع لصلته) قال ابن الرومي :

لاتكن كالدهر في افعاله * كلما أعطى عطاياه رجع

وقال البحتري :

أعطى القليل وذاك مبلغ قدره * ثم استرد وذاك مبلغ رأيه

وأجرى بعض الكبار على اعرابي شيئاً ثم قطعه عنه فقال فيه :

ان الذي شق فمي ضامن * لي الرزق حتى يتوفاني
حرمتني نفعاً قليلاً فما * زادك في نفعك حرماني

(الموصوف بالسكوت عند السؤال) قال الشاعر :

ان اللئيم اذا سألت بهرته * عند السؤال وقل منه المنطقُ

وأتى بعض الشعراء رجلاً فسأله فما زاده على التنحنح والحوقلة فقال :

فلا حول الا بالاله وقوة * اذا قلتها دلت على طرق البخل
واني لارجو ان افوز بأجرها * كما قلتها بعد التنحنح من أجلي

(المتلقي عافيه بقطوب وجهه) ذم اعرابي رجلاً فقال : رآني فحلاني في نداه راغباً وبجدواه طالباً فقرب من حاجب حاجباً . وقيل لامرأة كيف وجدت فلاناً لما اعتفيته فقالت :

تلقاني بوجه مكفهر * كان عليه ارزاق العبادِ

وقال آخر :

* وعنون لي إطراقه عن قطوبه *

(المتلقي عافيه ببشاشة من غير جدوى) قيل لرجل مارأيت من فلان فقال برقاً بلا مطر وورقا بلا ثمر ووجه كريم وفعل لئيم . وقال أبو العيناء لعبيد الله بن سليمان : أيد الله الوزير لي منك قرب الولي وحرمان العدو . وقال أبو العتاهية :

ان السلام وان الرد من رجل * في مثل ما أنت فيه ليس يكفيني

(المعتذر الى سائله ببشاشة من غير جدوى) سأل أبو العيناء رجلاً شيئاً فاعتذر اليه وحلف انه صادق في اعتذاره . فقال من كان الصدق حرمان صديقه فماذا يكون كذبه . وسأل رجل آخر فاعتذر بأحسن اعتذار . فقال يعبر عن اللئيم لسانه وعن الكريم فعاله . واعتذر آخر فقال السائل : ان كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وان كنت معتذراً في ملك الله معذوراً . وهذا مأخوذ من قول الآخر « لاجعل الله حظ السائل منك عذرة صادقة » وقال الجريمي :

لا ينهضون الى مجد ولا كرمٍ * ولا يجودون الا بالمعاذر

(الملحف اذا سأل الحارم اذا سئل) قال اعرابي : فلان اذا سأل الحف واذا سئل سوف واذا حدث حلف واذا وعد أخلف ينظر نظر الحقود و يعتذر اعتذار الحسود . وقيل اذا سئل اقسط واذا سأل أفرط . وقال آخر لم أرَ أحصر يداً منه بالنوال ولا أطول لساناً منه بالسؤال ان سئل فجحد وان سأل خرب . وقيل اذا سأل واثق وبالرد اذا سأل حاذق

كان اسعيد بن خالد قصر بأزاء قصر عبد الملك فقال له عبد الملك ان لي

اليك حاجة فقال مقضية قال اجعل لي قصرك قال هو لك فقال عبد الملك فلك خمس حاجات مقضية فقال سعيد اولها ان ترد عليّ قصري . قال فعلت فما بعد ذلك . قال انت في حل من الاربع . وقال رجل لآخر ان لي اليك حاجة قال بشرط ان تقضي قبلها لي حاجة فقال لك ذلك . قال حاجتي ان لا تسألني حاجة . قال قد فعلت

(من ردد سائله بشتم او سفاهة) دخل رجل الى محمد بن عبد الملك فقال لي بك سببان الجوار وسوء الحال وذلك داعٍ الى الرحمة فقال اما الجوار فبين الحيطان والرحمة من اخلاق الصبيان اخرج عني . فما مضى عليه أسبوع حتى نُكب

(ذم من ينسب بخل نفسه الى القدر) خطب معاوية ذات يوم فقال : ان الله تعالى يقول « وان من شيء الاَّ عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » فلمَ نلام نحن . فقام اليه الاحنف فقال اناَّ والله ما نلومك على ما في خزائن الله تعالى ولكن نلومك على ما أنزل الله من خزائنه فأغلقت بابك دونه . فسكت معاوية . وقال بعض الشعراء

اذا أعطاك قصرَ حين يعطي * وان لم يعط قال ابى القضاء
يبخل ربه سفهاً وجهلاً * ويعذر نفسه فيما يشاء

(المحسن للبخل المحتج له) قال الجاحظ قلت لبعض الاغنياء البخلاء أرضيت ان يقال لك انك بخيل قال لا أعدمني الله هذا الاسم لانه لا يقال بخيل الا لذي مال . وقيل لابي الاسود انت ظرف علم ووعاء حلم غير انك بخيل . فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه . وقيل من لم يمنع لم يكن له ما يعطي . وقال المنصور الناس يزعمون اني بخيل وما انا ببخيل ولكني رأيت الناس عبيد المال حظرت ذلك عليهم ليكونوا عبيدي . وعمل سهل بن هارون كتاباً في مدح البخل واهداه الى الحسن بن سهل وطلب منه ثواباً فوقّع على ظهره « قد

جعلنا ثوابك ما حسنته وأمرت به » . وقال الموسوي في عذر فاضل بخيل :

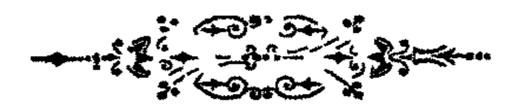
لا غرو ان كنت حرّاً لا تفيض ندى * فالبحر غمر ولكن ليس بالجاري

(ذم ممتن بالاعطاء) قيل المنة تهدم الصنيعة . وقيل لاعرابي فلان يزعم انه كساك فقال المعروف اذا منّ به كدر ومن ضاق قلبه اتسع لسانه . وقيل :

أفسدت بالمن ما قدمت من حسنٍ * ليس الجواد اذا أسدى بمنانِ

دعا المنصور طبيباً للخيزران وكانت قد اشتكت عينها فقال ان هذه في عينها شوكة سنبل فانتزع من عينها فاذا هو شيء طار من السنبل والصق بعينها وتراكبت الاكحال التي تعالج بها فزال الالم في الوقت فأعطاه عشرة آلاف درهم فلما دفعها اليه ندم فأوصاه فقال احفظها فانها مال له خطر . فقال نعم وفارقه . فاسترده وقال اياك ان تنفق منها شيئاً حتى تنفق ضيعة تشتريها بها . فقال نعم وفارقه ثم استرده فأوصاه . فقال ان رأيت يا أمير المؤمنين فاختمها بختمك حتى القاك بها يوم القيامة على الصراط بختمك . فضحك وخلاه

(النهي عن الامتنان) قال النبي « صلعم » اياكم والامتنان بالمعروف فان ذلك يبطل الشكر ويمحق الاجر . وقيل تمام البذل ترك المن وقال بعضهم لا تمنن بالمعروف فالمعروف اذا ذُكر كدر واذا أُنسي أمر . وقيل المهنة تهدم الصنيعة وتسترد النعمة فنزه منتك عن الامتنان . وسأل رجل آخر حاجة فجعل يؤنبه فقال أترى ان تقيم ترك التأنيب مقام قضاء الحاجة



القسم الثاني

« في البخل بالقرى »

قال ابن الحسن العصفوري :

لا تكارم تشبهاً بالكرامِ ☆ ليس تخفى الوجوه عند الطعامِ

أكل رجل مع بعض الهاشميين فكان على مائدته أرغفة متبددة فلما فرغ من رغيفه قال يا غلام فرسي فقال الهاشمي وما تصنع به قال أركبه الى ذلك الرغيف . وقال وهب بن شاذان :

مات في عرس سايما ☆ ن من الجوع جماعهْ

مات أقوام وقوم ☆ علموا فيه القناعهْ

لم يكن ذلك عرساً ☆ انما كان مجاعهْ

وأضاف رجل اعرابياً فلم يأته بشيء يأكله حتى غشي عليه من الجوع فأخذ يقرأ عليه القرآن . فقال :

لخبزٌ يا أخيّ عليه لحم ☆ أحب اليَّ من حسن القرآنِ

تظل تدهده القرآن حولي ☆ كاني من عفاريت الزمانِ

(من لا تمس يد ضيفه طعامه) قال شاعر في بخيل اضافه :

أما الرغيف لدى الحوا ☆ ن فكالحمام لدى الحرمْ

ما ان يحس ولا يمس ☆ ولا يذاق ولا يشمّ

وقال المصيصي :

يضع الطعام وليس الا شمه ☆ علقت روائحه بانف الزائرِ

فعلى جليسك غسل عينيه اذا ☆ رُفع الخوان مع الهجاء السائرِ

وقال جحظة :

طوبى لمن يشبع من خبزكم * فهو على مهجته آمنُ

(المنفرد عن أصحابه بالأكل) قال بعضهم في بخيل :

يروغ ويأكل في جفنه * وأكباد ضيفانه جائمه

وقيل لآخر ألا تأكل معنا فقال الجماعة مجاعة

ومر رجل بآخر يأكل فسلم عليه فقال له هلم . فهم الرجل ان يقعد معه فقال الآكل رفقاً أما عرفت هذا ما هو فقال ما هو قال عليّ ان أقول هلمّ وعليك ان تقول هنيئاً حتى يكون كلاماً بكلام . فقام الرجل فقال قد أعفيتك من التسليم ومن تكايف الرد . فقال قد اعفيت نفسي اذاً من هلمّ

(من حرد لتناول أكيله مابين يده) أكل اعرابي مع سليمان بن عبد الملك فتناول الاعرابي من بين يديه شيئاً فأكله ثم مد يده فتناول شيئاً آخر فقال سليمان كل مما يليك فقال أوهينا حمى فال خذها لاهاً لك المرتع . وأكل آخر مع معاوية فجعل يمزق جدياً على المائدة ويمعن في أكله فقال معاوية انك تحرد عليه كأن أمه نطحتك فقال الرجل وانك لمشفق عليه كأن أمه أرضعتك

(الصغير الرغفان) قال الشامي :

أتانا بخبز له حامض * شبيه الدراهم في حليته

يضرس آكله طعمه * وينشب في الحلق من خشنته

فلما تنفست عند الخوان * تطاير في الجو من خفته

(المعير ضيفه بكثرة أكله) قال رجل لبعض الكبار لمَ لا تدعوني لدعوتك فقال لانك جيد المضغ شديد البلع اذا أكلت لقمة هيأت أخرى . فقال أتريدني اذا أكلت لقمة ان أصلي ركعتين بين كل لقمتين . وقال بعضهم لآخر لمَ لاتدعوني فقال لانك تحمل واحدة في يدك وأخرى في شدقك وتنظر الى أخرى بعينك

(مرق قليل الدسم واللحم) تغدى الجماز عند هاشمي فمر الغلام بصحفة فقطر منها قطرة على ثوب الجماز فقال الهاشمي ائتوِ بطست يغسلها فقال الجماز دعه فمرقتكم لاتغير الثياب أي لادسم لها

(من يصعب عليه أكل طعامه) قال أحمد بن ابي طاهر :

لو لم تكن حركات المضغ تؤلمه * لكان أكثر خلق الله اخوانا

(ذم المتأمل آكيله) أكل اعرابي مع معاوية فرأى معاوية في لقمة شعرًا . فقال خذ الشعرة من لقمتك . فقال وانك لتراعبني مراعاة من يبصر معها الشعر والله لا آكلتك بعدها . وقال بعضهم فلان عينه دولاب لقمة آكيله .

(الشاتم غلمانه على الطعام) قال جحظة :

ان كنت تهوى ان أزو * رك او حننت الى الزياره

فدع الشتيمة للغلا * م اذا دنوت من الغضاره

(اغلاق بابه عند الاكل) قال بعض المبخلين لغلامه هات الطعام واغلق الباب فقال يامولاي هذا خطأ اغلق الباب أولاً ثم اقدم الطعام فقال اذهب فأنت حر لعلمك بأسباب الحزم . وقال بعضهم :

قوم اذا أكلوا اخفوا كلامهمُ * واستوثقوا من رتاج الباب والدارِ

وقال الرقاشي :

تراهم خشية الاضياف خرسًا * يقيمون الصلاة بلا اذانِ

(الاكل في وقت يأمن فيه لزوار) قال رجل انا لا نأكل الا نصف الليل . فقيل له قال يبرد الماء وينقمع الذباب ونأمن فجأة الداخل وصرخة السائل

الحد العاشر

« في الشرب والشراب وما يتعلق بهما »

القسم الاول

« في الشرب »

(مسابقة الزمان بتناول المدام) قال العتابي :

بادر الى اللذات مهما أمكنتْ * بورودهن بوادر الآفاتِ

كم من مؤخر لذة قد أمكنتْ * لغد وليس غد له بمواتِ

حتى اذا فاتت وفات طلابها * ذهبت عليها نفسه حسرات

تأتي المكارهُ حين تأتي جملةً * وترى السرور يجيء في الفلتاتِ

قال الصاحب: حضرت الوزير المهلبي يوماً وقد جاءه خادم عمر المطيع وفي يده رقعة وفيها غني لنا بيتان وهما :

عرج على الخمر وحاناتها * وأسقنا في وسط جناتها

وعلل النفس ولو ساعةً * فانما الدنيا بساعاتها

وقال ابو العتاهية :

ليس فيما مضى ولا في الذي لم * يأت من لذة لمستحليها

انما أنت طول عمرك ما عمرت في الساعة التي أنت فيها

(مبادرة الشراب بالمسرات) قال عبد الله بن السمط :

بادر شبابك ان يغتاله الزمنُ * وأقضِ ما أنت قاضٍ والصبا حسنُ

وقال ابو علي :

اعطِ الشباب نصيبه * مادمت تعذر بالشباب

وقال المتنبي :

انعم ولذ فللامور أواخر * أبداً اذا كانت لهن أوائلُ

مادمت من ارب الحسان فانما * روق الشباب عليك ظل زائلُ

للهو آونة تمر كأنها * قبل يزودها حبيب راحلُ

(من ذمها بأنها تزيل العقل) حضر نصيب عند عبد الملك بن مروان فدعاه الى الشراب . فقال أني لم أصل اليك بنفسي ولا بحسن صورتي وانما قريب منك بعقلي فان رأى الامير ان لا يحول بيني و بينه فعل . وقيل لاعرابي لمَ لا تشرب فقال لا أشرب من يشرب عقلي . وقيل للعباس بن مرداس لو شربت النبيذ لازددت جراءة . فقال ما كنت لاصبح سيد قومي وأمسي سفيههم وأدخل جوفي ما يحول بيني و بين عقلي . وقيل لاعرابي لمَ لا تشرب فقال لانه يفني مالي و يغير عقلي

(وصف خصائص جميع الاشربة) قيل لبعض الحكماء صف لنا خصائص الاشربة فقال اما الماء فيعظم خطره عند الحاجة اليه بحسب تعذره عند العدم وأما اللبن فشبع الغرثان وري الظمآن وزاد العجلان وأما الزبيب فنبيل المنظر سخيف المخبر وأما الخمر فمزاج الروح وصفية النفس

(وصف الشراب بازالة الغم) قيل لاعرابي أتحب الخمر . فقال أي والله فانها تسرح في بدني بنورها وفي قلبي بسرورها . وقيل لذة الدنيا في الغناء والطلاء والشباب والبقاء . سأل معاوية الاحنف عن أطيب الاشربة فقال الخمر . قال وما يدريك ولست من أصحابها . قال رأيت من أحلت له لا يبتغي غيرها ومن حرمت عليه يتناولها فعرفت طيبها وفضيلتها . وقيل النبيذ صابون الغم . وقيل

لبعضهم فلان ترك النبيذ فقال طلق الدنيا . وقيل لدهقان ما أصباك بالخمر فقال لاني رأيت لها افعالاً لم أرها لغيرها اذا رأيت الهم تمكن في قلبي فقرب الكاس من الباب خرج الهم . وأخذ ذلك أبو نواس فقال :

اذا ما أتت دون اللهاة من الفتى * دعا همه من صدره برحيلِ

وقيل لشيخ لم تشرب النبيذ فقال لان فيه شيئاً يحمده أهل الجنة قيل وما هو قال اما نقول أهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والنبيذ هو ذاهب بالحزن . وقال أبو نواس فيها : الراح صديقة الروح قيد اللذات ومفتاح المسرات وقال :

ما استقرت في فؤاد فتى * فدرى ما لوعة الحزنِ

وذم بعضهم الخمر فقال أولها دوار وآخرها خمار

(وصفها بالصفاء والرقة) قال الحسن بن الضحاك كنت مع أبي نواس بمكة فسمع صبياً يقرأ« يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا » فقال هذا يجب ان يكون صفة الخمر

قيل فيه ورق وصفا حتى كاد يخفى . وقيل أصفى من الشراب وأخفى من السراب:وقيل * كمعنى دق في لفظ بديعٍ *

(وصف رقة الاناء والخمر معاً) قال البحتري :

يخفي الزجاجة لونها فكانها * في الكف قائمة بغير أناء

ولابى نواس:

رق الزجاج وراقت الخمرْ * وتشابها فتشابه الامرْ

فكانما خمر ولا قدح * وكانما قدح ولا خمرُ

(وصفها بانها تخضب الكف) قال الشاعر :

تحسب الظبي اذا طاف بها * قبل ان يسقيكها مختضباً

(وصف لذاذتها) قال ابن أبي فنن :

أطيب من قبلة الحبيب وقد * جاد بها مسرعاً على حذرِ

وقال ابن الرومي :

والله ما أدري بأية علة * يدعونها في الراح باسم الراحِ
الريحها ولروحها تحت الحشا * أم لارتياح نديمها المرتاحِ
ان حرمت فبحقها من حرة * ما كان مثل حريمها بمباحِ
أو حللت فبحقها من نشوة * تنفي سقام قلوبنا بصحاحِ

القسم الثامن

(في الندام والندماء والسقاة)

« حق المنادمة » قال ابن عباس لجليسي عليَّ ثلاث أرميه بنظري اذا أقبل وأوسع له اذا جلس وأصغى اليه اذا حدث . قال الشاعر :

أرى للكاس حقاً لا أراه * لغير الكاس الا للنديمِ

قال الجاحظ رويت هذا البيت دهراً لا أعرف له ثانياً فسمعت يوماً حمامياً يوقد أتونه وينشد معه :

هو القطب الذي دارت عليه * رحى اللذات في الزمن القديمِ

وكان القعقاع اذا جالسه جليس فعرفه بالقصد اليه جعل له نصيباً من ماله وأعانه على عدوه وشفع له في حاجته وغدا اليه بعد المجالسة شكراً له . قال يحيى بن اكثم ما رأيت اكرم من المأمون بت عنده ليلة فعطش فكره ان يصيح بالغلمان وكنت منتبهاً ورأيته قد قام فمشى قليلاً الى البرادة حتى شرب ورجع .

ورأيته ليلةً وأنا عنده وحدي وقد أخذه سعال يسد فاه بكمه كيلا انتبه

(طيب المدام بطيب الندام) قيل لاعرابي كم تشرب من النبيذ فقال مقدار النديم . وقال أبو نواس :

الراح طيبة وليس تمامها * الا بطيب خلائق الجلاسِ

وقال آخر :

انما تستعذب الرا * ح باخلاق النديمْ

وقال العطوي :

تصفو الزجاجة بالنديم اذا صفا * ويكدر الندمان صفو الراحِ

وقال آخر في صديق استطاب مجالسته :

يا ليلةً لست أنسى طيبها أبدًا * كأن كل سرور حاضر فيها

باتت وبت وبات الزق ثالثنا * حتى الصباح تسقيني وأسقيها

كأن سود عناقيد بلمتها * أهدت سلافتها صرفًا الى فيها

(الوصية بطي حديث الشرب) قال المأمون اطووا خبر امس مع ذهاب امس فهو ادوم للسرور واسلم للصدور . وقال النبيذ بساط اذا رُفع لم ينشر .

وقال الشاعر :

اذا ذُكر النبيذ فليس حقاً * اعادة ما يكون مع النبيذِ

اعادة ما يكون من السكارى * يكدر صفوة العيش اللذيذِ

(استقالة من بدر منه في السكر بادرة) قال الشاعر :

ما على مثقل من النوم والسكـ * ـران فيما أتى من الآثامِ

وقال آخر

ومن يقرع الكاس اللئيمة سنه * فلا بدّ يوماً ان يسيء ويجهلا

(الممدوح بمسامحة رفيقه في الشرب) قال بعضهم :

هلمَّ اسقني كأساً ودع عنك من أبى * ورقَّ عظاماً قصرهن الى بلا
فان نديمي غير شك مكرم * لديَّ وعندي من هواهُ الذي ارتضى
ولست له في فضلة الكاس قائلاً * لأصرعه سكراً تحسَّ وقد أبى
ولكن افديه واكرم وجهه * واشرب ما يسقي واسقيه ما اشتهى

وقال أبو نواس :

ولست بقائل لنديم صدق * وقد أخذ الشراب بوجنتيهِ
تناولها والا لم اذقها * فيأخذها وقد ثملت عليهِ
ولكني أداري الشرب عنهُ * وأصرفها بغمزة حاجبيهِ
فان مد الوساد لنوم سكر * دفعت وسادتي أيضاً اليهِ

(من لا يعتد بمجالسته) قال صاحب وفي يده كاس :

نطيب كؤسنا لولا قذاها * ويحتمل الجليس على أذاها

فقال النابغة :

قذاها ان صاحبها لئيم * يحاسب نفسه بكم اشتراها

(مجالسة الاخوان) قيل لبعضهم تمنَّ فقال وجه حبيب ومغنٍّ مصيب وساق أريب ونديم لبيب . وقيل لآخر ما لعيش فقال لون مشبع ومغنٍّ ممتع وكأس مترع ونديم مقنع . وقيل مجالسة أهل الفضل ذكا العقل . وقال ابن المعتز في مدح ذلك :

بين اقداحهم كلام قصير * هو سحر وما سواه كلامُ

(التفرد بالشراب) قال أبو نواس :

خلوت بالراح أناجيها * آخذ منها واعاطيها
شربتها صرفاً على وجهها * وكنت حاسيها وساقيها

(التعفف عن التعرض للندماء) قال شاعر :

اني على ما فيَّ من * عهد الصبية والغضاره
لاغض من طرفي فيأ * منني النديم على الستاره

(المعيب بتعرضه لحرم نديمه) قال بعضهم لنديم رآه يرمق بعض حرمه :

كل هنيئاً وما شربت مريئاً * ثم قم صاغرا وغير كريم
لا أحب النديم يرمق بالعين * اذا ما انثنى لعرس النديم

(العربدة) قال الاصمعي العربدة حية تنفخ ولا تؤذي . قيل لمعربد بوجهه خموش ماهذه الكلوم قال اثر الكلام . وكان رجل معربد له يسار وكان اذا عربد على واحد أعطاه خمسمائة درهم فقال لانسان هل لك ان تنادمني . قال على ان تعربد علي عربدة نحو مائتين فاني لا أقوى على عربدة خمسمائة . وقال الحسين بن خليع نادمت يوماً ابراهيم بن المهدي فسكر وعربد عليَّ فدعا بالنطع والسيف فتكلم في أصحابه فتجافى عني ثم تأخرت عنه فدعاني فكتبت اليه :

أمير غير منسوب * الى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشربُ * فعل الحر بالضيف
فلما دارت الكاس * دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح * مع التنين في الصيف

فدعاني وأرضاني . ويضاد ذلك ما حكي انه أتي العريان بشارب فقال من أنت قال أنا القائل :

اذا صدمتني الكاس أبدت محاسني * ولم يخشَ ندماني على صدمها جهلي

فقال العريان أنعم الله بك عيناً وقال لصاحبه احمله على دابتك وبلغه منزله

(وصف ثقيل) ما الحمام على الاصرار وحلول الدين مع الاقتار وشدة السقم على الاسفار بأثقل من لقاء الثقيل . ووصف أحدهم ثقيلاً فقال هو ثقيل جاهل بثقله والثقيل اذا علم انه ثقيل فليس بثقيل . وقال الشاعر :

رؤيته أثقل من رضوى * أثقل من واش على عاشق

قال أبو العتاهية لابنه أنت ثقيل الظل مظلم الهواء جامد النسيم . وقال الشاعر :

كمثل غريم مقتض أو كآبة * طلوع رقيب او نهوض حبيب

قال الاعمش ما نظرت الى ثقيل الا اشتكت عيني . وقال ربما سألني ثقيل عن مسئلة فانساها في الوقت لما ينالني منه . وقال ابن عمر اتقوا من تبغضه قلوبكم . قال مالك لطبيبه انظر مجسي . فجسه وقال مزاجك معتدل الا ان فيه كدرًا فهل وصل اليك اليوم بغيض . قال نعم . قال فهذا من ذاك . وقيل مجالسة الثقيل حمى الروح

قيل لانوشروان ما بال الرجل يحمل الحمل الثقيل فلا يعييه ولا يحمل مجالسة الثقيل . فقال لان الحمل تشترك فيه الاعضاء والثقيل تنفرد به الروح . قال ابن سيرين مكتوب في كتاب سوء الادب اذا أتيت منزل قوم فلم ترضَ بما يأكلون وسألتهم ما لا يجدون وكلفتهم ما لا يطيقون وأسمعتهم ما يكرهون فان لم يخرجوك فهم لذلك مستأهلون . ودخل ثقيل على ابن أبي البغل فأطال الجلوس . فلما خرج الناس قال هل من حاجة . قال لا . فانظره ساعة ثم قال ما اسمك . قال ابو عبد الله محمد بن عبد الله . فقال لحاجبه خذ بيد أبي عبد الله محمد بن عبد الله وأطرده الى لعنة الله

(المعريض بثقيل) تعرب بغيض عند رجل فلما امسى لم يأته بسراج . فقال أين السراج . قال ان الله يقول « واذا أظلم عليهم قاموا » . وقال ثعلب لرجل استثقله : خاتم طاوس . فلم يعلم الرجل ما شاء . فقال له ثعلب ان طاوسًا نقش على خاتمه « أبرمتَ فقم » فاذا استثقل رجلاً دفعه اليه وقال اقرأه . وعاد الشعبي ثقيل فاطال الجلوس ثم قال ما أشد ما مرّ عليك في مرضك . قال قعودك عندي . ودخل ثقيل الى الصاحب فأطال الجلوس وتبرم به فكتب رقعة ودفعها اليه وفيها :

ان كنت تزعم ان الدار تملكها * حتى نقوم فنبغي غيرها دارا
او كنت تعلم ان الدار أملكها * فقم لكي تذهب الاحزان والعارا

دخل على ابن مكرم اخوان من اولاد يسار فاستثقل أحدهما واستطاب الآخر . فانزعج الثقيل وبقي الآخر . فقال له ما مثلك ومثل أخيك الا ما قال الله تعالى « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض »

﴿ اغتياب الثقلاء ﴾ قال معمر : لا غيبة للثقلاء والوقيعة فيهم من اللذات . وأنشد يوسف بن المغيرة

ومن يقتل الابطال بأساً ونجدة * فان أبا يعقوب يقتلهم بردا

وقال آخر :

انما ظرف أبي العيناء في المجلس لحظه
فاذا طاوله انبردت معناه وافظه

﴿ وصف ساق ظريف ﴾ حضر ابو فراس مجلساً فثمل فقيل له سكرت فأنشأ يقول :

سكرت من لحظه لا من مدامته * ومال بالنوم عن عيني تمايله
وما السلاف دهتني بل سوالفه * وما الشمول دهتني بل شمائله
لوى بعقلي اصداغ لوين له * وغال صبري ما تحوي غلائله

وقال آخر :

ساع على صحبي بصهباء * كالغصن المغتص بالماء
أعار من وقفته كأسا * ولي لحاسي الكأس مولائي
حتى اذا قد صاروا وهم اخوتي * من نشوة الغيرة اعدائي

وقال ديك الجن :

فقام بخمر يخضب الكف كأسها * وتحسبه من وجنتيه استعارها

فأخذه ابن المعتز وزاد عليه فقال :

تدور علينا الراح من كف شادنٍ * له لحظ عين يشتكي السقمَ مدنفُ
كأن سلاف الخمر من ماء خده * وعنقودها من شعره الجعدُ يقطف

وقال جحظة :

وخمارة من بنات القسوس * تبيع المدامة في دارها
وجاءت تهادي كقد القضيب * سقته الغوادي بأمطارها
وفي كفها قهوة في الاناء * وكالنار لم تغل في نارها
كوجنة من هي في كفها * ونكهتها وقت أسحـارها
فمن قارص وردتي خدها * ومن جاذب فضل زنارها

وقال الفرح الصالحي :

خل من خمر ريقته * عطر من ورد وجنته
قم والارداف تقعده * والدجى من لون طرته

وقال الشاعر :

ولم يكن الشراب كذا لذيذا * ولكن طاب حامله فطابا

وقال السري الرفاء وقد أحسن في وصف الساقي :

وكأنما أبدى لنا بمدامه * وجماله صاع العزيز ويوسفا

وقال أبو نضلة :

قام الغلام يديرها في كفه * فكأن بدر التم يحمل كوكبا

وقال الخوارزمي :

يدور بها ظبيٌ تدور عيوننا * على عينه من شرط يحيى بن أكثمِ
ينزهنا من شعره وجبينه * وخديه في شمس وبدر وأنجمِ

(حث الساقي على السقي) قال الشاعر :

أيها الساقي أجدْ حث القدحْ * واسقني ويحك مفتاح الفرحْ

وقال أبو نواس :

ايها الساقي علاما * تحبس الكاس علاما

بعد ما لذت وطابت * ونفت عنا اهتماما

سمي الخمر مداما * فأدم هذا المداما

وكتب بعضهم على كاس :

قالت الكاس لساقيها م الى كم تحبسوني

ان جسمي من زجاج * فاحذروا لا تكسروني

واجعلوا الساقي خنفاً * ومع الحتف ذروني

واذا أنتمْ ثقلتم * فخذوني في سكوني

(في المزج) قال أبو نواس :

فقوما فامزجا خمراً بماء * ون نتاج بينهما السرورُ

وقال حسان في المنع من المزج :

ان التي ناولتني فرددتها * قتلت قتلتُ فهاتها لم تقتلِ

كلتاهما حلب العصير فعاطني * بزجاجة أرخاهما المفصلِ

(حث الساقي على العدل بين القوم) قال على بن داود في كتاب الزهرة :
ليتحرَّ الساقي العدل فانه والي العقول والا ناله من خجله الاستعفاء ما ينال الوالي من خجلة العزل

❊

القسم الثالث

(في وصف المجالس وأمكنة الشرب)

(اختيار المجلس الفسيح) قيل للاحنف أي المجالس أحب اليك . قال ما سافر فيه البصر واتدع فيه البدن . وقيل المنازل الضيقة العمى الاصغر . وسئل بعضهم عن الغنى فقال : سعة البيوت ودوام القوت . وقيل لبعضهم أي المجالس أطيب فقال لولا ان الشمس تحرق والمطر يغرق لما كان في الدنيا أحسن من شرب في الفضاء على وجه السماء . وحدثني أبو سعيد بن مرداس انه قعد مع جماعة فيهم ابن بابك تحت عريش كرم يشربون فأصابهم مطر فقال ابن بابك :

وشى بريا الحيّ * طيف ألمّ فحيا
ونبهتني شمول * تموت فيَّ وأحيا
ياصخرة الرعد رشي * دمع الغمام عليا
فحبذا الروح وردًا * ومنحنى النور فيا
هذي سماء مدام * لم تمشِ فيها الحميا
فكل كرم سماء * وكل نجم ثريا

(حديث كل مجلس) قال ارسطاطاليس للاسكندر احفظ ما أقول لك : اذا كنت في مجلس الشرب فليكن مذاكرتك الغزل فانهم يأنسون الى ذلك واذا جلست الى خاصتك فاذكر الحكمة فانهم لها افهم واذا خلوت للنوم فاذكر العفة فانها تمنعك من الحرام

(القعود في طرف المجالس) دخل بعض الصوفية على الجنيد وقعد في طرف المجلس وقال : حسبي يا سيدي من مجلسك مكاني من قلبك . وقيل الاطراف مجالس الاشراف . ودخل رجل على بعض الكبار فصدره ثم دخل آخر فقال له

تنحّ قليلاً فرفعه الى جنبه ثم دخل آخر فقال له مثل قوله فلم يزل الداخل الاول يتنحى حتى صار في طرف البساط فمال لصاحب المنزل قد تفرزنت اقوم فارجع الى موضعي . فضحك منه ورفعه الى موضعه الاول

(الجلوس على الطرق وفي المساجد) مر رسول الله « صلعم » على رهط فيهم عمر بن الخطاب فقال : اياكم والجلوس بهذه فانها سبيل من سبل النار . ثم التفت فقال فان أبيتم فأدوا حق الطريق . قالوا وما حق الطريق . قال رد السلام وغض البصر وكف الاذى وهداية الضال واغاثه الملهوف . وقال الشعبي : من أراد ان يكثر علمه فليجتنب مجالس قومه . وقيل المساجد مجالس الكرام

(ضيق المجلس) ما ضاق مجلس على محبين ولا اتسع لمتباغضين . وقال الصاحب في معناه وقد نقله من أبيات خراسانية :

كنا واسباب الهوى متفقه * تغدو من الورد معاً في ورقه
واليوم اذ اسبابه مفترقه * قد صارت الدنيا علينا غلقه

وكثر تمثل الناس بقول الشاعر :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيقُ

وقال آخر يعتذر من ضيق داره وقلة زاده :

ان يضق منزلي فاني كريمٌ * واسع الخلق واسع الآداب
لست آسى على الكثير من الزا * م اذا كان فيه قوت صحابي

(الانتقال من مجلس الى مجلس) قال الصولي شرب عندي ابن أبي فنن يوماً فقلت له قم بنا ننتقل الى مجلس آخر فقال النقلة من الدين كفر ومن النسب لؤم ومن المجالس سخف . وكان المأمون كثير التنقل في مجالسه يتمثل بقول أبي العتاهية :

لابد للنفس ان كانت مدبرة * من التنقل من حال الى حالِ

(انتقاء أماكن الجلوس) قال الاحنف ماجلست مجلساً خفت ان اقام

منه لغيري . وقال التميمي لأن أُدعى من بعيد أحب اليّ من ان أدفع من قريب
(ايثار الشرب واللهو بالليل) كان ابن المعتز لا يشرب الا ليلاً ويقول :
الليل امتع لا يطرقك فيه خبر فظيع ولا صاحب مانع والنهار أبرص لا يتم فيه سرور .
وقال بشار :

قد نام واشٍ وغاب ذو حسد * فاشرب هنيئاً خلا لك الجوُّ

وكتب معاوية الى ابنه يزيد بهذه الابيات :

شمر نهاراً في طلاب العلا * واصبر على هجر الحبيب القريبْ
حتى اذا الليل أتى مقبلاً * واكتحلت بالغمض عين الرقيبْ
فقابل الليل بما تشتهي * فانما الليل نهار الاريبْ

ويروى ان يحيى بن خالد كتب الى الفضل ابنه وهو بخراسان وقد بلغه اشتغاله باللهو : اما بعد فقد بلغني عنك ما كنت جديراً بغيره وقد يهفو الحكيم ويزل الحليم ثم يرجع الى ما هو به أولى حتى كأن أهل دهره لم يعرفوه الا به . فلما قرأها آلى على نفسه ان لا يشرب النبيذ بخراسان

(مبادرة الصباح في تناول الراح) قال جحظة :

قد بدا لي الصبح يا مو * لاي يحدو بالظلامْ
فانتبه نقض لبانا * ت اعتناق والتزامْ
قبل ان تفضحنا عو * رة انفاس النيامْ

وقال أبو نواس :

بادر صباحك بالصبوح ولا تكن * كمسوفين غدوا عليك شحاحا
وخدين لذات معلل صاحب * يقتات منه فكاهة ومزاحا
نبهته والليل ملتبس به * وأزحت منه نعاسه فانزاحا
قال ابغني المصباح قلت له اتئد * حسبي وحسبك ضوءها مصباحا

﴿ قصد الحانات ﴾ بكرَ أبو الهندي على خمار فاصطبح وسكر ونام ودخل على الخمار فتيان فرأوه فسألوا عنه الخمار فأخبرهم بمكانه فقالوا الحقنا به فسقاهم حتى ناموا فلما استيقظ أبو الهندي رآهم فسأله عنهم فأخبره بهم فقال الحقني بهم فأقاموا على ذلك عشرة أيام فقال أبو الهندي يصف ذلك :

ندامى بعد عاشرة تلاقوا * تضمهمُ بكوزبانٍ راحُ
رأوني في الشروق على وساد * يفيض بمهجتي وردٌ وراحُ
فقالوا ايها الخمار من ذا * فقال أخ تخونه صلاحُ
فقالوا قم فألحقنا وعجل * به انا لمصرعه نراحُ
وحان تنبهي فسألت عنهم * فقال أتاحهم قدر متاحُ
فقلت له فسرحني اليهم * حثيثاً والسراح هو النجاحُ
فما ان زال ذاك الدأب منا * الى عشر نفيق ونستباحُ

القسم الرابع

« في الغناء والمغنين والملاهي وآلاتها »

(الرخصة في الغناء) قيل لابي حنيفة وسفيان ما تقولان في الغناء فقالا ليس من الكبائر ولا من أسوأ الصغائر . قيل للعتابي فقال حلال من الفائق حرام من غير الحاذق . وسئل بعضهم فقال هو من ارتياح الكرم وامتياح النعم . وقال ابن الراوندي اختلفوا في جواز الغناء وأنا أخالف الفريقين فأقول هو واجب . قال بعض الفقهاء بحضرة الرشيد لابن جامع : الغناء يفطر الصائم . فقال ما تقول في بيت عمر بن أبي ربيعة اذا أنشد * أمن آل نعم أنت غاد فمبكرُ * أيفطر الصائم . قال لا قال انما هو ان أمدّ به صوتي وأحرك به رأسي

(فضل الغناء) كان حكماء الهند يسمعون المريض الغناء ويزعمون انه يخفف العلة ويقوّي الطبيعة . وبالاصوات العلية ينوّم الطفل ونحدى الابل وتجمع السمك في حظائرها وتصطاد الظباء والاسود من مرابضها . وقيل الغناء غذاء الارواح كما ان الطعام غذاء الاشباح وهو يصفي الفهم ويرقق الذهن ويلين العريكة ويثني الاعطاف ويشجع الجبان ويسخي البخيل

(كيفية جودة الغناء) قيل لبعضهم ما أجود الغناء فقال ما أطربك وألهاك أو أحزنك وأشجاك . وقال اسحق : قال لي المأمون يوماً ما ألذ الغناء عندك فقلت ما وافق شهوة النفس . فقال زد فيه : وطرب له السامع خطأً كان أو صواباً

(كراهية غناء بلا شرب وشرب بلا غناء) قيل غناء بلا شرب كنحلة بلا عطية وهدية بلا نية ورعد بلا مطر وشجر بلا ثمر وحداء بلا بعير وروضة بلا غدير . قال صاحب الموسيقى : السماع كالروح والخمر كالجسد فباجتماعهما يتولد السرور . وقيل لابي المطوف هل ترى في الغناء فقال أما قبل الاكل ومع غير الشراب فلا

(الاقتراح على المغني) قال الحسن بن علي العلوي قلت لمغنٍّ غنني . قال هذا أمر . قلت أسألك قال هذا حاجة قلت ان رأيت قال هذا ابرام فقلت فلا تغنِّ قال هذا عربدة . كان هرمس اذا قعد للشرب يقول للموسيقي أطلق النفس من رباطها . من هنا أخذ كشاجم قوله :

أطلق عقال الروح بالراحِ * ان اليها جد مرتاحِ

قد كدت الحكمة روحي م فروحها بأوتار وأقداحِ

وكان مروان يقول أطعمتنا طيباً فطعم أرواحنا حسناً . قال أبو العتاهية لمغنٍّ صب في هذه الآذان ما تطعم به القلوب في الابدان فلو كان الكلام طعاماً كان كلامك اداماً . وقيل لآخر غنِّ بغير عود فقال أنا فارس لا أقاتل راجلاً

(استعادة الغناء) حق الصوت الحسن أن يعاد أربع مرات الاول بديهة

والثاني تفهم والثالث للطرب والرابع للذبح

(التزهزه للمغني) قيل أول صلة المغني أن يقال له أحسنت . وحضر جحظة مجالس بعض الكبار مرارًا وكان اذا غنى يقول له أحسنت ولم يكن يخوله شيئًا فقال فيه :

ان تغنيت قال أحسنت زدني * وبأحسنت لا يباع الدقيقُ

(استطابة الغناء والمغني) سمع رجل غناء طيبًا فقيل له كيف تسمعه فقال وددت ان جميع اعضائي مسامع اسمعه بها . وقال الشاعر :

اذا هي غنت أيبت اناس حسنها * وأطرق اجلالًا لها كل حاذق

وصف ابن شريح مغنيًا فقال كأنما خلق من كل قلب فيغني لكل ما أحب .
قال ابراهيم الموصلي : سمعت جارية فهجرت اللذات من أجلها فبينا أنا جالس اذ استؤذن عليَّ لشيخ معه جارية فأذنت له فدخل فاذا هي صاحبتي فجلس الشيخ وقال أشرب فدعوت بالنبيذ فشرب ثم ثلثة أقداح وقال لي غنِّ يا اسحاق فعجبت من جرأته عليَّ وذلك ان الخليفة كان ينزهني عن ذلك ثم غنيت فأخذ العود واندفع يغني :

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف * بمن الذي رقات الزيارة عارفُ
فما راعني الا سلام عليكم * أأدخل قلت ادخل لما أنت واقفُ

فتزعزعت الحيطان وأغمي علي وعلى الحاضرين من الطرب . فلما أفقت اذا بجارية جالسة والشيخ لم أره فدعوت البواب . فقال لم أره . ودعوت الجارية فقالت لا أدري الا انه جاءني على ذلك فلم أدر على شخصه . فعلمت انه أبو مرة . وقيل لم يكن في الاسلام أحسن صوتًا من مخارق : غنى يومًا في متنزه وقد سنحت ظبا فجاءت أعجابًا بغنائه وتوسط دجلة يومًا وغنى فلم يبقَ أحد الا بكى

﴿ من يستطاع سماع الغناء منه ﴾ سئل حكيم عن فرق ما بين غناء النساء

والرجال . فقال ما خانت الاغاني الا للغواني . وقيل نعيم الدنيا ان تسمع الغناء من فم تشتهي تقبيله . وقيل ما احسن لكم بين ان تسمع الغناء من فم تشتهي ان تقبله وبين ان تسمعه من فم تشتهي ان تصرف بصرك عنه وأنشد :

من كف جارية كأن بنانها * من فضة قد طرفت عنابا

قال يحيي بن خالد لابن جامع : من أحسن الناس غناء فقال من أطرب الخاشع وأفهم السامع . قال الموصلي اذا تغنيت بالمديح فخم أو بالنسيب فأخضع او بالمراثي فاحزن او بالهجاء فشدد

(غناء يستطاب له الشراب) سمع رجل غناء حسناً فقال السكر على هذا شهادة . وقال كشاجم :

فاست آبى وان سقوني * على أغانيه نيل مصر

وقال السيزارزي :

ولو ان البحور خمر لدينا * وتمنيت لارتشفت البحورا

(غناء غير مفهوم المعنى) قال ابو تمام في وصف جارية :

ومسمعة يحار السمع فيها * طربت لحسنها بصدى غناها

ولم أفهم معانيها ولكن * ورت كبدي ولا أجهل شجاها

فكنت كأنني أعمى معنى * بحب الغانيات وما رآها

(تأثير الغناء والصوت وان لم يفهم) قال اسحق الموصلي : أمر الصوت عجيب منه ما يسر سروراً يرقص ومنه ما يبكي ومنه ما يكد ومنه ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه وليس يعتري ذلك من قبل المعاني لانهم في كثير من الاحوال لا يفهمون . وقد بكى ماسرجوية من قراءة أبي فقيل له كيف تبكي لكتاب لا تصدق به . فقال أبكاني الشجا وقد تسكن النفوس اليه

(اختلاف الاصوات) قال الموصلي سألني المعتصم عن معرفة النغم فقال

بينها لي . فقلت ان من الاشياء ما تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة . وسألني عن شعرين متقاربين ففضلت أحدهما على الآخر . فقال من اين فقلت لو تفاوتا لامكنني التبيين ولكن تقاربا ففضل أحدهما على الآخر مما يشهد به الطبع ولا يعبر عنه اللسان

القسم الخامس

« في آلات الملاهي »

(العود) أتى عبد الملك بعود فقال للوليد بن مسعدة ما هذا . فقال خشبة تشق ثم ترقق ثم يعلق عليها أوتار ثم تنطق فتضرب الكرام رؤسها بالحيطان سرورًا به وأمرأته طالق ان كان في المجلس أحد الا وهو يعلم ما أعلمه وانت أولهم يا أمير المؤمنين فضحك

(الزامر) قيل الزمر يستر من حسن الغناء كما يستر من قبحه . قال ابن المعتز يصف زامرة

كأنما تلثم طفلاً لها * اتت به من ولد الزنج

(الرقاص) قال المصعب المنذري :

عجبت من رجلين يتبعانه * يعلوهما طورًا وتعلوانه
كأن افعيين يلسعانه

وقيل لجارية رقاصة أفي يدك عمل قالت لا انما هو فى رجلي

(وجوب الاستماع) قال بعضهم :

اذا حضر الغناء فليس الاّ * سكوت واستماع للمغني

وقال احمد بن علوية :

حكم الغناء تسمع وندامُ * ما للحديث مع الغناء نظامُ
لو كان لي أمر قضيت قضية * ان الحديث مع الغناء حرامُ

(غناء يمزق له الثوب) كان لبعض الظرفاء مغنيتان : محسنة اذا غنت خرق قميصه ومسيئة اذا غنت قعد يخيطه . طرب بعض الكبار على غناء فشق قميصه وقال لنديمه بحياتي شق قميصك فقال اذًا أبقى عريانًا فقال أنا أخلفه غدًا قال فأشقه غدًا

(أنواع مختلفة من الغناء) اجتمع على شراب في بعض الحانات اعمى ومفلوج وأقطع فقيل للاعمى غنِّ فغنى :

اني رأيت عشية النفرِ * حورًا نفين عزيمة الصبرِ

فقيل ويلك كيف رأيت وأنت أعمي . وقيل للمفلوج غنِّ فقال :

اذا اشتدَّ شوقي وهاج الالمْ * عدوت على بابكم في الظلمْ

فقيل مفلوج يعدو لا تكذب . وقيل للاقطع هات غنِّ فقال :

شبكت كفي على رأسي وقلت لهُ * يا راهب الدير هل مرّت بك الابل

فقالوا انت أكذبنا وأجودنا غناء

الحد الحادي عشر

« في الاخوانيات »

سئل بعضهم عن الاخوة فقال هي الموافقة في التشاكل . وقال ابراهيم الموصلي قلت لاسباط الشيباني صف لي الاخوة وأجز فقال أغصان تغرس في القلوب فتثمر على قدر العقول . وقيل لبعض الحكماء ما الاصدقاء قال نفس واحدة في أجساد متفرقة . قال أمير المؤمنين عليكم باقتناء الاخوان فهم عدة في الدين والدنيا . قيل اغبط الناس من لا يزال رحله من صالح الاخوان موطأ .

وقيل لابقراط ما أفضل ما يقتني الانسان فقال الصديق المخلص . وقال الشاعر :

أخاك أخاك ان من لا أخَ لهُ * كساعٍ الى الهيجا بغير سلاحِ

وقد أحسن الذي قال ان الاخ الصالح خير لك من نفسك لان النفس أمارة بالسوء والاخ لا يأمرك الاَّ بالخير . ولمحمود الوراق :

الا أكثر من الاخوان ما اسطعت انهم * عماد اذا استنجدتهم وظهورُ
فما بكثيرٍ الف خل وصاحبٍ * وان عدوّا واحدًا لكثيرُ

(تفضيل الصديق على النسيب) قيل لعبد الله بن المقفع اصديقك احب اليك أم نسيبك فقال انما احب النسيب اذا كان صديقاً . وقال الاخ نسيب الجسم والصديق نسيب الروح . وقال آخر :

أخو ثقة يسر بحسن حال * وان لم ندنه مني قرابه
أحب اليَّ من الفي قريب * تبيت صدورهم لي مسترابه

وقال بعضهم : الصديق الموافق خير من الشقيق المنافق . وقال بشار :

يخونك ذو القربى مرارا وربما * وفى لك عند الجهل من لا تقاربه

(مدح مصاحبة الاخيار وتجنب الاشرار) قيل صحبة الاخيار تورث الخير وصحبة الاشرار تورث الشر كالريح اذا مرت على النتن حملت نتنا واذا مرت على الطيب حملت طيباً

(الحث على مصاحبه من يُنتفع به) قيل لاتصاحب الا رجلاً ترجو نواله أو تخاف يده أو تستفيد من علمه او ترجو بركه دعائه . وقال أبو جعفر بن محمد عليك بصحبة من صحبته زانك وان خدمته صانك وان نزلت حاجة بك أعانك وان سألته أعطاك وان تركته بداك ان رأى حسنة أظهرها أو سيئة سترها . وقال بعض من سمع ذلك لابن عيينة : ما أراه الا أمره ان لا يصحب أحدا . فقال بلى انه أدرك الناس وهذه الاخلاق فيهم فأوصى بقدر ماعرف

(كون الانسان مصاحباً شكله) قال النبي « صلعم » المرء على دين خليله فلينتظر امرؤ من يخالل . وقال اياس قدمنا بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم في يومين قيل له كيف قال كان معنا خيار وسرار فلحق خيارنا بخياركم وشرارنا بشراركم وألف كل شكله وقيل . أغلب المحبة ما كان عن تشاكل . و بالمشاكلة دوام المواصلة . وقال شاعر :

ولا يصحب الانسان الا نظيره * وان لم يكونا من قبيل ولا بلدْ

وأُخذ جماعة من اللصوص فقال أحدهم أنا كنت مغنياً لهم فقيل له غنِّ فغنى :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي

فقيل له صدقت وأمر بقتله . وقال شاعر :

يقاس المرء بالمرء * اذا ما هو ماشاهُ

وللناس على الناس * مقاييس وأشباهُ

وقيل انظر من تجانس . قال مسكويه :

يقولون لي ان الرئيس محمداً * يؤل الى رأي كريم المناسبِ

فقلت دعوني قد عرفت اختباره * بطلعة منصور وخط ابن كاتبِ

(مصاحبة العقلاء) قيل جالس العقلاء أعداء كانوا أم اصدقاء فالعقل يقع على العقل . وقيل العاقل بخشونة العيش مع العقلاء أشبه منه بلين العيش مع الجهال . وقيل آخِ الكريم واسترسل اليه وعليك ان تصحب العاقل وان لم يكن كريماً تنتفع بعقله واهرب كل الهرب من اللئيم الاحمق . وقيل من صبر مع الاحمق فهو مثله

(صنوف الاخوان) قال لقمان : الاخوان ثلاثة : مخالب ومحاسب ومراغب: فالمخالب الذي ينال من معروفك ولا يكافئك والمحاسب الذي ينيلك بقدر مايصيب منك والمراغب الذي يرغب في مواصلتك بغير طمع . وقال المأمون : الاخوان ثلاثة : أخ كالغذاء لا يحتاج اليه كل وقت وأخ كالدواء يحتاج اليه احياناً

وأخ كالداء لا يحتاج اليه أبدًا

(اختبار الصديق عند الغضب) قيل اذا أردت مصافاة رجل فأغضبه فان ملك نفسه فصاحبه والا فلا تصاحبه . وقال الشاعر :

لا تحمدنّ امرءًا يرضيك ظاهره * واخبر مودته في العتب والغضب

وقيل كان بين حاتم طيّ و بين أوس بن حارثة الطف ما كان بين اثنين فقال النعمان لجلسائه : لأفسدنّ ما بينهما فدخل على أوس فقال ان حاتمًا يزعم انه أفضل منك فقال أبيت اللعن صدق ولو كنت أنا وأهلي وولدي لحاتم لوهبنا في يوم واحد . وخرج فدخل على حاتم فقال له مثل ذلك فقال صدق وأين اقع من اوس وله عشرة ذكورًا دونهم أفضل مني . فقال النعمان ما رأيت افضل منكما . قيل اذا أردت ان تعرف صاحبًا كيف يكون لك فانظر كيف كان لمن قبلك فان احمدته فاستخلصه لك وان ذممته فتنكبه

(الاعتبار بالعين والاعتماد على ما في القلب) قيل اعتبر ما في قلب أخيك بعينه فالعين عنوان القلب . وقيل شاهد الحب والبغض اللحظ فاستنطق العيون تعلم المكنون . وقال اسحاق :

ستور الضمائر مهتوكة * اذا ما تلاحظت الاعينُ

وقال ابن بسام :

الا ان عين المرء عنوان قلبه * تخبر عن أسراره شاء ام أبى

(متابعة الصديق في رشده دون غيه) استشهد ابن الفرات أيام وزارته علي بن عيسى بغير حق فلم ينصره فلما رجع كتب اليه لا تلمني على نكوصي في نصرتك بشهادة زور فانه لا بقاء لاتفاق على نفاق ولا وفاء لذي مين واختلاق وأحرى بمن تعدى الحق في مسرتك اذا رضي ان يتحرى الباطل في مساءتك اذا غضب . وقال الشاعر :

ألم تعلمي اني اذا الالف قادني * الى الجور لا انقاد والالف جائرُ

دعا اعرابي فقال : اللهم اني أعوذ بك ممن لا يلتمس خالص مودتي الا بالتأتي لمواقع شهوتي

(متابعته في غيه ورشده) قال عروة :

وخل كنت عين الرشد منه * اذا نظرت ومستمعًا سميعا
أطاف بغيـةٍ فنهيت عنها * وقلت له أرى أمرًا فظيعا
اردت رشاده جهدي فلما * أبى وعصى عصيناه جميعا

وقال أحمد بن صالح :

انا كالمرآة التي كل وجه بمثاله

(نصرة الصديق في أي حال) قال النبي « صلعم » انصر أخاك ظالمـاً او مظلوماً . وقيل حافظ على الصديق ولو على الحريق . وقيل أفضل الكرم ان يكون الرجل عند النائبة اكرم وفاءً وأمحض صفاء . ولتكن معاونتك أخاك بمهجتك عند البلاء اكثر منها عند الرخاء

(مماراة الصديق) قيل مع الاختلاف طمع في الائتلاف ورب مخالفة دعت الى محالفة ومعاسرة تحمل على المعاشرة . وقيل باحياء الملاطفة تُستمال القلوب العارفة . وقيل استدم مودة أخيك بترك الخلاف تليه ما لم تكن عليك منقصة او غضاضة . وقال يموت بن مزروع : سمعت أبي يقول : قرأت خمسين الف بيت وما وقع لي مثل قوله :

وما أنا بالشيء الذي ليس نافعي * ويغضب منه صاحبي بقؤول

(الاغضاء عن عيب الصديق) قيل ان جعفر الصادق كان يقول لا تعتش على عيب الصديق فتبقى بلا صديق . واحسن ماقيل في هذا المعنى قول بشار :

ان كنت في كل الامور معاتبًا * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبهْ
فعش واحدًا أو صل صديقك انه * مقـارف أمر مرةً ومجانبهْ

اذا انت لم تشرب مراراً على القذى * ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

وقال آخر:

ومن لا يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتبُ
ومن يتتبع جاهداً كل عثرة * يجدها ولا يسلم له الدهر صاحبُ

وقيل لا يجد رفيقاً من لم يزدرد ريقاً . ومن عاتب في كل وقت أخاه فجدير ان يمله ويقلاه . وعلى عكس ذلك قال الشافعي : ليس بأخيك من احتجت الى مداراته

(محافظة من يوفي بمحاسنه على مقابحه) قال الفرزان اذا أردت مصاحبة رجل فانظر فان كانت محاسنه اكثر فارتبطه . وقال ابن المقفع ان في الناس طبائع أربعاً فارتبط من رجحت محاسنه . وقيل لبزرجمهر هل من صديق لا عيب فيه فقال الذي لا عيب فيه يجب ان لا يموت . وقال الشاعر :

وترجعني اليك وان نأت بي * دياري عنك تجربة الرجال

(الاغضاء على اساءة الصديق المدرك) قال ابن المقفع وقد بلغه عن رجل شيء يكرهه: ينبغي للرجل ان يكذب سوء الظن بصديقه ليكون ذا ود صحيح وقلب مستريح . وقال منصور النميري :

اذا ما الصديق أساء مرةً * وقد كان من قبلها مجملا
حفظت المقدم من فعله * ولم يفسد الآخر الاولا

وقيل احتمل لاخيك ثلاثة : الغضب والدالة والهفوة وقيل من صحت مودته احتملت جفوته

(المعاتبة بين الاخوان) قيل ترك المعاتبة دليل على قلة الاكتراث بالصديق والمعاتبة تزيل الموجدة . أفضل المحبة ما كان بعد العتب . وقال الشاعر : « ويبقى الود ما بقي العتابُ » وقيل العتاب حدائق الاحباب . وقال الشاعر :

علامة كل اثنين بينهما هوى * عتابهما في كل حق وباطل

وقيل العتاب ضربان عتاب يحيي المودة وهو ما كان في نفس الود وعتاب يميتها وهو ما كان في ذنب وموجدة . التقى اعرابيان فتعاتبا والى جنبيهما شيخ فقال أنعما عيشاً ان العتاب يبعث التجني والتجني ذريعة المخاصمة والمخاصمة أخت العداوة فانتهيا عما ثمرته العداوة . وقال العباس :

ان بعض العتاب يدعو الى البغض م ويؤذي به المحب الحبيبا

وقال الشاعر :

ودع العتاب فرب أمر م هاج أوله العتاب

(حقوق الاخوان) قيل أقل الناس عقلاً من فرط في اكتساب الاخوان وأقل منه عقلاً من ظفر بأخي صدق فضيعه . وقال عمر : اذا رزقك الله وداً من رجل فتمسك به . وقيل لا يقطع الرجل أخاه الا لواحد من اثنين لا خير فيهما لملاله او لسوء اختياره للصداقة . قال سفيان لرجل لا تكونن صديق عين وعدو غيب . وسئل خالد بن صفوان عما يجب للاخوان قال تجنب طريق النفاق ولا تقصر عن الاستحقاق . قال الشاعر :

ولا تك ممن ان نأى عنه صاحب * فغاب عن العينين غاب عن القلب

(الحث على مداجاة العدو) قيل اذا صافاك عدوك رياء فتلق مصافاته باوكد مودة فانه اذا الف ذلك اعتاده وخلصت مودته . وقال ابن الحنفية ليس بحكيم من لم يعاشر من لم يجد من معاشرته بداً حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً وقال التنوخي :

الق العدو بوجه لا قطوب به * يكاد يقطر من ماء البشاشات

فأحزم الناس من يلقى اعاديه * في جسم حقد وثوب من مودات

(وصف أخوة صادقة) مدح اعرابي صديقاً فقال مجالسته غنيمة وصحبته سليمة ومؤاخاته كريمة وهو كالمسك أن بعته نفق وان تركته عبق . ودع رجل خليله فقال لو علمت ان يومي اهنأ من يومك لاخترت أن أوثرك .

وقال الشاعر :

قد تخللت مسلك الروح مني * وبذا سُمي الخليل خليلا

وقيل لم يُسمع بأطيب وأعذب من قول البحتري :

وجدت نفسك من نفسي بمنزلة * هي المصافاة بين الماء والراحِ

ولآخر :

ونحن كروح بين جسمين قُسما * فجسماهما جسمانِ والروح واحدُ

وقيل اذا سرك ان يثبت لك الصديق فليكن لك عليه الفضل .

وقال الشاعر :

اذا أنت لم تفضل على ذي مودة * وكنت واياه بمنزلة سوا

فلا تك ذا عتب عليه وانما * يعاقب بالذنب المثيب على الرضى

(مشاركة الصديق في سرائه دون ضرائه) قالت امرأة يحيي بن طلحة له : اما ترى أصحابك اذا أيسرت لزموك واذا أعسرت تركوك فقال هذا من كرمهم يأتوننا في حال القوة منا على الاحسان اليهم ويتركوننا في الضعف عنهم

(مشاركة الصديق في ذات اليد) رأى بعض الحكماء رجلين لا يفترقان فسأل عنهما فقيل هما صديقان قال ما بال أحدهما غني والآخر فقير . وقيل لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه . وقال محمد بن علي أيدخل أحدكم يده في كم أخيه فيأخذ حاجته قالوا لا قال فلستم اذا باخوان . قال اكثم بن صيفي حقٌ ان تشارك في النعم من يشاركك في المكاره . وقال أبو تمام :

ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشنِ

(ذم من اعرض عنك في حال يساره) قال محمود :

وكنتَ أخي أيام عودك يابسٌ * فلما اكتسى واخضرّ صرت مع الدهرِ

ولآخر :

ابتاع ودي وهو ذو عسرة * حتى اذا نال الغنى باعه

وقال آخر .

فلا يغرنك اخوان تعدهم * أنت العدو لمن كلفته حاجه

(ذم من تكبر على أصدقائه لغناه وسلطانه) قال الخوارزمي :

وصلتك بالسلطان حتى اذا اعتلى * مكانك واستمكنت لم تملك الحقدا
كمقتدح نارًا بزند لحاجة * فلما تلظت ناره أحرق الزندا

(تغير الاخوان في حال العلاء) قال بعضهم اذا كان لك أخ صافي الود فلا تتمنّ له منزلة فبي ذلك تغيرٌ له عن الوداد . قال الشاعر :

اذا ما أردت وداد امرئ * فلا تدعونّ له بارتقاء

وقال منصور :

اذا رأيت امرءًا في حال عسرته * صافي المودة ما في وده وغلُ
فلا تمنّ له حالا يسر بها * فانه بانتقال الدهر ينتقلُ

قيل لا تنظر الى صديقك اذا بلغ منزلة بعينك التي نظرت اليه بها من قبل واذا جعلك أبًا فاتخذه ربًا . وقال أبو عباد يومًا لابي بكر المقري اياك والدالة في غير مكانها فنحن بالليل اخوان وبالنهار ذوو سلطان . وفرط الادلال يدعو الى الملال

ولما بشر هشام بالخلافة سجد من حوله شكرًا لذلك غير الابرش الكلبي فقال له هشام ما منعك ان تسجد معي قال اني معك ليلاً ونهارًا وغدًا ترقى الى السماء فتنكرني قال بل أصعد بك فقال أما الآن فاني اسجد عشرين سجدة

(تنزيه الاخوان عن الاستخدام) قام عمر ابن عبد العزيز بنفسه فاصلح سراجه فقال واحد من جلسائه الا امرتني فكنت اكفيك قال ليس من المروءة ان يستخدم الرجل جليسه

(خدمة الاخوان) قال النبي « صلعم » سيد القوم خادمهم . وفي المثل : اذا

عزّ أخوك فهن. وقال الشاعر:

كأنه عبد لاخوانه　＊　وليس فيه خلق العبد

(النهي عن ذلك) قال بعضهم ان لكل قوم كلباً فلا تكن كلب اخوانك.

(احتمال اذى الصديق ما لم يكن فيه هوان) قال الشاعر :

سأصبر عن رفيقي ان جفاني　＊　على كل الاذى الا الهوان

وقال جحظة :

وجانب صداقة من لا يزال　＊　على الاصدقاء يرى الفضل لهُ

(الناس اصدقاء ذي المال) قيل لبعض الفضلاء كم لك من صديق قال لا اعلم لان الدنيا مقبلة عليّ والاموال موجودة لديّ وانما أعرف ذلك لو ولت الدنيا. ولما نكب عليّ بن عيسى لم يطر بناحيته أحد فلما رُدت اليه الوزارة رأى الناس حوله فأنشد :

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها　＊　فاينما انقلبت يوماً به انقلبوا

وقال عبد الملك لاصحابه ايكم يصف لي عامة الناس فقال الوليد ابنه : اخوان طمع وأعداء نعم. وقيل اذا احتاج اليك عدوك أحبّ بقاءك واذا استغنى عنك وليك هان عليه موتك

(المودة التي يجلبها الطمع) كل مودة عقدها الطمع حلها اليأس. وقيل اياك ومن مودته لك لحاجة. وقال ابراهيم بن العباس :

وكنت أخي كالدهر حتى اذا نبا　＊　نبوت فلما عاد عدت مع الدهرِ

فلا يوم اقبالي عددتك طائلاً　＊　ولا يوم ادباري عددتك من أمري

(الغيرة على الاخوان) سأل الرشيد رجلاً عن بني أمية فقال : كانوا يتغايرون على الاخوان كتغايرهم على القيان. ومن علامة الصديق ان يكون لصديقه صدوقاً ولعدوه عدوّاً

قيل ليس من المروءة أن تحب ما يبغضه حبيبك . وقال أيوب بن جعفر المأمون أنا أودك مودةً حرة وأبغض اعداءك بغضةً مرة فدل انك تقول فتحسن وتحضر فتزين وتغيب فتؤمن . قال ابن المقفع اذا رأيت صديقك مع عدوك فلا يوحشنك ذلك فانما هو أحد رجلين اذا كان من اخوان الثقة فانفع مواطنه قربه من عدوك شر يكفه وعورة يسترها وغائبة يطلع عليها وان كان غير ثقة فهو أولى به فهبه له

(رفض الحشمة بين الاصدقاء) قال علي (رضه) شر الاخوان من يحتشم منه ويتكلف له . قال المرجي الصوفي اذا صح الود سقطت شروط الادب . وقال الحسن بن وهب اعلم ان المودة لا تتم ما دامت الحشمة عليها مسلطة . وقال بعضهم أسقط عن نفسي نصف هم الدنيا بعشرة من لا احتشمه . وقال الجنيد لا تصحب من تحتاج ان تكتمه مايعرف الله منك

(جلب الاصدقاء) اذا أقبل عليك مقبل بوده فسرك ان لا يدبر عنك فلا تكثر الاقبال عليه فالانسان من شأنه التباعد ممن قرب منه والدنو ممن يتباعد منه

(مباسطة الكرام والانقباض عن اللئام) قال الشاعر :

ومالي وجه في اللئام ولا يد * ولكن وجهي في الكرام عريضُ
اهش اذ لاقيتهم وكانني * اذا انا لاقيت اللئام مريضُ

(الاستكثار من الاصدقاء) قيل لتكن لاخوان عندك كالنار قليلها متاع وكثيرها بوار . وقال الفضيل من سخافة عقل المرء كثرة معارفه . وقال حفص بن حميد من لم ينقص كل يوم صديقاً لا يفلح أبداً وقال الشاعر :

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام او الشراب

(الصديق الصادق) قال الفضيل لسفيان دلني على صديق أركن اليه اذا غبت وآمن معه اذا حضرت فقال تلك ضالة لا توجد . وقيل لرجل من أبعد

الناس سفرًا فقال من كان سفره في طلب أخ صالح . وسمع المأمون أبا العتاهية ينشد :

واني لمحتاج الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

فقال خذ مني الخلافة واعطني هذا الصاحب . وقيل لفيلسوف ما الصديق فقال اسم على غير معنى . وقال أبو فراس :

نعم دعت الدنيا الى الغدر دعوة * أجاب اليها عالم وجهولُ

فياحسرتي من لي بخل موافق * اقول بشجوي مرةً ويقولُ

(التخويف من دغل الاخوان) قال اعرابي اللهم اكفني بوائق الثقات والاغترار بظاهر المودات . وقال آخر اللهم احفظني من الصديق : فقيل كيف . قال لاني متحرز من العدو . وقال علي بن عيسى :

احذر عدوك مرةً * واحذر صديقك الف مره

فلربما انقلب الصديق * فكان أعلم بالمضره

وقيل احذر من تأمنه فودائع الناس لا تضيع الا عند الثقات . وقيل قلّ من يؤذيك الا من تعرفه

(قلة نفع مودة مكرهة) قال الشاعر :

فلا خير في ود امرئ متكاره * عليك ولا في صاحب لا توافقه

وقال آخر :

الا ان خير الود ودٌّ تطوعت * به النفس لا ودٌّ أتى وهو متعبُ

(ذم من يضمر عداوة ويظهر صداقة) قال بعضهم تطن فلانًا يضحك لك وهو يضحك منك فان لم تتخذه عدوًّا في علانيتك فلا تتخذه صديقًا في سريرتك . وقيل من عاشر الاخون بالمكر كافؤوه بالغدر .

قال الشاعر :

اذا أنت فتشت القلوب وجدتها * قلوب أعادٍ في جسوم أصادقِ

(تأسف من تكدر وده بعد الصفاء) قال اعرابي يا حسرتي فقد نضبت من فلان عياب ودي بعد امتلائها واكفهرت وجوه كانت بها فأدبر ما كان مقبلاً وأقبل ما كان مدبراً

(ذم من يتجنى على صديقه) قال الشاعر :

ان الملول اذا أراد قطيعة * ملّ الوصال وقال كان وكانا

وقال ابن المقفع ينبغي للعاقل ان يكذب سوء الظن بصديقه ليكون ذا ودٍ صحيح وقلب مستريح . وقال ابن سيرين اذا بلغك عن صديقك ما تكرهه فالتمس له عذراً فان لم تجد فقل « لعل له عذراً وأنت تلومُ »

(معاتبة من أساء الظن بصديقه) قيل لرجل ما ظنك بأخيك قال ظني بنفسي . وقال المتنبي :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهمِ

وعادى محبيه بقول عداته * فأصبح في داجٍ من الشك مظلمِ

(معاتبة من سلا عن صديقه) قال الشاعر :

مالي جُفيت وكنت لا أجفى * ودلائل الهجران لا تخفى

وأراك تشربني فتمزجني * ولقد عهدتك شاربي صرفا

وقيل من كف عنك أذاه فهو صديق

(صداقة من قدم اخاؤه) قال معاوية لكاتب له : عليك بصاحبك الاقدم فانك تجده على مودة واحدة وان قدم العهد وبعدت الدار واياك وكل مستحدث فانه يجري مع كل ريح . وقيل لا تستبدلنّ أخاً لك قديماً أخاً مستفاداً ما استقام لك . وقال أبو الشيص :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدًا لاول منزل

وقيل عليك بمستظرف الاخوان تستفيد منهم مستطرف الاحسان وتأمن منهم بوائق الشقاق

(العتب على المتلون وذمه) قيل مودته متنقلة كتنقل الافياء واخوته متلونة كتلون الحرباء . وقال صالح :

قل للذي لست أدري من تلونه * أناصح أم على غش يداجيني
تغتابني عند أقوام وتمدحني * في آخرين وكلٌ منك يأتيني

وقال آخر :

أخٌ لي كايام الحياة أخاؤه * تلون الوانًا عليّ خطوبها
اذا عبت منه عيبة فتركته * دعتني اليه خلة لا أعيبها

وكتب عبدالله بن معاوية « قد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك فانك ابتدأتني بلطف من غير خبرة واعقبتني بجفاء من غير ذنب فاطمعني أولك في اخائك وأيأسني آخرك من وفائك فسبحان من لو شاء كشف الغطاء فاقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف » . وقيل لأن ابتلى بمائة جموح لجوج أحب الي من ان ابتلى بمتلون . وقال بعضهم لمغنية :

مرحبًا ثم مرحبا * بحبيب تغضبا

فأجابته :

أنت كالريح لا تدومْ * جنوبًا ولا صبا

(عتب من ترعاه وهو يجفوك)

وأعجب من جفائك لي وصبري * على طول ارتفاعك وانخفاضي
سروري ان تدوم لك الليالي * بما تهوى كأني عنك راضي

(هجر من تبغضه) قال رجل لآخر: لي أخ اذا كلمته آذاني واثمت واذا كرهته أراحني وسلمت . فأنشده :

وفي البعد مسلاة وفي الهجر راحة * وفي الناس ابدال سواه كثيرُ

وقال منصور الفقيه :

ومستوجب شكري باعراضه عني * أجل يد عندي له بعده عني

تلافى بهجري بعض ما كان جره * عليَّ بوصلي قبل اعراضه عني

واعتذر رجل الى آخر بتأخره عنه فقال ما رأيت احساناً يعتذر منه سوى هذا . وقال اسحق الموصلي ذكرت للعباس العلوي رجلاً فقال دعني أتذوّق طعم فراقه فهو والله لا تشجى له النفس ولا يدمي لفراقه الجفن . وقيل لا تصحب من لا يرى لك في الود مثل ما ترى له وقيل شغل المرء بشتغل عنه مسقطة من العيون واقباله على معرض عنه معرضة به لسوء الظنون . وقال الشاعر :

اذا لم يزل صاحب يلتوي * فقطع قرابته أروحُ

ويستحسن في ذلك قول الاقرع بن حابس :

اصد صدود امرئ مجمل * اذا حال ذو الود عن حاله

ولست بمستعتب صاحباً * اذا جعل الهجر من باله

ولكنني قاطع حبله * وذلك فعلي بامثاله

وما ان أدل بحق له * عرفت له حق أدلاله

وأني على كل حال له * من ادبار ود واقباله

اراض لاحسن ما بيننا * بحفظ الاخاء وأجلاله

(ايثار الوحدة) قال النبي « صلعم » أحب العباد الى الله الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا شهدوا لم يقربوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلم . وقال مالك بن دينار اراهب عظني . فقال ان استطعت ان تجعل بينك

و بين الناس سورًا من حديد فافعل . وقيل لسقراط الا تشاهد الملوك فقال وجدت الانفراد بالخلوة أجمع لدواعي السلوة . وقيل لآخر ما تجد في الخلوة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم

وقالوا لقاء الناس أنس وراحة * ولو كنت أرضى الناس ما عشت خاليا

وقيل العزلة تستر الفاقة وترفع ثقل المكافأة . وقيل توحد ما أمكنك فمن وطئته الاعين وطئته الارجل . وقال حكيم: العاقل مستوحش من زمانه منفرد عن اخوانه . وقيل استوحش من الناس كما تستوحش من السبع . وقال الجنيد دخلت على السري فقلت أوصني فقال لا تكن مصاحباً للاشرار ولا تشتغل عن الله بمجالسة الاخيار . وقيل لذي النون . متى أقوى على عزلة الاخيار فقال اذا قويت على عزلة النفس قيل ومتى يصح الزهد قال اذا كنت زاهدًا في نفسك هاربًا من جميع ما يشغلك . قال حاتم الاصم : الزم بيتك فاذا أردت الصاحب فالله يكفيك وان أردت الرفيق فرفيقاك رقيباك وان أردت أنيساً فالقرآن يؤنسك وذكر الموت يعظك

(ذم الخلوة والوحدة) قيل أجهل الناس من استأنس بالوحدة واستكثر من الخلوة . وقيل اياكم والعزلة فان في ملاقاة الناس معتبرا ناهمًا ومتعظًا واسماً فان البيت رمس ما لزمته وقال الشاعر :

وحدة الانسان خيرٌ * من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير * من جلوس المرء وحده

وفي الحديث « المؤمن الذي يخالط الناس و يصبر على اذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس »

(الشكوى من ذهاب الناس) دخل عبيد بن شبرمة على معاوية وقد أتت عليه مائتان وعشرون سنة فقال له ياعبيد ما شهدت من الزمان وما أدركت فقال أدركت الناس يقولون ذهب الناس فلا مرتع ولا مفزع . وكانت عائشة

تنشد قول لبيد :

ذهب الذين يعاش في اكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

فقال ابن عباس لئن شكت في زمانها فقد شكت قوم عاد في زمانهم اذ قد وجدوا في خزائنهم سهماً مكتوباً عليه :

بلاد بها كنا ونحن نحبها * اذ الناس ناس والبلاد بلادُ

قال أبو الدرداء كان الناس ورقاً لا شوك فيه فقد صاروا شوكاً لا ورق فيه ان نافرتهم نفروك وان تركتهم ما تركوك . وقال عدي بن حاتم لمعاوية : معروفك الذي نمده اليوم منكرًا معروف زمان لم يأتِ

(ذم الناس) لما قدم محمد بن عبد الله بن طاهر مدينة السلام كتب الى أخيه وهو بخراسان يشكو اليه قلة الانيس وتأذيه بعضرة الجليس فكتب اليه :

طب عن الامة نفساً * وارضَ بالوحدة انسا

لست بالواجد خلا * او ترد اليوم امسا

ما رأينا احدًا ساوى م على الخبرة فلسا

وقال آخر :

بلوناهمُ واحدًا واحدًا * فكلهمُ ذلك الواحدُ

وقيل لسفيان دلنا على رجل نجالس اليه فقال تلك ضالة لا توجد وكتب بعضهم « أما بعد فاني احمد الله الى الناس وأذم الناس لى ته » . وقال حكيم : من لم يستطع مزايلة الناس بجسده فليزايلهم بقلبه

(قلة الاستغناء عن الناس) قال رجل لابن عباس ادعُ الله ان يغنيني عن الناس فقال ان حوائج الناس تتصل بعضها ببعض كاتصال الاعضاء فمتى يستغني المرء عن بعض جوارحه . ولكن قل اغنني عن شرار الناس . وقيل كان بعضهم يطوف ويقول من يشتري مني اضائع بعشرة آلاف درهم فدعاه بعض الملوك وبذل له المال فقال له اعلم ان الله لم يخلق حلقاً شرًا من الناس وان لم يكن لك بد من

الناس فانظر كيف تحتاج ان تعامل ما لا بد منه ولا غنى بك عنه. ثم قال هل يساوي هذا الكلام عشرة آلاف درهم قال دونك المال فلم يأخذه. وقال بعض العرب طلبت الراحة فلم أجد اروح لنفسي من تركها ما لا يعنيها وتوحشت في البادية فلم أر أوحش من قرين السوء.

قيل فلان مودود في الورى مخصوص بالهوى. وقال التنوخي:

كانك في كل القلوب محببٌ * فأنت الى كل القلوب حبيبُ

وقال آخر:

محبب في جميع الناس ان ذكرت * أخلاقه الغرُّ حتى في أعاديهِ

جاء في الاثر: الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. وقال بعضهم لآخر: اني أحبك فقال رائد ذلك عندي. وقال رجل لعبد الله بن جعفر ان فلاناً يقول انه يحبني فباذا اعلم صدقه قال امتحن قلبه بقلبك فان كنت توده فانه يودك. وشاهد ذلك قول بكر بن النطاح:

وعلى القلوب من القلوب دلائلٌ * بالود قبل تشاهد الارواحِ

وقال آخر:

قل للتي وصفت مودتها * للمستهام بذكرها الصبِ
ما قلتِ الا الحق أعرفه * ان الدليل عليه من قلبي
قلبي وقلبكِ بدعة خلقا * يتجاريان بصادق الحبِّ

وقال آخر

لعمري لقد زعم الزاعمون * بأن القلوب تجاري القلوبا
فلو كان حقاً كما تعلمون * لما كان يجفو حبيب حبيبا

قال رجل لارسطاطاليس عظني قال لا يملأنّ قلبك محبة شيء ولا يستولينّ عليك بغضه واجعلهما قصداً فالقلب كاسمه يتقلب. وقال الوليد لرجل اني أبغضك فقال انما تجزع النساء من فقد المحبة ولكن هذا عدل وانصاف ياأمير المؤمنين. روي في الخبر ان الله اذا أحب عبداً القى محبته في الملاء فلا يمرُّ به أحد الاّ أحبه.

وقالت عائشة رضي الله عنها : جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها . وقال يحيى بن خالد اذا كرهتم الرجل من غير سوء أتاه اليكم فاحذروه واذا أحببتم الرجل من غير خير سبق منه اليكم فارجوه

(كون المبغض معيباً) لما أراد أنوشروان ان يصير ابنه ولي عهده استشار وزراءه فكلٌّ ذكر عيباً فقال بعضهم انه قصير وذلك لا يصلح للملك فقال أنوشروان متعجباً له انه لا يكاد يرى الا راكباً أو جالساً فقال آخر انه ابن رومية فقال الابناء ينسبون الى الآباء وغير الامهات أوعية فقال الموبذ انه مبغض الى الناس فقال حينئذ هذا هو العيب فقد قيل ان من كان فيه خير ولم يكن ذلك الخير محبة الناس له فلا خير فيه ومن كان فيه عيب ولم يكن ذلك العيب بغض الناس فيه فلا عيب فيه . وقال الاحنف يوماً : فقير صدوق خير من غني كذوب . فقال بعض مجالسيه : ووضيع محبب خير من شريف مبغض

(التعريض بثقيل أو بغيض) كان أبو هريرة اذا رأى ثقيلاً قال اللهم اغفر له وأرحنا منه . وقال ثقيل لمريض ما تشتهي قال اشتهي ان لا أراك وقيل ان ثقيلاً قال لاعمى ان الله لم يأخذ من عبد كريمتيه الا عوضه عنهما شيئاً فما الذي عوضك قال ان لا أرى أمثالك . وقيل من ثقل عليك بنفسه وغمك بسوء له فوله اذناً صماء وعيناً عمياء

القسم الثاني

« في الزيارة »

قيل ثلاثة تزيد في الانس : الزيارة والمؤاكلة والمحادثة . وقال بشار :

قد زرتنا مرةً في الدهر واحدة * ثني ولا تجعلنها بيضة الديكِ

وكتب ابن المعتز الى صديق له « طالت علتك او تعاللك وقد اشتد شوقنا اليك فعافاك الله من المرض في بدنك أو اخ ئك و لك ان أتيت فبار منكور وان تأخرت عنا فجفٍ غير معدور . وقال ابراهيم الصولي لا أعرف شعرًا أحسن من قول العباس :

تعال نجدد دارس الوصل بيننا * كلانا على طول البعاد ملومُ

وكتب الصاحب الى أبي اسماعيل بجرجان :

يا أبا بشرنا تأخرت عنا * قد أسأنا لبعد عهدك ظنا

كم تمنيت لي صديقاً صدوقاً * فاذا أنت ذلك المتمنى

فبغصن الشباب لما تثنى * وبعهد الصبا ون بان عنا

كن جوابي لكي ترد شبابي * لا تقل للرسول كان وكنا

وقال البحتري :

حبيب سرى في خفية وعلى ذعرٍ * يجوب الدجى حتى التقينا على قدرِ

فشككت فيه من سرور وخلته * خيالاً سرى في النوم من طيفه يسري

وقال :

وما زارني الا ولهت صبابةً * اليه ولا قلت اهلاً ومرحبا

(البشارة بورود الحبيب) قال الخبزارزي :

ومبشري بقدوم من اهواهُ * لا زال وهو مبشر بمناهُ

عندي له بشرى ولو ملكته * روحي وما لي قل عن بشراه

(زيارة من لا يزورك) كتب بعضهم الى آخر : كل جفوة منك مغفورة للثقة بك وسنأخذ بقول قيس بن الاسلت :

ويكرمها جاراتها فيزرنها * وتعتل عن اتيانهن فتعذرُ

وقال ابن الحجاج :

واني لزوارٌ لمن لا يزورني * اذا لم يكن في وده بمريب

وقال غيره :

لئن عاق جسمي عن لقائك مانعٌ * فما عاق قلبي عن لقائك عائقُ

فان ظهرت مني دلائل جفوةٍ * فما انا الا مخلص الود صادقُ

وقال جحظة :

فان يك عن لقائك غاب وجهي * فلم تغب المودة والاخاء

ولم يزل الثناء عليك يترى * بظهر الغيب يتبعه الثناء

واعتذر بعض الادباء الى اخيه في تأخره فاجابه :

اذا صح الضمير فكل هجر * واعراض يكون له انقضاء

وقيل :

اما الوامق من يحتمل ثقل الجفاء

(استقراب الطريق في زيارة الحبيب) قال الشاعر :

وكنت اذا ما جئت سعدى ازورها * ارى الدار تطوى لي ويدنو بعيدها

وقال ابن ميادة :

اقرب لي دار الحبيب وان نأى * وما دار من ابغضته بقريبِ

وقال العباس :

يقرب الشوق دارًا وهي نازحة * من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

(من حثه شوقه نحو محبوبه) قال الشاعر :

يعتادني طربي اليك ويعتلي * وجدي ويدعوني هواك فاتبعُ

وقال العباس :

لا يهتدي قلبي الى غيركم * كأنما سُدَّت عليه الطريقْ

قال اعرابي :

وان تدعي نجداً ادعه ومن به * وان تسكني نجداً فيا حبذا نجدُ

وقال المهلبي :

ان كنتِ أزمعت في الرحيل فان رأيي في الرحيلِ

او كنتِ قاطنةً أقمت وان منعت دنو سولي

كالنجم يصحب في المسير ولا يزور لدى النزولِ

(معاتبة من ذكر شوقه) قال الشاعر :

يا من شكا عبثاً الينا شوقه * فعل المشوق وليس بالمشتاقِ

لو كنتَ مشتاقاً اليّ تريدني * ما طبت نفساً ساعة بفراقِ

وحفظتني حفظ الخليل خليله * ووفيت لي بالعهد والميثاقِ

(تفضيل التزاور على التجاور) قال عمر « رضه » زاوروا ولا تجاوروا . وقال : ادمان اللقاء سبب الجفاء

(الحث على تقليل الزيارة) قال النبي « صلعم » زر غباً تزدد حباً . وقيل قلة الزيارة أمان من الملالة وكثرة التعاهد سبب التباعد

(تشكوى من خفف الزيارة) قال كشاجم :

بأبي وأمي زائر متقنعُ * لم يخف ضوء الشمس تحت قناعهِ

لم استتمّ عناقه لقدومه * حتى ابتدأت عناقه لوداعهِ

فمضى وأبقى في فؤادي حسرةً * تركته موقوفاً على اوجاعهِ

وقال آخر :

ألمّ بالباب أخو نجوة * ما ضره لو دخل الدارا

نفسي فدا لك من زائر * ماحل حتى قيل قد سارا

وقال اسحاق : كنت أزور العباس بن الحسن فتأخرت عنه مدة مديدة فقال

لي أذقتنا نفسك فلما استعذبناك لفظتنا . وكان بعضهم يختلف الى الاعشى فتأخر عنه أياماً فلقيه فأنشده :

ولجّ بك الهجران حتى كأنما * ترى الموت في البيت الذي كنت تألفه

وللعباس بن الاحنف :

من سائل بدر الدجى * ما باله ترك الطلوعا

وقال ابن الرومي :

يعتلّ بالشغل عنا ما يزاورنا * والشغل للقلب ليس الشغل للبدنِ

(شكوى من قل الالتقاء معه) قال ابن سكرة :

ان اغبْ لم تغب وان لم تغب * غبتُ كأنّ افتراقنا باتفاقِ

وقال الصنوبري :

اذا حضرنا غبتَ أو لم تغب * تحضرْ فنحن الورد والنرجسُ

لم يُجمعا للعين في روضة * قط ولم يجمعهما مجلسُ

(زيارة من لا تحبه) قالت اعرابية :

فلا تحمدوني في الزيارة انني * ازوركمُ ان لم أجد متعللا

و بعث عمرو بن مسعدة الى أبي العتاهية فاستزاره فقال :

اكسلني اليأس منك عنك فما * ارفع عيني اليك من كسلي

اني اذا ما الصديق أوحشني * قطعت منه حبائل الاملِ

وقال آخر :

اذا ما تقاطعنا ونحن ببلدة * فما فضل قرب الدار منا على البعدِ

(القيام للصديق الزائر) كان الاحنف مستنداً الى سارية في المسجد وحده فأقبل بعض اخوانه فتنحى له عن مجلسه فقال يا أبا بحر ما عندك من أحد ولا مجلسك ضيق فلمَ تنحيت . قال كرهت ان تظن اني لم أهش لزيارتك ومجيئك فشكرت ذلك بأقرب ما حضرني من الاكرام . وقال الشاعر :

فلما بصرنا به ماثلا * حللنا الحبا وابتدرنا القياما

فلا تنكرن قيامي له * فان الكريم يجل الكراما

الحد الثاني عشر

« في الغزل وما يتعلق به »

القسم الاول

« في أوصاف الهوى وأحوال الفراق »

(ماهية العشق) سُئل بعض الفلاسفة عن العشق فقال جنون الهي لا محمود ولا مذموم • وسئل عنه آخر فقال حركة النفس الفارغة • وقال الشاعر :

هل الحب الا زفرة بعد زفرة * وحر على الاحشاء ليس له بردُ
وفيض دموع العين يا ميّ كلما * بدا علم من أرضكم لم يكن يبدو

وقال بعض الصوفية : الهوى محنة امتحن الله بها خلقه يستدل به على طاعة خالقهم ورازقهم • وقيل لبعضهم ما العشق فقال ارتياح في الخلقة وفرح يجول في الروح وسرور ينساب في أجزاء القوى • وقال العيني سألت اعرابياً عن الهوى فقال هو أظهر من ان يخفى وأخفى من ان يُرى كامن كمون النار في الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى

(فروع الهوى وأنواعه) قال العلماء الهوى أنواع أوله العلاقة وهو الشيء يحدثه النظر والسمع فيخطر بالبال ثم ينمو فيقوى فيصير محبة والحب اسم مشترك يجمع ضروباً من ميل النفس كحب الولد والمال ثم الهوى ثم المودة ثم الصبابة ثم العشق ثم الوله والهيام والتتيم وهو أرفع درجات الحب لانه التعبد • وسئل بعض

الصوفية عن الحب والهوى فقال الهوى يحل في القلب والمحبة يحل فيها القلب . وقيل العشق اسم لما يفضل من المحبة كما ان السخاء اسم لما جاوز الجود و ... اسم لما قصر عن الاقتصاد والهوج اسم لما فضل عن الشجاعة . وقال بعض الفلاسفة الحب والعشق والهوى من جنس لكن العشق اشتهار وتضرع و لوجد هو الحب الساكن الذي اذا رأى صاحبه شغف به واذا غاب لهج بذكره والهوى ماتبعه النفس غياً كان أم رشداً حسناً كان أو قبيحاً ولذلك ذمه الله تعالى بقوله : « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله »

(الاسباب المولدة للعشق) زعم بعض المتفلسفين ان الله تعالى خلق الارواح كلها كهيئة كرة ثم قطعها انصافاً فجعل في كل جسد نصفاً فكل جسد لقي الجسد الذي فيه نصفه حصل بينهما عشق وتفاوت حالها في القوة والضعف على حسب رقة الطبائع . وقال الصمد المري :

وما العشق الا النار توقد في الحشا ۞ وتذكى اذا اضمت عليه الجوانح

(شدة معاناة العشق) قال اعرابي ما أشد جولة الرأي عند الهوى ... النفس عند الصبا ولقد تسدعت كبدي للمحبين فوم العاذلين قرطة في آذانهم وار موججة في أبدانهم لهم دموع على المعاني كغروب السواني . وقيل كل شهوة تخطر فمداواتها سهلة ما خلا العشق

(ما يولده العشق من الاخلاق الحميدة) شكا معلم سعيد بن مسلمة ولده اليه فقال انه مشتغل بالعشق فقال دعه فانه يلطف وينظف ويظرف . وكان ذو الرياستين يبعث احداث أهله الى شيخ يعلمهم الحكمة فقال لهم يوماً هل فيكم عاشق قالوا لا قال اعشقوا واياكم والحرام فالعشق يفصح الفتى ويذكي البليد ويسخي البخيل ويبعث على التنظيف وتحسين الملبس فلما انصرفوا قال لهم ذو الرياستين ما استفدتم اليوم قالوا كذا وكذا قال نعم . روي ان بهرام جور ... ابن أهله للملك بعده وكان ساقط الهمة رديء النفس سيء الخلق فعمه ... ووكل به من يعلمه فلم يكن يتعلم فقال معلمه كنا نرجوه على حال تحدر منه

ما أيأسنا منه وهو انه عشق بنت المرزبان فقال الآن رجوت فلاحه ثم دعا أبا الجارية فقال اني مستسر اليك سرًّا فلا يعدونك اعلم ان ابني عشق ابنتك وأريد ان ازوجها منه فمرها بأن تطمعه من غير ان يراها فاذا استحكم طمعه فيها اعلمته انها راغبة عنه لقلة أدبه ثم قال للمعلم خوفه بي وشجعه على مراسلة المرأة ففعلت المرأة ما أمرت به فقال الغلام في نفسه أنا اجتهد في تحصيل ما اصل اليها به فأخذ في التأدب وتعلم الشجاعة . ثم قال أبوه للمؤدب شجعه على ان يرفع أمرها اليّ و يسألني أن ازوجها منه ففعل فزوجها من ابنه وقال لا تزدرينّ بها في مراسلتها اليك فاني كنت أمرتها بذلك وان من صار سبباً لعقلك فهو أعظم الناس بركة عليك . وقال الشاعر :

لا عار في الحب ان الحب مكرمة * لكنه ربما أزرى بذي الخطرِ

وقيل لو لم يكن في العشق الا انه يشجع الجبان ويصفي الاذهان ويبعث حزم العاجز لكفاه شرفاً

(ذم من لا يعشق) قال اعرابي من لا يعشق فهو رديء التركيب جافي الطبع كز المعاطف . وقال أبو مليكة :

من عاش في الدنيا بغير حبيبِ * فحياته فيها حياة غريبِ

ما تنظر العنان أحسن منظرًا * من طالب الفاو من مطلوبِ

ما كان في حور الجنان لآدم * لو لم تكن حواء من مرغوبِ

قد كان في الفردوس يشكو وحشةً * فيها ولم يأنس بغير حبيبِ

وقال العباس بن الاحنف :

أستغفر الله الا من محبتكم * فانها حسناتي يوم ألقاهُ

فان زعمتِ بان الحب معصية * فالحب أحسن ما يُعصى به اللهُ

(من قهره الهوى عن عزه) كان للرشيد ثلاث جوار اشتد شغفه بهنّ فقال :

ملك الثلاث الآنسات عناني * وحللنَ من قلبي بكل مكانِ

مالي تطاوعني البرية كلها * وأطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك الا ان سلطان الهوى * وبه قوينَ أعز من سلطاني

وقال كثير :

ضعائف يقتلن الرجال بلا دم * فيا عجبا للقاتلات الضعائفِ

قيل لرجل ان ابنك قد عشق فقال عذب قلبه وأبكى عينه وأطال سقمه . وقال بعض الفلاسفة لم أرَ حقاً أشبه بباطل من العشق هزله جد وجده هزل أوله لعب وآخره عطب . وقال الشاعر :

* ان التذلل في حكم الهوى شرفُ *

وقيل التذلل للحبيب من شيم الاريب . قال الاصمعي غضب الفضل بن يحيى على جارية فبعثت اليَّ تسألني ان استرضيه فسألته فقال الذنب ذنبها فقلت وكيف موقعها من قلبك أيها الامير قال أحسن موقع وانما أريد بهذا الهجر تهذيبها قلت فاستعمل فيها وصية العباس بن الاحنف قال وما هي قلت :

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوماً فقل أنا ظالمُ
فانك ان لم تغفر الذنب في الهوى * تفارق من تهوى وأنفك راغمُ

(وصف الهوى) وصف اعرابي الهوى فقال هو طرف من الجنون ان لم يكن عصارة السحر . وقال غيلان بن عقبة :

هو السحر الا ان للسحر رقية * وانيَ لا ألقى من الحب راقيا

وقال ابن الرومي :

أهوى الهوى كل ذي لب فلست ترى * الا صحيحاً له أفعال مجنونِ

(مغالبة الهوى) قيل مغالب الهوى كمغالب الدنيا . وقال الشاعر :

لقد كنت أعلو الحب حيناً فلم يزل * بيَ النقض والابرام حتى علانيا

(استعظام المحبوب وجلالته في عين المحب) يستحسن في ذلك قول بعضهم :

أهابك اجلالاً وما بك قدرة * علي ولكن ملء عين حبيبها

قيل لابي العتاهية أي شعرك أعجب اليك قال قولي :

قال لي أحمد ولم يدرِ ما بي * أتحب الغداة عتبة حقا
فتنفست ثم قلت نعم حبا م جرى في العروق عرقاً فعرقا

قال رجل لمحبوبه حبك متول على فؤادي وذكرك سميري فقال له محبوبه اما أنا فلا أحب ان يقع طرفي على سؤال عمر بن أبي ربيعة :

فمن كان لا يعدو هواه لسانه * فقد سار في قلبي هواك وخيما
وليس بتزوين اللسان وصونه * ولكنه قد خالط اللحم والدما

(من قلبه ناصر محبوبه عليه) قال العباس بن الاحنف :

قلبي الى ما ضرني داعي * يكثر أسقامي واوجاعي
كيف احتراسي من عدوي اذا * كان عدوي بين اضلاعي

وقال آخر :

أقامت على قلبي رقيباً وناظري * فليس يؤدي عن سواها الى قلبي

(قتيل الهوى شهيد) روي في الخبر من عشق فعف فمات مات شهيداً .
وقال الفتح بن خاقان :

زفرة في الهوى احط لذنب * من غزاة وحجة مبروره

وقال المهلب :

اشتهي الآن ان أصلي على نعش م محب قد مات في الحب وجدا

قيل ذنوب المشاق ذنوب اضطرار لا اختيار وما كان كذلك لم يستحق عقوبة . قال عبد الله بن جندب خرجت فرأيت فساقاً فيهن امرأة كأنها مخروطة من فضة فتمثلت بقول قيس بن ذريح :

خذوا بدمي ان مت كل خريدة * مريضة جفن العين والطرف فاتر

فقالت المرأة يا ابن جندب ان قتيلنا لا يؤدى وأسيرنا لا يفدى . وقال مسلم بن الوليد :

أديرا عليّ الكاس لا تشربا قبلي * ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي

وقال الشاعر :

خليليَّ ان حانت وفاتي فاطلبا * دمي من سليمى واطلبا بجميلِ

وقال الحسين بن الضحاك :

غزال ما اجتلاه الطرف الا * تحير في ملاحة وجنتيه

خذوا بدمي محاسنه وخصوا * مقبله وبرد ثنيتيهِ

وقال أحمد بن يوسف :

وفي الموت لي من لوعة الحب راحة * ولكنني أخشى ندامتها بعدي

(استطابة الاذى في معاناة الهوى) قال المجنون :

يقولون ليلى عذبتك بحبها * الا حبذا ذاك الحبيب المعذبُ

وقال آخر :

تشكى المحبون الصبابة ليتني * تحملت ما يلقون من بينهم وحدي

فكانت لنفسي لذة الحب كلها * فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

وقال المتنبي :

ضنى في الهوى كالسم في الشهد كامناً * لذذت به جهلاً وفي لذتي حتفُ

وقال :

لو قلت للدنف الحزين فديته * مما به لاغرته بفدائهِ

(التبرم بالهوى) قال محمد بن عبد الله بن طاهر :

ليت الهوى لم يكن بيني وبينكمُ * وليت معرفتي اياك لم تكنِ

وقال البحتري :

رحلوا فأية عبرة لم تسكبِ * أسفاً وأي عزيمة لم تغلبِ

لو كنت شاهدنا وماصنع الهوى * بقلوبنا لحسدت من لم يحببِ

وقال الخوارزمي :

وهذا الهوى عيش المحب اذا صفا * ولكن اذ لم يصفُ كان له حتفا

وقال وهب الهمذاني :

على سريري . وقال بشار :

سبقت بالحب سلمى غيرها * وأحق الناس عندي من سبقْ

وقال الشاعر :

أنا مبتلى ببليتين من الهوى * شوقي الى الثاني وذكر الاول

قسم الفؤاد لحرمة ولذة * في الحب من ماض ومن مستقبل

وقال أبو تمام :

وقالت أنيسي البدر قلت تجلّدًا * اذا الشمس لم تغرب فلا طلع البدرُ

(من ذكر كثرة من يهواهم) قال ابن أبي طاهر :

عدمت فؤادي من فؤاد فما أشقى * وأكثر من يهوى وأعظم ما يلقى

فلو كان يهوى واحدًا لعذرته * ولكنه من جهله يعشق الخلقا

ثمانون لي في كل يوم أحبهم * وما في فؤادي واحد منهم يبقى

(مجارات الحبيب) طريقة يختارها قوم فيطيب عيشهم وان كان لا يرضاها من يتكلم في العشق من حكام أربابه . قال الشاعر :

تمتع بها ما ساعفتك ولا يكن * عليك شجى في الصدر حين تبينُ

(تأسف من يحب من لا يحبه) قال اشجع :

وموت الفتى خير له من حياته * اذا كان ذا حالين يصبو ولا يصبي

ويستظرف للمتنبي :

أنت الحبيب ولكني أعوذ به * من ان أكون محبًا غير محبوب

قال بعضهم وجدت بمكة شابًا مصفرًا ناحلاً فسألته عن حاله فقال بليت بوصيفة غذ عمر . را ن مالي في ثمنها ونقمتها وليست تحبني فقلت استمتع بها وعددنا بعض نعم الدنيا والآخرة : هل تحبك العافية هل تحبك الصحة هل يحبك المال هل تحبك الجنة فقال لا فقلت اليس تحب كل ذلك وتتمتع به مع انه لا يحبك فهبها بعض نعيم دنياك وآخرتك ثمام كالمسرور ورجع اليها وسامحها في سوء خلقها حتى رجع الله تعالى بقلبها اليه وطاب عيشه معها

(تأسف من يزداد صفاء بجفاء محبوبه) قال أبو العتاهية :

ولي فؤاد اذا طال العذاب به * هام اشتياقاً الى لقيا معذبه
يفديك بالنفس صب لو يكون له * أعز من نفسه شيء فداك به

(من ذكر مساواة محبوبه في المحبة) قال بعضهم :

ان التي زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها

وقال ابراهيم المهاشي :

وتخبرني عن قلبها فكأنها * اذا صدقت عنه تحدث عن قلبي

وقال أبو عنبسة :

كلانا سواء في الهوى غير انها * تجلد أحياناً وما بي تجلدُ

وقال الوفاء :

شكوت الذي تشكو اليّ كانما * تجن ضلوعي ما تجن ضلوعها

وقال بعض الصوفية :

روحه روحي وروحي روحه * ان يشأ شئت وان شئت يشا

(تعارف القلوب مودات الاحباب) قال النبي « صلعم » الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف . وقال بكر بن النطاح :

وعلى القلوب من القلوب دلائل * بالود قبل تشاهد الاشباح

وقال العباس بن الاحنف :

قل للتي وصفت مودتها * للمستهام بذكرها الصب
ما قلت الا الحق أعرفه * ن ندليل عليه من قلبي
قلبي وقلبك بدعة خلما * يتجاريان بصدق الحب

(محبة من لا يعرف الهوى) قال العباس بن الاحنف :

وجاهلة بالحب لم تبلُ طعمه * وقد تركتني أعلم الناس بالحبّ

(محبة كلّ مات بالمحبوب) قال قيس بن ذريح :

وداعٍ دعا اذ نحن بالخيف من منى * فهيج أحزان الفؤاد وما يدري

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * أهاج بليلى طائراً كان في صدري

(من هانت نفسه عليه لاستخفاف محبوبه بها) قال الشاعر :

ان الذين بخير كنت تذكرهم * قد أهلكوك وعنهم كنت انهاكا

لا تطلبن حياة عند غيرهم * فليس يحييك الا من توفاكا

(المدعي عشقاً من غير عيان) قال بشار :

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقةٌ * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم * الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

وقال ابن الرومي :

هويتك ناشئاً قبل التلاقي * هوى حدثاً تكهل باكتهالي

وكل مودة قبل اختبار * فتلك هوى طبائع الانتحالِ

(من فقدته العين ولم يفقده القلب) قال الشاعر :

بنتم عن العين القريحة فيكمُ * وسكنتمُ مني فؤاد الوالهِ

وقال ابن فتير :

ان كنت لست معي فالذكر منك ثوى * قلبي القريح وان غيبت عن بصري

العين تبصر من تهوى وتحرمه * وانما القلب لا يخلو من الفكرِ

وقال البحتري :

ان جرى بيننا وبينك هجرٌ * وتناءت منا ومنك الديارُ

فالغليل الذي عهدت مقيم * والدموع التي عهدت غزارُ

(تذكر المحبوب) قال عمر بن ابي ربيعة :

اذا طلعت شمس النهار ذكرتها * وأحدث ذكراها اذ الشمس تغربُ

وقالت الخنساء :

يذكرني طلوع الشمس صخراً * واذكره لكل غروب شمسِ

(من لم يوجعه بعد محبوبه لتصوره) قال الشاعر :

ان التباعد لا يضرُّ اذا تقاربت القلوب

قال ابن المعتز :

ما أبالي بظنون * وعيون القبيحا
لي من ذكرك مرآة م أرى وجهك فيها

(تذكر المحبوب في الخفض والشدة) قال الشاعر :

اصحنا وقيداً واشتياقاً وعبرة * ونأي حبيب ان ذا لعظيمُ
وان امرءاً دامت مواثيق عهده * على مثل ما قاسيته لكريمُ

(تذكره بضرب من المشابهة) كتب بعض البلغاء « يذكرناك ريح الشمول وريح الشمال » . قال البحتري :

كأس تذكرني الحبيب بلونها * وبشمها وبطعمها وحبابها

وقال بعض المحدثين :

اذا ما طمحت الى ريقه * جعلت المدامة منه بديلا
وأين المدامة من ريقه * ولكن أعلل قلباً عليلا

(الاستحياء من المحبوب بظهر الغيب) قال جميل :

واني لاستحييك حتى كأنما * عليَّ بظهر الغيب منك رقيبُ

(ذكره في الصلاة) قال المجنون :

أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها * اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا

وقال الخبزرزي :

الفت هواك حتى صرت أهذي * بذكرك في الركوع وفي السجودِ

(التلذذ بذكره) قال الشاعر :

اشربْ على ذكرهم ان حيل بينهمُ * عشاق منهم على ذكر اذا شربوا

وقال محمد بن أمية :

أقول لهم كروا الحديث الذي مضى * وذكرك من بين الانام أريدُ
أناشده الا اعاد حديثه * كأني بطيء الفهم حين يعيدُ

قيل لابي المجنون لو خرجت الى مكة تكون بعيداً عن ليلى فعساه يتسلى . ففعل

فسمع يوماً انساناً يقول يا ليلى فغشي عليه فلما أفاق قيل له مالك فقال :

واني لتعروني لذكراك هزة * لها بين جلدي والعظام دبيبُ

(من خط صورة محبوبه وشكا اليها) قال ابو نواس :

اذا ما الشوق أقلقني اليه * ولم أطمع بوصل من لديه

خططت مثاله في بطن كفي * وقلت مقلتي فيضي عليه

وقال بشار :

خططت مثالها وجلست أشكو * اليها ما لقيت على انتحاب

كأني عندها أشكو همومي * اليها والمودة على التراب

(الاستقاء لماضي الزمن) قال الشاعر :

سقى الله اياماً لنا ولياليا * مضين فلا يرجى لهن طلوعُ

اذ العيش صاف والاحبة جيرة * جميع واذ كل الزمان ربيعُ

واذ أنا أما للعواذل في الهوى * فعاص وأما للهوى فمطيعُ

قال الصاحب في هذا الشعر : ان شئت كان درا في شمله وان شئت فمراقي في حلته . وقال البحتري :

والعيش غضٌّ والحياة لذيذة * والحادثات عن الزمان بمعزلِ

وقال آخر :

سقيا لايام تولت بها * احسن ما كانت صروف الزمن

ولت فما الدنيا بأقطارها * لليوم والساعة منها ثمنْ

(تمني عود الايام السالفة) قال بعضهم :

ولو انني أعطيت من دهري المنى * وما كل من يعطى المنى بمسدد

لقلت لايام مضين الا ارجعي * وقلت لايام اتين الا ابعدي

وقال آخر :

خليليَّ ما بالعيش عتب لو اننا * وجدنا لايام الحمى من يعيدها

(من هيجه الحمام بتغريده) أحسن ما قيل في هذا المعنى ما قيل في

بكاء الحمام :

وقبليَ ابكى كل من كان ذا هوى * هتوف البواكي والديار البلاقعُ
ومر على الاطلال من كل جانب * نوائح ماتخضل منها المدامعُ
ترى طرزًا بين الخوافي كأنما * حواشي برود احكمتها الوشائعُ
ومن قطع الياقوت صيغت عيونها * خواضب بالحناء منها الاصابعُ

وقال آخر :

ياويح قمرية غنت لنا هزجاً * مما تغني بنظم جد متزنِ
قد كنت و قمة دهراً على فنن * فصرت في جوف منحوت من القننِ
فخبرينا وما القول مخبرة * اتسجعين للهو منك ام شجنِ
وفي الفؤاد هموم ست مظمرها * خرف الوتاة واشفاقاً من الزمنِ

(التذكر بالبرق) قال أبو سعيد بن فوقة :

اذا أومض البرق من أرضها * تمثل لي انها تبتسمْ
واذكرها في المحل الجديب * فتخصب من دمعي المنسجمْ

(التذكر والشوق بهبوب الريح) قال الشاعر :

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد * لقد زادني مسراك وجدًا على وجدِ

وقال عبد الله بن أمية :

هبت شمالاً فقيل من بلد * أنت بها طاب ذلك البلد
فقبل الريح من صبابته * ما قبل الريح قبلهُ أحد

(في التوديع والفراق) لبعضهم :

تمتع من حبيب بالوداع * فما بعد الفراق من اجتماعِ
فلم أرى في الذي لاقيت شيئا * امر من الفراق بلا وداع

وقال الموسوي :

وافجع الناس من سارت حبائبه * ولا عناق ولا ضم ولا قبلُ

(التوديع بالاشارة) قال الاصمعي سمعت اعرابياً يخطب آخر ويقول لا شيعنا

الحي وفيهم أدوية السقام فأشرنا بالحدق الى السلام وجمدت الالسن عن الكلام»
خرج رجل في سفر وكانت له ابنة عم يحبها فقال :

ولما تبدت للرحيل جمالنا * وجدّ بنا سير وفاضت مدامعُ
اشارت بأطراف البنان وسلمت * وأومت بعينيها متى أنت راجعُ
فقلت لها والقلب فيه حرارة * فديتك ما علمي بما الله صانعُ

(استطابة التوديع طمعاً في لقاء الحبيب) قال الشاعر :

ليس عندي خطب النوى بعظيم * فيه روح وفيه كشف غموم
ان فيه اعتناقة لوداع * وانتظار اعتناقة لقدوم

وقال آخر :

ولو فهم الناس التلاقي وحسنه * لحبب من أجل التلاقي التفرقُ
فيا حسننا والدمع بالدمع واشجٌ * يمازجه والخد بالخد ملصقُ
وقد ضمنا وشك التلاقي ولفنا * عناق على أعناقنا ثم ضيقُ
فلم ترَ الا مخبراً عن صبابة * بشكوى والا عبرة تترقرقُ
ومن قبل قبل التلاقي وبعده * نكاد بها من شدة اللثم نشرقُ

(عذر تارك توديع محبوبه) كتب بعضهم : ما أعرضت عن تشييعك الا استفظاعاً لتوديعك وما كرهت توديعك الا كراهة تجديد العهد بفراقك . وقال الصنوبري :

بأبي من هربت من توديعه * وبعثت الدموع في تشييعه

(البكاء عند التوديع) لما أراد عبد الملك الخروج الى مصعب بن الزبير تعلقت به امرأته عاتكة فبكت وأبكت جواريها فقال عبد الملك قاتل الله ابن أبي جمعة حيث قال :

اذا ما أراد الغزو لم يثنِ عزمه * حصان عليها نظم درّ يزينها
نهته فلما لم ترَ النهي عاقه * بكت فبكى مما دهاها قطينها

وقال آخر :

وبما دهاني انها يوم أعرضتْ * تولت وماء العين في الجفن حائرُ
فلما أعادت من بعيد بنظرة * اليَّ التفاتاً اسلمته المحاجرُ

وقال آخر :

سقى الله ركباً ودعوا يوم ودعوا * وعيرهم شوقي وحاديهم وجدي
غداة مضت واستوثقني عبرة * اسائل في سعد عن القمر السعدي

(ارتحال القلب بارتحال المحب) قال أبو تمام :

قالوا الرحيل فما شككت بأنه * نفسي عن الدنيا تريد رحيلا

وكتب بعضهم « يوم توديعك ودعت قلبي فهو يتصرف بتصرفك و ينصرف بنصرفك» . و قال الشاعر :

لئن بعدتْ عنك أجسادنا * لقد سافرت معك الانفسُ

وقال أبو تمام :

تكاد تنتقل الارواح لو تركت * من الجسوم اليها حين تنتقلُ

(من ارتحل فخلف قلبه عند حبه) قال الخبزارزي :

أنا غائب والقلب عندك حاضرُ * سافرت عنك وما الفؤاد مسافرُ

وقال آخر :

وان يرتحل جسمي مع الركب مكرهاً * يقمْ عنده قلبي وامضي بلا قلبِ

وقال المتنبي :

فجد لي بقلب ان رحلت فانني * أخاف قلبي عند من فضله عندي
ولو فارقت جسمي اليك حياته * لقالت أصبت غير مذمومة العهد

(شدة الفرقة) قيل لبعض الصوفية لم تصفر الشمس عند الغروب فقال خوفاً من الفراق . وقال الاستاذ الرئيس :

لا تركنن الى الوداع * وان سكنت الى العناق
فالشمس عند غروبها * تصفر من خوف الفراق

وقيل ما أشد صدع الفراق بين الرفاق . وقيل كبدي بيد الشوق مخطوفة وعيني بقذى الفراق مطروفة

(الحذر من الفراق) قال اشجع :

ومحاذر للبين قد * وقع الذي يخشى حذاره

وقال آخر :

كفى حزناً انّ زوارنا * لوقت الرواح أرادوا الغروبا
فلو كنت بالشمس ذا طاقة * لطال على الناس حتى تغيبا

(كون الفرقة كالمنية) قيل لكل جليلة دقيقة ودقيقة الموت الفراق .

وقال أبو تمام :

لو حار مرتاد المنية لم يجدْ * الا الفراق على النفوس دليلاً

وقال المتنبي :

لولا مفارقة الاحباب ما وجدتْ * لها المنايا الى أرواحنا سبلا

(بغض الوقت الذي يعرض فيه الفراق) قال ابو تمام :

ان يوم الفراق يوم عبوسٌ * أي سيل تسيل فيه النفوسُ
لم أزل أبغض الخميس ولم أدرِ م لماذا حتى دهاني الخميسُ

(استقباح الحياة بعد ارتحال الحبيب) قال التنوخي :

اذا بان محبوب وعاش محبه * فذاك كذوب في الهوى غير صادقِ

وقال :

أوليس من أحدى العجائب انني * فارقته وحييت بعد فراقهِ

(مفارقة المحبوب قبل التمتع به) قال الخبز زاري :

استودع الله أحباباً فجعت بهم * بانوا فما زودوني غير تعذيبي
بانوا ولم يقضِ زيد منهم وطراً * وما انقضت حاجة في نفس يعقوبِ

وقال ابن الاحنف :

سألونا عن حالنا كيف انتم * فقرناً وداعهم بالسؤال
ما أناخوا حتى ارتحلنا فما نفـ * ـرق بين النزول والارتحال

وقال محمد بن أمية :

يا فراقاً أتى بعيد تلاق * واتفاقاً جرى بغير اتفاق
حين حطت ركابنا لتلاق * زمت العيس منهم لفراق
ان نفسي بالشام ذ انت فيها * ليس نفسي نفسي التي بالعراق
اشتهي ان يرى فؤادي فيدري * كيف وجدي بهم وكيف احتراقي

(كون من تباعد عن محبوبه في غربة) قال الشاعر :

فلا تحسبي ان الغريب الذي نأى * ولكن من تنأين عنه غريبُ

وقال الخبزارزي :

اني لفي غربة مذ غبت يا سكني * وان ظللت أرى في الأهل والوطن

وقال المتنبي :

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * ان لا تفارقهم فالراحلون همُ

(التلفت الى المحبوب بعد الارتحال عنه) قال الشاعر :

ماسرت ميلاً ولا جاوزت مرحلة * الا وذكرك يلوي دائماً عنقي

وقال المتنبي :

أفي الوداعة [illegible] * [illegible] فؤاده بين زفرات [illegible]

وقال ابن المعتز :

لست أنسى [illegible] * والتفاتي وقد نظرت اليه
وكلانا من التأسف والوجـ * ـد على النفس يعض يديه

(تسلط أيام البين على وصل الاحباب) قال الشاعر :

فرّق البين [illegible] * دخلت بينه لليلي و[illegible]

وقال جحظة :

جرت نوب الايام بيني و بينه * فلم يبقَ الا ما أعيد من الذكرِ

وقال أبو تمام :

عبث الفراق بعينه وبقلبه * عبثاً يروح الجد فيه ويغتدي

(وصف الدهر والنوى) قال محمد بن وهب :

اذا ما سموتُ الى وصله * تعرض لي دونه عائقُ

وحاربني فيه ريب الزمان * كأن الزمان له عاشقُ

(التحذير من مفارقة الحبيب) قال الشاعر :

أترحل طوع النفس عمن تحبه * وتبكي كما يبكي المفارق عن قهر

أقم لا تسر والحزن عنك بمعزلٍ * ودمعك باقٍ في مآقيك لا يجري

(الندم على مفارقته) قال المهلبي :

من ذا ألوم أنا جنيـ * ـت فراق من ابكي عليه

(من ارتحل عنه فأسرع العود شوقاً اليه) قيل لجميل أما سمعت قول ابن عمك زهير بن حباب:

اذا ماشئت أن تسلو خليلاً * فاكثر دونه عدد الليالي

فما أسلى حبيباً مثل نأي * ولا ابلى جديداً كابتذالِ

ثم قالوا فلو نأيت عنها اسلوت . فخرج عنها ليلةً ثم رجع وهو يقول :

لحى الله اقواماً يقولون اننا * وجدنا طويل النأي للحب شافيا

خرج المهدي يريد منزل حسنة فلما بلغ دارها ورفعت استارها اشتاق الى الخيزران فكرّ راجعاً وقال واسوأتاه من حسنة فاني والله اصابني كما اصاب من يقول :

بينما نحن بالبلاكث فالقا * ع سراعاً والعيس تهوي هويّا

خطرتْ خطرة على القلب من * ذكراك وهناً فما استطعت مضيّا

قلت لبيك اذ دعاني لك الشو * ق وللحاديين كرا المطيا

وقال أشجع :

فما أنت تبكي وهم جيرة * فكيف تكون اذا ودعوا

وقال أبو فراس :

حملت هواك لا جلدا ولكن * صبرت على اختيارك لا اختياري

(المفارقة كرهاً) قال الماني :

لا تنكرن رحيلي عنك في عجل * فانني لرحيلي غير مختار

وربما فارق الانسان مهجته * يوم الوغى غير قال خيفة العار

(كره فراق من صحبته كرهاً) قال الشاعر :

أقمنا كارهين لها فلما * ألفناها خرجنا مكرهينا

وما شنف البلاد بنا ولكن * أمر العيش فرقة من هوينا

خرجت اقر ما قد كنت عينا * وخلفت الفؤاد بها رهينا

(الشاكي كثرة ما يعرض له من فرقة الاحباب) قال الشاعر :

كأنا خلقنا للنوى فكأننا * حرام على الايام ان تتجمعا

وقال علي بن عبد العزيز :

كأن البين محتوم علينا * فليس سوى التلاقي والوداع

القسم الثاني

(في الهجران)

(الهجران سبب التسلي) قيل والهجر مفتاح السلو . وقال العباس :

راجع أحبتك الذين هجرتهم * ان المتيم قلما يتجنب

ان الصدود اذا تمكن منكما * دب السلو له وعز المطلب

(تعظيم الهجران) قال ابن الجهم :

بما بيننا من حرمة هل رأيتما * أرق من الشكوى وأقسى من الهجرِ

وقال آخر

وموت الفتى خير له من حياته * اذا كان ذا حالين يصبو ولا يصبي

(الحاسد لمن يواصله محبوبه) قال أبو صخر الهذلي :

لقد تركتني احسد الوحش ان أرى * اليفين منهـا لايروعهما الدهرُ

وقال ابن العميد :

لايهنئ العاشقين اني * منفرد بالغرام وحدي

(من لايلتذ بالوصل خيفة الهجر) قال العباس :

اذا رضيت لم يهنني ذلك الرضا * لعلميَ يوماً ان سيتبعه عتبُ

وقيل لاتغترر بصفاء الالفة فانها منكشفة عن كدر الفرقة • وقيل اذا ساعدك الدهر بوصل محبوب فاعلم انه قد غر وضومر

(نفي الانتفاع بقرب الدار مع الهجران) قال شاعر :

رأيت دنو الدار ليس بنافع * اذا كان مابين القلوب بعيدُ

وقال العباس :

كفى حزناً ان التباعد بيننا * وقد جمعتنا والاحبة دارُ

وقال عبد الوهاب :

البعد منهم على رجائهمِ * انفع من هجرهم اذا حضروا

(الاعراض عن الحبيب خشية الرقيب) قال شاعر :

وما هجرتك النفس انك عندها * قليل وان قد قل منك نصيبها

ولكنهم يا أملح الناس أولعوا * بقول اذا مازرتِ هذا حبيبها

وقال آخر :

أزور بيوتاً لاصقات ببيتها * ونفسي في الدار التي لا أزورها

(ايثار الهجر لرضاء الحبيب) قال مسلم :

ان كان هجراننا يطيب لكم * فليس للوصل عندنا ثمنُ

وقال آخر :

سررت بهجرك لما علمت * بأن لقلبك فيه سرورا

واني أرى كل ما ساءني * اذا كان يرضيك سهلاً يسيرا

(استطابة قليل الهجر بين المتحابين) قال الخثعمي :

ولم أرَ مثل الصد أحسن منظرًا * اذا كان ممن لا يخاف على الوصلِ

وقال المتنبي :

اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا * فاين حلاوات الرسائل والكتبِ

(هجران الحبيب صيانة للنفس) قال أحمد بن يوسف :

تركتك والهجران لا عن ملالة * ووددت يأسا من أخائك في صدري

وألزمت نفسي من فراقك خطة * حملت لها نفسي على مركب وعرِ

واني وان رقت عليك ضمائري * فما قدر حبي ان أذل لها قدري

وقال الخبزارزي :

اذا لم يكن في الوصل روح وراحة * هجرت وكان الهجر أشفى وأسلما

وقال آخر :

ومن لم يطق صبرًا على النأي يستعن * بهجر وبعض الشر يدفع بالشرّ

كما لا يرى أوفى من الوصل في الهوى * كذا لا يرى في القدر أسلى من الهجرِ

(المعتقد رضاء حبيبه في الباطن وان سخط في الظاهر) قال مسلم بن الوليد :

وراضي القلب غضبان اللسانِ * له خلقان ما يتشابهانِ

يسر مودتي ويطيل هجري * ويمزج لي المودة بالهوانِ

(تضجر من يواصله بغيض ويصارمه حبيب) قال الشاعر :

أعاشر في ذا الدار من لا أوده * وفي الرمل مهجور اليّ حبيبُ

وقال الحطيئة :

يبغض منا من نحب لقاءه * ويجمع منا بين أهل الضغائنِ

(تأسف من هجر محبوبه) قال البحتري :

وكنت أرى ان الصدود الذي مضى * دلال فما ان كان الا تجنبا

فوا أسفي حتى مَ أسأل مانعاً * وآمن خواناً واعتب مذنبا

(عدم الثقة بالمحبوب) قال المجنون :

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض * على الماء خانته فروج الاصابع

(شكوى الحبيب لهجرانه بعد ذهابه) قال الشاعر :

ابكي الذين اذاقوني مودتهم * حتى اذا ايقظوني للهوى رقدوا

(شكوى بخل المحبوب) قال الشاعر :

لقد بخلت حتى لو اني سألتها * قذى العين من سافي التراب لضنت

كأني أنادي صخرة حين أعرضت * من الصم لو تمشي بها العصم زلت

واني وتهيامي بعزة بعد ما * تخليت مما بيننا وتخلت

لكالمبتغي ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقيل اضمحلت

وقال البحتري :

الف الصدود فلو يمر خياله * بالصب في سنة الكرى ما سلما

(التلون بما يسلي المحب) تمثل شريح لامرأته بقول مالك بن أسماء :

خذي العفو مني تستديمي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين أغضبُ

فاني رأيت الحب في الصدر والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهبُ

(التواء المحبوب على محبه ومخالفته له في أحواله) قال الشاعر :

شكوت فقالت كل هذا تبرماً * بحبي أراح الله قلبك من حبي

فلما كتمت الحب قالت لشد ما * صبرت وما هذا بفعل شجي القلب

وأدنو فتقصيني فأبعد طالباً * رضاها فتعتد التباعد من ذنبي

فشكواي يؤذيها وصبري يؤودها * وتجزع من بعدي وتنفر من قربي

وقال آخر :

ان التي عذبتني في محبتها * كل العذاب فما أبقت وما تركت

عاتبتها فبكت فاستعبرت جزعا * عيني فلما رأتني باكيا ضحكت
فعدت أضحك مسروراً بضحكتها * مني فلما رأتني قد ضحكت بكت
تهوى خلافي كما حثت براكبها * يوماً قلوص فلما حثها بركت

(المتأسف لقلى حبيبه له) قال الشاعر :

وما سعدى وان كرمت علينا * وكان لذكر سعدى يستطارُ
بأقرب في المودة من سهيل * وفي وجهيه للنجم ازورارُ
يفر من النجوم لغير شيء * لعمر أبيك طال به الفرارُ

(وصف الحبيب بالتلون) قال دعبل :

اني وجدتكِ في الهوى ذواقة * لاتصبرين على طعام واحدِ

وقال آخر :

يا عتبُ لم أهجركم لملالة * عرضت ولا لمقال واش حاسدِ
لكنني جربتكم فوجدتكم * لاتصبرون على طعام واحدِ

القسم الثالث

« في البكاء والدموع »

(وصف قطرات الدموع) قال الشاعر :

كاللؤلؤ المسجور أغفل في * سلك النظام فخانه النظمُ

وقال الاعشى :

وكأن الدمع درٌّ جامد * والدم الجاري عقيق قد جمد

وقال :

فدمعتي ذوب ياقوت على ذهب * ودمعه ذوب در فوق ياقوتِ

دخل أبو نواس على جارية الناطفي وكان قد ضربها مولاها فقال :

ان عيناً أسبلت دمعها * كالدر اذ ينسل من خيطه
فليت من يضربها ظالماً * تيبس يمناه على سوطه

وأنشد ابو السائب القاضي قول جرير :

ان الذين غدوا بلبك غادروا * وشلاً بعينك لا يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي * ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فحلف ان لا يرد على أحد سلامه يومه الا بالبيتين . ورأى الرشيدي كتابة في جدار قصر دجلة :

ومالي لا أبكي بعين حزينة * وقد قربت للظاعنين حمولُ

وقال آخر :

فلو ان خداً كان من فيض عبرة * يرى معشباً لاخضرَّ خدي واعشبا

(جعل البكاء كسحاب وقطر) قال ابن الحاجب :

كان السحاب الغر حشو جفونه * اذا انهملت من عينه عبراتها

وقال الدمشقي :

علمت انسان عيني ان يعوم فقد * حارت سباحته في ماء دمعته

(وصف الدمع بانه يستغنى به عن الماء) قال ابن المعتمر :

مررت على الفرات وليس تجري * سفائنه لنقصان الفرات
فلما ان ذكرتك فاض دمعي * فاجراهن جري العاصفات

(دموع مؤثرة في العين) قال بعضهم :

استبقِ دمعك لا يوءذي البكاء به * واكفف مدامع من عينيك تستبقُ
ليس الشؤون على هذا بباقية * ولا الجفون على هذا ولا الحدقُ

وقال المتنبي :

كأن جفوني على مقلتي * ثياب شققن على ثاكلِ

(دمع ممزوج بالدم) قال الشاعر :

مُزجت دموع العين مني م يوم بانوا بالدماء
وكأنما مزجت بخدي * مقلتي خمراً بماء

(استجلاب البكاء بذكر المحبوب) قال العباس بن الاحنف :

واذا عصاني الدمع في * احدى ملمات الخطوبْ
أجريته بتذكري * ما كان من هجر الحبيبْ

(الاستعانة في البكاء بالغير) قال الشاعر :

نزف البكاء دموع عينك فاستعر * عيناً لغيرك دمعها مدرارُ
من ذا معيرك عينه تبكي بها * أرأيت عيناً للبكاء تعارُ

ومثله :

فهل من معير طرف عين جلية * فانسان عين العامري كليم

أخذه من ملح الهذلي :

ولتلتمس عيناً سوى العين التي * ذهبت بجاري دمعك المترقرقِ

وقال آخر :

ولي كبد مقروحة من يبيعني * بها كبداً ليست بذات قروحِ
أباها عليّ الناس لا يشترونها * ومن يشتري ذا علة بصحيحِ

وقال آخر :

خليلي الاَ تبكيا ليّ استعن * خليلاً اذا أنزفت دمعاً بكى ليا

(الشكاية من انفطاع الدم) قال علي بن جميلة :

ولم أرَ مثل العين ضنت بمائها * عليّ ومثلي على الدمعُ يحسدُ

(في الاعتذار للدمع) . قال الوزير أحمد بن ابراهيم :

لا تحسبين دموعي البيض غير دمي * وانما نفسي الحامي يصعدهُ

(اعتذار من أظهر البكاء) قال بعضهم :

أتتني تؤنبني بالبكاء * فأهلاً بها وبتأنيبها
وقالت وفي قولها حشمة * أتبكي بعين تراني بها

فقلت اذا استحسنت غيركم * أمرت الدموع بتأديبها

(ستر البكاء) قال بشار لابي العتاهية أنا والله استحسن قولك في اعتذارك للدمع :

كم من صديق لي أسا م رقه البكاء من الحياء
فاذا تفطن لامني * فأقول ما بي من بكاء
لكن ذهبت لارتدي * فطرفت عيني بالرداء

فقال أبو العتاهية ما لذت الا بمعناك حيث تقول :

وقالوا قد بكيت فقلت كلا * وهل يبكي من الطرب الجليدُ
ولكن قد أصيب سواد عيني * بعود قذى له طرف حديدُ
فقالوا ما لدمعهما سواء * أكلتي مقلتيك أصاب عودُ

(افصاح الدمع بالسر) قال البحتري :

وحق الذي في القلب منك فانه * عظيم لقد حصنت سرك في سري
ولكنما أفشاه دمعي وربما * أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يدري

وقال المخزومي :

فان يكُ سر قلبك أعجمياً * فان الدمع نمام فصيحُ

وقال أبو عيسى بن الرشيد :

كتمت هواه حتى فاض دمعي * فصيره حديثاً مستفاضا

وقال آخر :

ولولا الدموع كتمت الهوى * ولولا الهوى لم تكن لي دموع

وقال ابو الفرج الدمشقي :

اني لاخفي اشتياقي وهو مشتهر * من أين يخفى ودمعي صاحب الخبرِ

(سيلان الدموع من الوجد) قال بعضهم :

ماء المدامع نار الشوق تحدره * فهل سمعتم بماء فاض من نارِ

(الاستحسان للدمع) من أبدع ما قيل فيه قول بشار :

وجدت دموع العين تجري غروبها * أخف على المحزون والصبر أجملُ

بكى اعرابي فقيل له في ذلك فقال أما علمتم ان الدموع خفراء القلوب . قال ابن عباس كنت اذا حرجت امتنع من البكاء حتى سمعت قول ذي الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفي نجيَّ البلابلِ

فصرت أشتفي به من الوجد :

(قصور الادمع في دفع الجزع) قال ديك الجن :

فوق خديَّ لجة من دموع * يغرق الوجد بينها والسلامُ

كان بين الواثق و بين بعض جواريه عتاب فبكى وضحكت فقال قاتل الله العباس بن الاحنف حيث قال :

عدل من الله أبكاني وأضحككم * الحمد لله عدل كلما صنعا

(نفع البكاء وحمده) قدم رجل من الخوارج الى عبد الملك ليقتله فدخل على عبد الملك ابن له صغير وهو يبكي لضرب معلمه فقال الخارجي دعوه يبكي فهو أفتح لجرمه وأنفع لبصره فقال له عبد الملك ماشغلك ما أنت فيه عن هذا فقال ينبغي المرء أن لايشغله عن الخير شيء فعفا عنه . قيل لصفوان كثرة البكاء تورث العمى فقال ذاك لها سهادة . وقال ابن نباتة :

تستعذب العين دمعي في مودتها * كأنما تمتريه العين من فيها

(الاستدلال بالدمع على فرط الهوى) قال محمد بن وهب :

يدل على اني عاشق * من الدمع مستشهد ناطقُ

وقال أبو تمام :

اليس دمعي وفرط شوقي * وطول سقمي شهود حبي

القسم الرابع

« في الشوق والحنين والنحول »

(نيران القلب) قال أبو الطمحان :

هل الوجد الا ان قلبيَ لو دنا * من الجمر قيد الرمح لاحترق الجمرُ

وقال الخبزارزي :

بقلبي جمر من هواه فان أكن * شكوت فهذا الوجد من ذلك الجمرِ

وقال :

وحق الهوى اني أحس من الهوى * على كبدي جمرًا وفي أعظمي رضاً

(الاستدلال بالنفس على الحال) قال مسلم :

واذا بعثت الى الهوى بعث الهوى * نفساً يكون على الضمير دليلا

(خفقان القلب) قال بعضهم رأيت في بني عذرة شيخاً يتهادى فقلت هل بقي من حبك بقية . فقال :

كان قطاة علقت بجناحها * على كبدي من شدة الخفقانِ

وقال ديك الجن :

كأن قلبي اذا تذكرها * فريسة بين ساعدَي أسدِ

(ضيق القلب) قال أبو الشيص :

كأن بلاد الله في ضيق خاتم * عليَّ فما تزداد طولاً ولا عرضاً

(أخذ الكبد باليد من خشية التقطع) قال بعضهم :

واذكر أيام الحمى ثم انثني * على كبدي من خشية ان تقطعا

وقال عبد الصمد بن المعذل :

مكتئب ذو كبد حرى * تبكي عليه مقلة عبرى
يرفع يمناه الى ربه * يدعو وفوق الكبد اليسرى

(تصدع الكبد) قال الاعشى :

و بانت وفي الصدر صدع لها * كصدع الزجاجة لا يلتئمْ

وقال الخضري :

وانك لو نظرت فدتك نفسي * الى كبدي وجدت بها صدوعا

(افتقاد القلب) قال الخبزارزي :

فلو كان لي قلبان عشت بواحد * وأفردت قلباً في هواك يعذبُ
ولي الف وجه قد عرفت مكانه * ولكن بلا قلب الى أين أذهبُ

وقال خالد الكاتب :

كان لي قلب أعيش به * فاصطلى بالحب فاحترقا

(كثرة سقم العاشق) قال كشاجم :

دموعي فيك انواء غزارُ * وقلبي ما يقر له قرارُ
وكل فتى عليه ثوب سقم * فذاك الثوب مني مستعارُ

(المستدل بالجمادات والبهائم على الوجد) قال كثير :

سلي البانة الغناء بالاجرع الذي * به البان هل حييت اطلال دارك
وهل قمت في افيائهن عشية * قيام أخي البأساء واخترت ذلكِ

وقال أبو تمام :

ان شئت ان لا ترى صبرًا لمصطبر * فانظر الى أي حال أصبح الطللُ

(اظهار التشوق في القرب والبعد) كتب عبد الله بن عباس الى أحمد بن يوسف « جعلت فداك لا أدري كيف أصنع أغيب فاشتاق ثم نلتقي فلا اشتفي يجدد لي اللقاء الذي يدفع به الشقاء حرقة مثل لوعة الفرقة » . سأل المهدي عن أنسب بيت فقيل له :

وما ذرفتْ عيناكِ الا لتضربي * بسهميك في اعشار قلب مقتلِ

فقال هذا اعرابي قح فقيل :

أريد لانسى ذكرها فكأنما * تمثل لي ليلى بكل سبيلِ

فقال ماهذا بشيء ولمَ يريد ان ينسى ذكرها فقيل قول الاحوص :

اذا قلت اني مشتفٍ بلقائها * فحمّ التلاقي بيننا زادني وجدا

فقال أحسنت . وقال الشاعر :

وما في الدهر أشقى من محب * ولو وجد الهوى حلو المذاقِ

تراه باكيًا في كل حين * مخافة فرقة أو لاشتياقِ

فيبكي ان نأوا شوقًا اليهم * ويبكي ان دنوا خوف الفراقِ

فتسخن عينه عند التنائي * وتسخن عينه عند التلاقي

وقال بعض الكتاب : تفكري في مرارة البين يمنعني التمتع بحلاوة الوصل وتكره عيني ان تقر بقربك مخافة ان تسخن بيعدك فلي عند الاجتماع كبد ترجف وعند التلاقي مقلة تكف

(اظهار الشوق في حال الوصل) قال الشاعر :

قالوا ظفرتَ بمن تهوى فقلت لهم * الآن أشرف ما كانت صباباتي

لاعذر للصب ان تهدى جوارحه * وقد تطعم فوه بالمواتاةِ

(متطبب داوءه الهوى) قال ديك الجن :

جس الطبيب يدي جهلاً فقلت له * ان المحبة في قلبي فخلِّ يدي

وقال آخر :

وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو صدقوا قالوا به نظرة الانسِ

وقال آخر :

قال الطبيب لاهلي حين أبصرني * هذا فتاكم وحق الله مسحورُ

فقلت ويحك قد قاربت في صفتي * وجه الصواب فهلا قلت مهجورُ

فقال مالي بعلم الغيب معرفة * فقلت ان دليل الحب مشهورُ

فيض الدموع وانفاس مصعدة * وضربه في الحشا والقلب مأسورُ

(افتقاد الصبر في الهوى) قال الصنوبري :

وما صبري امامة عنك الا * كصبر الحوت عن ماء الفراتِ

وقال :

لم أقبل الصحة بالشكر * عبثتُ بالحب ولم أدرِ

حتى اذا باشرت أهواله * وصرت مغلوباً على أمري

عذتُ بصبر فوجدت الهوى * قد غاب الحب على صبري

(استقباح الصبر في الهوى) قال عمر بن أبي ربيعة :

وان كثير الحزن ما لم أرد به * حياض المنايا بعده لقليلُ

(معاتبة من لم يضنهِ الهوى) روي ان رجلاً مر ببشار وهو مستلقٍ على قفاه بدهليز كانه فيل فقال يا أبا معاذ انك تقول :

ان في بردي جسماً باليآ * لو توكأت عليه لانهدمْ

وانك لو أرسل الله الريح التي أهلكت عاداً عليك ما زعزعتك

(الناحل الجسم في الهوى) قال الشاعر :

خذي بيدي ثم انهضي بي تبيني * بي الضر الاَّ انني اتسترُ

(من تناهى في الهزال) قال ابن المعتز :

كانما جسمي الى جسمها * غصنان ذا غصنٌ وذا ذابلِ

وقال الخبزأرزي :

وذبت حتى صرت لو زُج بي * في مقلة النائم لم ينتبهْ

قد كان لي قبل الهوى خاتم * والآن لو شئت تمنطقت بهْ

(من تسقطه الريح لنحافته) قال ماني :

ها انا ذا يسقطني للبلى * عن فرشتي انفاس عوادي

وقال المجنون :

الا انما غادرتِ يا أم مالك * صدى أينما تذهبْ به الريح يذهبِ

وقال ديك الجن :

الست ترى الضنى لم يبقِ منه * سوى شبح يطاير بكل ريحِ

(من لم يبقَ الا حركاته وكلامه) قال العباس :

لولا الكلام لما اهتدت * عين الجليس الى مكاني

وقال آخر

انظر الى جسم أضر به الهوى * لولا تقلب طرفه دفنوه

(من لا يستبان لنحافته) قال أبو الفضل بن العميد :

لو أن ما أبقيت من جسدي قذى * في العين لم يمنع من الاغفاء

وقال ديك الجن :

ولو ان احداث الزمان أردنني * بخير وشر ما عرفن مكاني

(الشاكي ذهاب علته لذهاب جسمه) قال المتنبي :

وشكيتي فقد السقام لانه * قد كان لما كان لي اعضاء

(استطابة المرض والسهر لكونهما من الحبيب) قال ديك الجن :

لا أوحشنك ما استحملت من سقمي * فان منزله بي أحسن الناسِ

وقال الاخيطل :

ان من أسهرت ليلته * لقرير العين بالسهرِ

وقال الرستمي :

واني لاهوى الشيب من أجل انه * وان نفرت عيني له من فعالها

(وجوب السهر لمن كان عاشقاً) يستحسن في هذا المعنى قول أبي سعيد بن فوقة :

نسيت الهجود لذكراكم * وما للمشوق وذكر الهجود

وقال منصور النميري : * الحزن منفاة لضيف الرقاد *

(المتقلب على فراشه) قال أشجع :

اذا الليل ألبسني ثوبه * تقلب فيه فتى موجعُ

(من لا ينطبق جفنه من السهر) قال بشار :

جفت عيني عن التغميض حتى * كأن جفونها عنها قصارُ
كأن جفونها خرمت بشوك * فليس لنومة فيها قرارُ

وقال جميل :

كأن المحب قصير الجفون * لطول النهار ولم تقصرِ

وقال المتنبي :

كأن الجفون على مقلتي * ثياب شققن على ثكلِ

(من فارقه النوم حتى نسيه) قال العباس بن الاحنف :

قفا خبراني أيها الرجلانِ * عن النوم ان الهجر عنه نهاني
وكيف يكون النوم أو كيف طعمه * صفا النوم لي ان كنتما تصفانِ
واني لمشتاق الى النوم فاعلما * ولا عهد لي بالنوم منذ زمانِ

وقال آخر :

حدثوني عن النهار حديثاً * أوصفوه فقد نسيت النهارا

(من ذكر ان ليله كانما وصل بليل لطوله) قال سربلة بن كاهل :

واذا قلت ظلام قد مضى * عطف الاول منه فرجعْ

وقال آخر :

في الليل طول تناهي العرض والطول * كانما ليله بالليل موصولُ
لا فارق الصبح كفي ان ظفرت به * وان بدت غرة منه وتحجيلُ
اساهر طال في صول تململه * كانه حية بالسوط مقتولُ

(مراقبة النجوم من السهر) قال ابن دريد :

لقد الفت دهم النجوم رعايتي * فان غبت عنها فهي عني تسائلُ
يقابل بالتسليم منهن طالع * ويومئ بالتوديع منهن آفلُ

(المستشهد بالنجوم اسره) قال الناشئ :

سلِ الليل عني كيف أرعى نجومه * فان الليالي يطلعن على سري

وقال :

سل الليل عني مالقيت وما القى * يخبركم اني بحبكمُ أشقى

(مقاساة الهم بالليل والاستراحة بالنهار) قال ابن الدمينة :

أقضي نهاري بالحديث و بالمنى * ويجمعني والهم بالليل جامعُ

وقال الموصلي :

ان في الصبح راحةً لمحب * ومع الليل ناشئات الهمومِ

وقال النابغة :

وصدر أتاح الليل عازب همه * تضاعف فيه الحزن من كل جانبِ

(قلة المبالاة بطوله لدوام الهم) قال الصولي :

وطولت ليلي لو دريت بطوله * ولكنه يمضي لما بي ولا أدري

تشابه ليلي واستمر بي الهوى * فمن لي بنفس تستريح الى الغدرِ

(الجهل بحاله ليلاً) قال خالد الكاتب :

لست أدري أطال ليليَ أم لا * كيف يدري بذاك من يتقلى

لو تفرغت لاستطالة ليلي * ولرعي النجوم كنت مخلى

(من ذكر طول ليله وقصر ليل محبوبه) قال العباس :

كل من نام لعمري * يحسب الناس نياما

وقال :

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا

(من ذكر ان الهموم اطالت ليله) قال بشار :

كأن الدجى طالت وما طالت الدجى * ولكن أطال الليلَ همٌّ مبرحُ

وقال ابن بسام :

لا أظلم الليل ولا أدعي * ان نجوم الليل ليست تغورْ

ليلي كما شاءت فان لم تزر * طال وان زارت فليلي قصيرْ

(استقصار وقت الفرح واستطالة ضده) وقال العباس :

الا ان أيام البلاء على الفتى * طوال وأيام السرور قصارُ

وقال بشار :

وللدهر أيام قصار اذا سرت * بخير ويوم الحزن منه طويلُ

(استطالة النهار) قال الاصمعي لاصحابه : أتعرفون شاعرًا استطال يوم اللقاء قالوا لا قال هو توبة حيث يقول :

لكل لقاء نلتقيه بشاشة * وان كان حولاً كل يوم ازورها

فسكتوا فقال يريد يوم يقوم مقام حول في السرور

(المستقصر ليله لكونه في سرور) قال ابن طباطبا :

يا لذتي مناق من * روى في رشفًا ولثما

في ليلة ضمت على جناحها الغريب ضما

فلو استطعت جعلت بين ظلامها والصبح ردما

وقال علي بن عاصم :

سقيًا لايام لنا وليالِ * قصر الحبائب طولها بوصالِ

ما كان طول سرورها لما انقضت * الا اكتحال متيم بخيالِ

وقال ابراهيم بن العباس :

وليلة احدى الليالي الزهرِ * قابلت فيها بدرها ببدرِ

حتى تولت وهي بكر الدهرِ

(مدح السهر بالليل وترك النوم) قد أثنى الله تعالى على قوم فقال « كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون » . وقال كشاجم :

وليلك شطر عمرك فاغتنمه * ولا تذهب بشطر العمر نومًا

وقال ابن نباتة :

فتى يتجافى قلة النوم جفنه * كأن لذيذ النوم في جفنه قذى

أطرفك ساه أم فؤادك عاشق * يغار على عينيك من سنة الكرى

ومن سهرت في المكرمات جفونه * رعى طرفه في جوفها أنجم العلى

(الممدوح بقلة النوم) قال شاعر في ابنه :

أعرف منه قلة النعاس * وخفة في رأسه من راسي

(المستولي عليه النوم) قيل أصل النوم كثرة الشرب وكثرة الشرب من كثرة الاكل

(من دلت عينه على سهره) قال ابراهيم بن العباس :

عيناك قد حكتا مبيتك * كيف كنتَ وكيف كانا
ولرب عين قد ارتك * ضمير صاحبها عيانا

وقال :

جفونك مقبلة نائحه * تخبر عن ليلة صالحه
ونومك بعد صلاة الغداة * دليل على سهر البارحه

القسم الخامس

« في الوشاية والعذل »

(النهي عن الاصغاء الى الواشي) قال بعضهم :

من جعل النمام عيناً هلكا * من بلغ السوء كباغيه لكا

(بغض المتصلين بالحبيب) قال عبد الصمد :

لي حبيب اضر بي ما أقاسي * من فتوني به و بغض أخيهِ
ليَ بيتان من هوى ذا ومن بغضي لهذا فليس لي من شبيهِ

(من تشكك رقيبه في غير محبوبه) قال العباس بن الاحنف :

قد سحب الناس اذيال الظنون بنا * وفرق الكل فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم * وصادق ليس يدري انه صدقا

وقال آخر :

قوم رموا غير من أهوى بظنهم * وآخرون أصابوه وما شعروا

(الندم على الاصغاء الى العذال) قال تاج الكتاب :

واني غداة سكوني الى * مقال الرقيب وهجر السكن

كمن شرب السم جهلاً به * ولم يدر ما فعله في البدن

(من كذب الواشي فيما ادعى عليه من الهوى وصدقه) قال ثوبة :

رماني وليلى الاخيلية قومها * بأشياء لم تخلق ولم أدر ما هيا

وقال :

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا * سوى ان يقولوا انني لك عاشقُ

نعم صدق الواشون أنت كريمة * علينا وان لم تصفُ منك الخلائقُ

(الدعاء على العاذل) قال كثير :

وسعى اليَّ بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

وقال ابن طباطبا :

هو الحبيب الذي نفسي الفداء له * ونفس كل نصيح لامني فيهِ

(خليٌّ يلوم شجياً) قال النميري :

أصبحتَ تلحاني ولا تدري * كيف اعترابي الهم في صدري

لو كنت في صدري وباشرت ما * يلقى لسارعت الى عذري

وقال آخر :

ووالله لو أصبحتَ من ملة الهوى * لاقصرت عن عذلي وأسرعت في عذري

ولكن بلائي منك انك ناصح * وانك لا تدري بانك لا تدري

(مخالفة العذال) قال احمد بن سليمان بن وهب : قال لي أبي يا بني قد عزمت على معاتبة عمك الحسن بن وهب في هواه فلانة فقد اشتهر بها وافتضح فاعني عليه . فوافيناه فكان من جملة ما قال له أبي: الهوى ألذ وامتع والرأي أصوب وأنفع . فقال عمي متمثلاً :

اذا عذلتني العاذلات على الهوى * أبت كبد عما يقلن صريعُ

وكيف أطيع العاذلات وحبها * يؤرقني والعاذلات هجوعُ

فالتفت اليَّ أبي يريد المساعدة فقلت :

وأني ليلحاني على طول حبها * رجال ترى منهم قلوب صحائحُ

فقال أبي قم فأنت مثله أو شر منه . وقال المتنبي :

الى مَ طماعية العاذلِ * ولا رأي في الحب للعاقلِ

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقلِ

وهبتُ سلوي لمن لامني * وبت من الشوق في شاغلِ

(من ذكر سرور عاذله يبعد محبوبه) قال محمد بن أبي عيينة :

لقد شمت الواشون ان حيل بيننا * وسروا الا للشامتين بنا العقبى

وقال التمار :

صدَّ من أهواه عني * فاشتفى العاذل مني

(استطابة الملامة) قال أبو نواس :

كفى الاحاديث عن ليلى اذا ذكرت * ان الاحاديث عن ليلى لتلهيني

وقال بشار :

لا أحمل اللوم فيها والغرام بها * لا كلف الله نفساً فوق ما تسعُ

(ازدياد الوجد بالعذل) قيل النهي عن الشيء داعٍ الى تعاطيه كآدم وحواء حين نُهيا عن الشجرة . قال أبو دلف :

هل رأينا أو سمعنا من نهى * رجلاً عن سوء فعل فانتهى

بل اذا عوتب في سيئة * لم يدعها وتعاطى أختها

وقال ابن الحجاج :

دع اللوم ان اللوم يغري وربما * أراد صلاحاً من يلوم فأفسدا

(السكون عن مجاوبة العاتب) قال جحظة :

ذراني من ملامكما ذراني * فقد أسرفتما اذ لمتماني

فلست بضامن لكما جواباً * ولست بسامع ممن لحاني

(التبرم بالوشاة) قال مجنون ليلى :

ولو ان واش باليمامــة داره * ودار باعلى حضرموت اهتدى ليا
وماذا عليهم أحسن الله حالهم * من الحظ في تصريم ليلى حباليـا

وقال احمد بن أبي سلمة :

يعذلني فيه جميع الورى * كأنني جئت بأمر عجيبْ

(التبرم بكثرة اللوم) قال ابن المعتز :

أظن نفسي لو تعشقتها * بليت فيها بملام الرقيبْ

وقال :

وا عنائي بمحضر ومغيب * وحبيب ناء بعيد قريبِ
لم ترد ماء وجهه العين الا * شرقت قبل ريها برقيبِ

(المرتدع عاذله بحسن محبوبه) قال محمد بن بكار :

عذلاني على هواه فلما * أبصرا حسن وجهه عذراني

وقال :

فلما رآها العاذلات عذرنني * وصدقنني فيما شكوت من الوجد

القسم السادس

(في ابداء الهوى واخفائه)

قال العباس :

لاخرجنّ من الدنيا وحبكمُ * بين الجوانح لم يشعر به أحدُ

(الكاتم هواه عن ظواهر نفسه) قال بعض المحبين :

عندي سرائر للحبيب طويتها * مني الضمير بأنها في طيهِ

وقال آخر :

فلو ان شيئاً كاتم الحب قلبه * لمت ولم يعـلم بحبكما قلبي

وقال جميل :

لو ان امرءًا أخفى الهوى عن ضميره * لمتُّ ولم يعلم بذاك ضميري

وقال أبو نوح :

قلبي رقيب على طرفي من الحذر * فليس يتركهُ يلتذ بالنظرِ

بعضي يكاتم بعضي ما يحاذره * فلو سُئلت اذًا لم أدرِ ماخبري

(التستر باظهار الهوى في غير المحبوب) قال الشاعر :

اسميك لبنى في نسيبي تارة * وآونة سعدى وآونة ليلى

حذارًا من الواشين ان يفطنوا بنا * والا فمن لبنى فدتك ومن ليلى

وقال احمد بن أبي فنن :

لساني لليلى والفؤاد لغيرها * وفي لحظ عيني مكذب للسانيا

(اظهار الهوى بقصد اخفائه) قال أبو حفص الشطرنجي :

ولقد امازحه باظهار الهوى * عمدًا ليكتم سره اعلانهُ

ولربما كتم الهوى اظهاره * ولربما فضح الهوى كتمانهُ

(كتمان الهوى عن المحبوب) قال الزبير بن بكار :

استر هواك عن الذي تهوى * لا تفضين اليه بالشكوى

فلقلما تبدي هواك له * الا تلوى وامتلا زهوا

(اسقاط الجوى باظهار الشكوى) قال أبو العتاهية :

ان المحب اذا ترادف همه * يلقى الحبيب فيستريح اليهِ

(الاستراحة باظهار الهوى) قال محمد بن أبي عيينة :

تجنب مؤنات التدمث والعقلِ * بعينك فانظر ماتلذ وتستحلي

وقال الصاحب :

صرحت في حي عن مشكلهْ * ولم أصخ فيه الى عذّلهْ

وبحتُ للعالم باسم الهوى * فليقعد المغتاب في منزلهْ

تمّ الكتاب

فهرست الكتاب